﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

1000 مقاطعة المنتجات الفرنسية

أنصار النبي ﷺ

السنة الثانية | العدد ١٥
أغسطس ٢٠٢٣ | محرم ١٤٤٥

رئيس الهيئة | د. محمد الصغير
رئيس التحرير | محمد إلهامي

ألف يوم في نصرة رسول الله ﷺ
د. محمد الصغير

بعد ١٠٠٠ يوم من المقاطعة
محمد إلهامي

لازلنا نقول: قاطعوا المنتجات الفرنسية!
الشيخ سامي الساعدي

أجمل الكلام في سيرة النبي عليه السلام
الشيخ بدر المشاري

الجهاد باللسان
الشيخ سعيد حوى

وغيرها من المقالات...

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الهيئة العالمية لنصرة نبي الاسلام

International Organization to support the Prophet of Islam

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطَّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي ﷺ

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

محتويات العدد

٥ ألف يوم في نصرة رسول الله ﷺ
د. محمد الصغير

١٠ بعد ١٠٠٠ يوم من المقاطعة وقفات في أصل المعركة
محمد إلهامي

١٩ بعد ألف يوم من حملة المقاطعة لازلنا نقول: قاطعوا المنتجات الفرنسية!
الشيخ سامي الساعدي

٢٧ الرسالة المحمدية الخالدة ... الرَّحمة المهداة للعالمين
د. علي الصلّابي

٣٤ لهذا يسيؤون للحبيب محمد ﷺ
د. يونس الأسطل

٤٣ لماذا يخاف الغرب القوي من المسلمين الضعفاء؟
الشيخ محمد بن محمد الأسطل

٥٩ المقاطعة (٣/١) .. تكييفات شرعية وتطبيقات نبوية وواقعية
د. عبد السلام البسيوني

٧٣ الاستهزاء بالمقدسات إعلان حرب
عبد الله الطبلوهي

٧٩ الغرب وعداؤه لنبي الإسلام محمد ﷺ
الشيخ حسين عبد العال

٨٧ استقلالية الأمّة وضرورة المقاطعة
د. محمد أيمن الجمّال

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

٩٣ البكاء وحده لا يجدي خطط أعدائنا وكيفية مواجهتها
بادية شكاط

١٠٤ نحو علم للشمائل النبوية (٣/٢)
د. وصفي عاشور أبو زيد

١١٣ الأسرة الكتانية وخدمتها للسنة (٧)
د. الحسن بن علي الكتاني

١٢٦ نصرة نبينا ﷺ.. الوجوب والثمرة
جلال الشميري

١٣٠ فداء
محمود عبد السلام إمام

أئمة الهدى

«من تراث علمائنا الراحلين»

١٣٧ ماضٍ لا يُمحى..
اقتحام الفرنسيين للجامع الأزهر
الأستاذ/ محمد جلال كشك

١٥٤ الجهاد باللسان
الشيخ سعيد حوى

١٦٣ من تاريخ الإجرام الفرنسي في الجزائر
الشيخ محمد خير الدين

١٧٤ مرني يا رسول الله أن أقتله
الشيخ حسن بن محمد مشاط

١٨١ بسالة الصحابة في الدفاع عن الرسول ﷺ في غزوة أحد
العلامة محمد يوسف الكاندهلوي

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

١٩٠ غطرسة القوة والشر
د. سلمان العودة

١٩٥ هل الهيمنة علينا حرب على الإسلام؟
م. أحمد سمير

٢٠٧ أجمل الكلام في سيرة النبي عليه السلام
الشيخ بدر المشاري

٢١٤ حلب.. صفحة من موسوعة العداوة للمسلمين
د. عمر عبد الله المقبل

٢٢٢ المراحل الأربعة في نصرة النبي ﷺ
د. عبد المحسن الأحمد

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

الافتتاحية

ألف يوم في نصرة رسول الله ﷺ

د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

قبل أيام قليلة.. مرّ على حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية ألف يوم، إذ انطلقت رداً على الرسوم المسيئة لمقام النبي ﷺ، والتي تبنتها الحكومة الفرنسية، وعلقتها على المباني الحكومية، واعتبرها ماكرون الرئيس الفرنسي من باب حرية التعبير، وأظهر الله كذبه على رؤوس الأشهاد، عندما رسمه رسام فرنسي في صورة النازي هتلر، فأقام دعوة قضائية عليه، وأدانته المحكمة وألزمت الرسام بغرامة كبيرة، واعتبرت الحكومة رسمه مساساً برموز الجمهورية!

لم يُعرف في سائل الإعلام أن حملة شعبية استمرت ألف يوم بلا انقطاع، إلا حملة مقاطعة فرنسا، ولا تتابع التدوين على وسم «هشتاج» بأرقام مسلسلة من واحد إلى ألف، إلا في وسم #مقاطعة_المنتجات_الفرنسية_١٠٠٠ .

والذي يؤكد أن ازدراء الإسلام، ومحاولة تشويه رموزه، سياسة ماكرونية ماكرة، أنه أعلن بعد قضية الرسوم، أن الإسلام كدين «في أزمة»، ومن وقتئذ تتابعت أزمات ماكرون، ولم تتوقف نكباته، وظهر عليه شؤم الشانئين، وخزي المبغضين، والعاقبة عند الله أشد وأخزى، فأصبح ماكرون هو المأزوم الأكبر، والخاسر الأبتر، ولو نظرنا إلى رؤساء الدول من حوله، ستجده وحده الذي يخرج من مصيبة إلى كارثة، ومن احتجاج إلى مظاهرة، ومن اعتصام إلى إضراب، إذ لم تتوقف المظاهرات والاحتجاجات خلال الفترة الماضية، حتى غدت خبراً مألوفاً في وسائل الإعلام، بل رأينا فرنسا على يد المأزوم الأبتر تخرج من أفريقيا مذمومة مدحورة، بعدما كانت تمسك بزمام الأمور، والفرنسية هي اللغة الرسمية، وكأنها مازالت في حقبة الاحتلال!

وتَنَدّر العالم كله على تلال القمامة التي ملأت شوارع باريس، عندما أضرب عمال النظافة عن العمل، كما أضربت قطاعات حيوية أخرى، وأسفرت هذه الإضرابات عن أسراب من الفئران تسرح في البنايات وبين المكاتب، كما تعرض ماكرون للصفع والضرب بالبيض عدة مرات، ولو أحصاها لدخل بها موسوعة (جينيس) بلا منافس.

تُعد فرنسا الدولة الاستعمارية التي لم ترفع يدها عن مستعمراتها السابقة، وتمارس دور الوصاية عليها، وتتحكم في خيراتها ومقدراتها، وما زالت آثار جرائمها ممتدة من القرن الماضي إلى الآن، ويكفي أن لها متحفاً تحتفظ فيه بجماجم ورفات من قتلتهم من أبطال البلاد التي احتلتها، وما زالت أبوابه مفتوحة، وشاهدة عليهم.

ومع هذا التاريخ الطويل من الإجرام العتيد، وتربع فرنسا على عرش عداوة الإسلام والتضييق على أهله، إلا أن السويد ومن قبلها الدنمارك استطاعتا في وقت قصير إزاحة فرنسا والتربع مكانها على عرش الكراهية والعنصرية، وسبقت السويد فرنسا وغيرها إلى خطف أولاد المسلمين، وتسليمهم لأسر غير مسلمة، أو لشذاذ الآفاق من المنحرفين جنسياً، ومنتكسي الفطرة والسلوك.

ثم أظهرت الدولتان بغضهما للإسلام وازدراء مقدساته، في استخفاف واضح بمشاعر ملياري مسلم، ولأول مرة يتحد موقف الشعوب مع الحكام في الاكتفاء بالإدانة ومذكرات الاستنكار، تجاه الاعتداء الجاهلي العنصري على رمز عقيدتهم، وأقدس مقدساتهم، حيث كانت العواصم العربية والإسلامية تحرك العالم بانتفاضتها لمقدساتها قبل ذلك، فإذا عجزت الشعوب عن تغيير المنكر باللسان، أو الاحتجاج والاعتصام أمام سفارة السويد حتى ترجع عن غيها، فأمامهم سلاح المقاطعة الذي هو من أيسر الأسلحة وأنجعها، لأنه فعل بالترك، وثواب على الامتناع.

ولا أنكر أن دور الإفتاء والمؤسسات العُلمائية قصرت أيضاً في إصدار فتوى موحدة، بوجوب مقاطعة السويد على الأصعدة كلها، والسعي لاستصدار قانون يحرم الإساءة إلى الأديان ورموزها، ويجرم الاستهانة بها، ولعل في ردة فعل الشعب العراقي على حرق المصحف الشريف، بإحراق سفارة السويد في بغداد، ما يدق ناقوس الخطر تجاه العنصرية الأوربية، والجاهلية السويدية، ويردها عن غيها وحماقتها، لأن ما تقوم به السويد هو لعب بالنار، التي ستحرق من أشعل جذوتها، ولا يغرنها أن الأمة مازالت في وهدتها، فإن الإبل المائة، وإن ظهر أنها استنوقت، فحتماً ستخرج منها راحلة، تطهر ما تدنس، وترد الاعتبار لأمة القرآن.

وسيكتب التاريخ عن حسان بن ثابت الجديد، الذي دافع عن رسول الله ﷺ بما شفى نفسه من أعدائه، وكذلك ما دفاع طليعة الشبيبة المسلمة محمد بن مسلمة، فإن هذه الأمة -كما أخبر الصادق ﷺ- كالغيث لا يُدرى أوله خير أم آخره.

وفقنا الله جميعاً لحفظ كتاب الله تعالى وتقدس، ونصرة رسول الله ﷺ، بما يرضيه ويرضى به عنا.

أكاديمية أنصار النبي
SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د.محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_

الشيخ د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

بعد ١٠٠٠ يوم من المقاطعة
وقفات في أصل المعركة

محمد إلهامي (رئيس التحرير)
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

دخلت الحملة المباركة -حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية- ألفيتها الثانية بعد أن جاوزت ألف يوم، ما انبعث لها إلا عوام المسلمين وبعض المستقلين من علمائهم ودعاتهم، وطفقوا يحافظون عليها طوال هذه المدة بغير دعم من نظام أو دولة أو حكومة أو حتى مؤسسة دينية رسمية!

بل على العكس، أوحت هذه الحملة إلى بعض أهل العلم والمشيخة أن يُحَوِّلوا هم مجهودها إلى نظام ومؤسسة، فمن رحم هذه الحملة الشعبية العفوية، وُلِدت فكرة «الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ» بعد تمام العام من انطلاق الحملة، وهذه الهيئة العالمية قد صارت لها فعاليات ونشاطات، منها هذه المجلة التي بين يديك، مجلة «أنصار النبي ﷺ»، ومنها «أكاديمية أنصار النبي ﷺ»، ومنها مؤسسة البراق لدعوة الناطقين بغير اللغة العربية، فضلاً عن العديد من الأنشطة الأخرى.

والآن وقد جاوزت هذه الحملة ألف يوم، ودخلت في ألفيتها الثانية نحتاج أن نتوقف عند بعض دورس وأمور، نتذكر بها أصل المعركة وسياقها.

يبدو السؤال الأهم والأول قائماً: لماذا يبغض هؤلاء النبي ﷺ ولماذا يعادونه؟ ثم لماذا هم يعادونه بينما أتباعه اليوم ضعفاء مغلوبون وقد سيطر هؤلاء الأعداء على أرضهم ومواردهم بل صاغوا لهم حتى ثقافة الإعلام ومناهج التعليم وألزموهم بأنظمتهم الاقتصادية وأنماطهم الاجتماعية؟!

ثم يأتي السؤال الثاني المكافئ لهذا الأول: ولماذا تبدو هذه الأمة المغلوبة المستضعفة بعد طول الزمن ومع فارق القوة غير مستسلمة ولا قابلة بهذا الغالب؟! لقد كان الفصل الأول في معركة المقاطعة الحالية هو ذلك الفتى الشيشاني الذي انبعث ليقتل المدرس الفرنسي الذي أساء إلى النبي ﷺ، مع أنه في بلد العداء

ومجرّدًا من كل قوة، لقد قام فعلياً بعملية استشهادية قُتِل على إثرها.. في هذا الفتى تُختصر قصة الأمة التي تُقاوم بلا أي حساب لميزان القوى، وتكافح وتناطح من ليست لها بهم قوة، ولا تتراجع عن ذلك، كلما هلك قوم خرج آخرون!

١

من بديع ما أخرجته العقول البشرية، هذه الكلمة النورانية للإمام ابن القيم، وهو يقول: المعاصي على ثلاثة أنواع: شهوات وشبهات وشرك، فمن أسرف على نفسه في الشهوات وقع في الشبهات، ومن أسرف على نفسه في الشبهات وقع في الشرك. ا.هـ

إنه ما من إنسان يُتبع نفسَه شهواتِها حتى يصل إلى حدٍّ يتشكك فيه في الدين نفسه، فإن الذي تعوّد على تلبية شهواته لا يرى في الدين إلا قيْدًا عليه، ويظل يتسرب إليه التشكك في أحكام الدين، حتى يروق له أن ينبذ الدين على الجملة، فينتقل بهذا من الشهوة إلى الشبهة إلى الشرك. وهو في رحلته هذه لا يبغض شيئاً في هذه الدنيا أكثر من حَمَلة الدين، أولئك الذين تكون مجرد رؤيتهم نوعاً من تنغيص الحياة عليه!

وهذا الإنسان في رحلته من الشهوة إلى الشرك يُنتج لنفسه الأفكار والمبررات والنظريات التي تجعل عمله هذا هو العمل الصحيح المقبول، وهو التصرف الطبيعي البديهي، بل هو التصرف الحضاري الراقي، فمن طبيعة الإنسان ألا يجمع في نفسه التناقض والتعاكس والتشاكس بين أفكاره وأعماله، فإن لم تنسجم أعماله مع قناعاته، لا بد أن تتغير قناعاته لتنسجم مع أعماله.

وفي كتابه المهم «الاغتيال الاقتصادي للأمم»، كشف جون بيركنز أن هؤلاء الرجال المهيمنين على سياسات العالم، لم يعودوا يسعون وراء اللذة والمصلحة فحسب، مع أنهم يملكون أنهار الأموال ويتحكمون في مقدرات الأمم، ولكنهم فوق ذلك طَوَّروا عقائد تجعل أعمالهم هذه هي الحق الوحيد، يقول: «بدأت أفهم أن معظم هؤلاء الرجال (قادة العالم وصانعي السياسة) يعتقدون أنهم يفعلون الصواب. كانوا مقتنعين مثل تشارلي أن الشيوعية والإرهاب قوى شريرة أكثر من اقتناعهم بردود الأفعال المتوقعة إزاء القرارات التي اتخذوها هم وأسلافهم، وأن عليهم واجباً نحو بلادهم ونحو أولادهم ونحو الله حتى يهدي العالم للاقتناع بمذهب الرأسمالية. وهم كذلك متشبثون بمبدأ البقاء للأصلح، وبدلاً من الشعور بالامتنان والاستمتاع بالثروات الطائلة والتحول إلى طبقة متميزة وعدم المعاناة من النشأة في أكواخ من الكرتون -يعملون على ضمان توريث هذه الثروات لذريتهم».

وقد استطاعت الحضارة الغربية المعاصرة كسر سائر الأديان والحضارات، حتى القلاع الحضارية الشرقية مثل روسيا والصين واليابان والهند، قد اكتُسحت حضارياً، حتى صارت مدنها وعمرانها وأزياؤها ونظمها الاقتصادية نسخة من الحضارة الغربية، وصار الصراع بين هذه المراكز وبين الغرب صراعًا على حدود القوى والنفوذ والسيادة، لا صراعًا في أصل التصور لقضايا الإنسان وعلاقته بغيره وبالكون من حوله.

إن القيم الكبرى مثل حب الدنيا واتباع الشهوات واضطهاد الضعفاء والسعي إلى العلو في الأرض قد تواطأ عليها هؤلاء جميعاً، ويلتمسون إلى تحقيقها ذات الوسائل التي اخترعتها وأنتجتها الحضارة الغربية

الغالبة. وما بقي في هذه المراكز الحضارية من رواسب شرقية أو صوفية أو فلسفية أو روحانية إنما ينزوي في المعابد والجبال والبرامج الروحية التي يمارسها الناس لإطفاء أشواقهم الروحية في وقت الراحة والإجازة، الذي تمنحهم إياه الآلة المادية الجبارة التي تدير حياتهم وتسيطر عليها.

لم يبقَ في العالم الآن من يُقَدِّم البديل الحضاري، ويهاجم أصل المبادئ التي أسست عليها الحضارة الغربية سوى الإسلام، فالإسلام يقف كصخرة عظيمة كأداء أمام انتشار القيم الأساسية لطغاة العصر، فالله وحده هو صاحب السيادة لا البشر، وهو الذي له حق التشريع ليس الذي غلب من البشر، وهو مصدر المعرفة والقيم لا من كتب الدستور أو سيطر على الإعلام والتعليم ومنافذ الثقافة، وحب الدنيا -في الإسلام- هو رأس كل خطيئة، واتباع الشهوات هو علامة انحلال وفساد وليست علامة حرية ورقي، والتكاثر في البنيان والأموال ليس دليلاً على الصواب بل قد يكون دليلاً على الطغيان، وانفراد الإنسان بالتشريع وبأن يكون مصدر القيم والمعرفة هو شرك بالله وكفر به وجحد له! وهذا العالم ليس نهاية المطاف ولا هو آخر السبيل.

ومع ما فيه المسلمون من الهزيمة والاستضعاف فإن مبادئهم الدينية والروحية لم تكتفِ أبداً ولم تستسلم لأن تكون في الزوايا والتكايا والخلوات والجبال، بل سرعان ما تتحول إلى برامج عملية سياسية واقتصادية واجتماعية تكافح وتناضل في واقع الحياة، وضد هذه الآلة الغربية. وعلى نحو ما يقول علي عزت بيجوفيتش:

«ما من حركة إسلامية صادقة مع نفسها ودينها إلا وهي حركة سياسية»!

إن الأخطر من هذه العقائد والأفكار «الخطيرة»، كما يراها الطغاة والمستكبرون الذين يمتصون أموال الشعوب ودماءها، أن هذه العقائد تبعث رجالها ليغيروا الحياة لا ليتكيفوا معها، وهي تلهبهم وتحفزهم على العمل مهما كانت موازين القوى، ولذلك لم ينقطع سيل من «الاستشهاديين» الذين يخوضون المعركة مهما كانت خسارتهم حتمية! وكيف يمكن الوقوف أمام رجل يرى في موته حياة أخرى سعيدة في جنات النعيم؟!

إذا حاولتَ أن تتلبس عقلَ طاغية جبار، وتتقمص روحه ونفسه، فستجد نفسك في لحظة واحدة أمام عداوة مباشرة مع هذا الشخص الذي كان أصل هذا كله: مع محمد ﷺ.. نعم، هذا هو الرجل الذي أخرج هذه الكتائب المتتالية من المقاوِمين، أولئك الذين يتجددون ولا يموتون، يعملون ولا يفترون، وقد تصلبت رؤوسهم وانطوت قلوبهم على دين صلب لا يتزحزح ولا يتشقّق!

إن محمداً ﷺ لا يزال يؤرق كل من يريد استعباد الناس وظلمهم، وكل من يريد التربح بالضغط على غرائزهم وإثارة شهواتهم، وكل من يريد سحب هذه الإنسانية من الكرامة التي وهبها الله إياها إلى الانحطاط المادي الذي يريده لها الشيطان وأتباعه.

٢

لهذا كانت المعركة ضارية منذ لحظتها الأولى، منذ بُعِث محمد ﷺ نبيًّا، فإذا بأصحاب المصالح والشهوات والمنتفعين من استعباد الناس ينقلبون عليه في الحال، وبعدما كان «الصادق الأمين» جعلوه كاذباً وكاهناً وساحراً ومجنوناً!

إن التعريف بالنبي ﷺ من واجبات المسلمين، ونعم، يوجد كثيرٌ من الناس يعادون النبي لأنهم لا يعرفونه فهم يجهلون حقيقته وشمائله، ولكن يجب أن نعرف في ذات الوقت أن أعرف الناس بالنبي ﷺ كذبوه لما ناقضتْ رسالتُه مصالحهم ومطامعهم وشهواتهم، فلا نتوقع -والحال هكذا- أن تكون مجرد معرفة النبي مفضية إلى اتباعه والإيمان به، لن يفعل هذا إلا أسوياء الناس وخيرهم ممن تعلو مبادئه على مصالحه، ويغلب ضميره على غرائزه.

ولهذا، فمثلما كان المسلمون -منذ عصر النبوة- مكلفين بإبلاغ الإسلام وتعريف الناس بنبيهم ﷺ، كانوا مكلفين كذلك بالدفاع عنه ونصرته وتأديب من يسيئ إليه ويعاديه، وكان لنا في صفوتنا الأولى من الصحابة الأسوة والمثل، فهذا عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول، قال للنبي ﷺ: «إن كنتَ آمرًا بقتل أبي، فمُرْني أنا بذلك، فما عرفت العرب أبرَّ بأبيه مني».

إن المقاطعة الاقتصادية للمنتجات الفرنسية والهندية والسويدية، وغيرها، هي لا شكّ عمل عظيم، وقد يدخل في باب الجهاد، لا سيما لمن لا يملك سوى ذلك.. وهي عملٌ يُحيي الأمة وينبهها إلى عظمة نبيها وقدره وواجبها نحوه، كما ينبهها إلى عداوة المنحطين له وبغضهم إياه. وكل هذا مفيدٌ بل جليل الفائدة لأمة يُقصف وعيها ليل نهار، ويُراد لها أن تغفل وتضل.

ومهما كانت نتائج المقاطعة على هذه الدول، فالمعنى الأهم منها هو أن الأمة لا تزال حية، ولا يزال الذي يريد أن يبيع منتجاته عندها محتاجاً إلى أن يحترم مقدساتها.

ولكن هذا كله يجب ألا ينسينا الحقيقة القائمة، وهي أن المقاطعة الاقتصادية وحدها هو فِعْل أمة مهزومة مستضعفة، فالواقع أن هذه المقاطعة لم تشارك فيها حتى حكومات الأنظمة والبلدان «الإسلامية»، بل إن بعض هذه الأنظمة والحكومات عَاكَسَ رغبة الأمة، فذهب يعقد الصفقات المليارية مع فرنسا! ويجدد علاقات الود مع الهند! فما أبلغ هذا المشهد الذي يتجسد فيه قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وإذا أردنا حقاً أن نمتلك الأدوات الفعالة للدفاع عن نبينا ﷺ ونصرته، فلن نجد حلًّا إلا أن نتحرر ونقوى، ولن يكون هذا إلا إذا امتلكنا إرادتنا وصارت أنظمتنا وحكوماتنا من اختيارنا، نُنَصِّبُها بقرارنا وأمرنا، فحينئذ يحكمنا من هو مِنَّا، هذا الذي هو مِنَّا هو الذي ينتقض لا شعورياً إذا أسيئ للنبي ﷺ، وهو الذي يبحث قدر طاقته عما يفعل في الردِّ على ذلك.

وفيما قبل هذا التحرر، سيظل كل جهد في نصرة النبي ﷺ مشكوراً، بداية من تغريدة ينشرها محب على شبكة التواصل يُعرِّف بها من لا يعرف، وانتهاء بتضحية الفتى الشيشاني بنفسه ليتهدد به وبأمثاله كل من يفكر في الإساءة! والله أعلم بكل امرئ وطاقته وقدرته، وعلى ذلك يحاسبه، ورسول الله ﷺ سيلقانا يوم القيامة وهو يعرف ماذا بذل كل منا لنصرته، فلن تنفع التغريدة ولا المقاطعة لمن قدر على أقوى منها.

لقد أنزل الله كلاما شديدًا فيمن يتخلى عن النبي ﷺ أو يتولى عنه أو يتكاسل أن يجاهد معه، وهذا الكلام الشديد جديرٌ بأن نُعَلِّقه في بيوتنا وعلى هواتفنا لنتأمله صبحاً وعشيا، كي لا ننسى ولا نغفل أننا في معركة حقيقية، قائدنا فيها محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢٤].

بعد ألف يوم من

حملة المقاطعة لازلنا نقول:

قاطعوا المنتجات الفرنسية!

الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

ألف يوم مرّ على انطلاق حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية و«أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ». كما أخبر بذلك النبي المصطفى ﷺ.

هذه الحملة بمثابة جهدٍ من مُقِلّ يقدمه أتباعه ﷺ وأنصاره من مختلِف بلاد العالم، في وجه تطاول الطغمة الفرنسية المستكبرة على النبي ﷺ، التي لا هي راعت مشاعر قرابة مليارَي مسلم، ولا هي امتثلت لقرار المحكمة الأوربية -الذي صدر في ٢٠١٨/١٠/٢٥م- بتجريم ذلك التطاول.

المساس بالجناب النبوي المطهر ليس بأول الجرائم الفرنسية، وإن كان أشدَّها وأقبحَها، فتاريخها الإجرامي ملآن، وسجلها الاستفزازي حافل.

وإن مما بقي من الماضي القريب شاهداً على الحجم الهائل للحقد الفرنسي، ومثالاً على التخلف والوحشية لدى جيشها الذي غزا عدة بلدانٍ جنوبَ المتوسط: متحف الإنسان Le musée humain في باريس، والذي بلغ انتهاكُ (حقوق الإنسان) في أروقته مبلغًا يفوق الوصف، ويكشف زيف الشعارات، وسراب المصطلحات المعسولة التي يلوون بها ألسنتهم، فقد اصطفت على أرفف العرض فيه جماجمُ يحمل أصحابُها أسماءَ «محمد» و«عمر» و«علي» و«مختار» و«سعيد» وغيرها.

ولم يكن لأصحاب هذه الجماجم من ذنب إلا الأنَفة أو «النيف» كما يقول الجزائريون، الأنفة من أن تُدنِّس أقدامُ الغزاة الفرنسيون أرضَ الجزائر الذي فتحتْه سواعد التابعين، وضربَ الإسلامُ فيه بجرانه.

لم تكن لهم جريمة سوى دروس علموا فيها فرنسا ماذا يعني أن تطأ أحذيةُ عساكرها ترابهم.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

كان جزاء هؤلاء المجاهدين الجزائريين أن تُقطع رؤوسهم، وتُحمل إلى باريس لتُعرض في متحف سمي زوراً وبهتاناً «متحف الإنسان»، وما تزال تلك الجماجم شاخصة في ذلك المتحف إلى يوم الناس هذا، ولم يُرَدَّ منها إلا أربعٌ وعشرون جمجمة قبل ثلاث سنوات، بعد مائة وسبعين سنة، لإرضاء النزعة السادية لدى السفاحين من جنرالات فرنسا. وربما لتحريض غيرهم على أن يحذوا حذوهم باعتبار أن الأمة الإسلامية نائمة، ولم تعد تستيقظ على وخز الإهانات، أو تنزعج لصدى الاستفزازات! وما زالوا يتباطؤون في ردها، وكأنهم يخشَون أن ينطفئ حقدهم، ويَبْرُدَ حَنَقُهم تجاه من انتصروا عليهم في معركة التحرير.

وسواءً كان هذا أو ذاك أو ذلك كله، فليس ثمة فرق، فإن هذه الجماجم ستبقى شاهدةً على صمود الشعب الجزائري من جهة، وعلى نفاق الشعارات الفرنسية الرسمية، وعلى النفسية المنحرفة لسفاحيها من جهة أخرى.

ولقد ضج الإعلام الغربي والعربي من جرائم داعش، وتفننوا في تسليط الأضواء على ما قاموا به من فظائع، ولكن مَن لجرائم دولة مثل فرنسا في حق شعوب إفريقيا شمالها وجنوبها؟

نعم فالدعشنة لم يبتدعها مجرمو «البغدادي» فلقد سبقه «هيربيون» و«مونتانياك» و «أرنو» و«باراكي» وغيرهم من جنرالات الدم وجنودهم الخاطئين. وستبقى هذه الجماجم وسامَ عز وفخر لعائلات أولئك الأبطال الذين علموا الفرنسيس ماذا يعني أن تطأ أحذيتهم ترابَ الجزائر.

ستبقى تلك الجماجم -كذلك- شاهدة على زيف شعارات حقوق الإنسان التي ترفعها فرنسا، ومثيلاتها من دول الغرب الاستعمارية.

- **قاطعوا المنتجات الفرنسية.. انضم الآن!**

أيها المحبون الغيورون!

ساسة فرنسا عُبّاد للمال، وتَوَقُّعهم كسادَ اقتصادهم، وبوارَ تجارتهم، خطبٌ مُرْعِب، فهذا أوان الشدّ فشُدّوا الهمة، واتخِذوا من العزم شعاراً ودثارا، ومن الحزم رداءً وإزارا، وأوقدوا شموع المحبة في القلوب، ومصابيح الشوق في النفوس، واستمروا في مسيرة المقاطعة لمن شتموا رسولكم ﷺ.

أرأيتم لو أن أحدنا نزل السوق فوجد بضائع لشاتِمِ أبيه أو أمه، أترونه مشترياً منه إبرة؟! أفيكون رسولُ الله ﷺ أهونَ عليه منهما؟!

وبِمَ يشعر القلبُ حينئذٍ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]؟

يا أيها المحب لرسول الله، الحريص على التحقق بواجب التوقير والتعزير لجنابه المطهر!

هل إذا قرأتَ قولَ الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. [التوبة: ١٢٠-١٢١].

وفي هذه الآيات «نهي بليغ وتوبيخ لهم وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية». كما قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيرها. هل إذا قرأتها أيها المحب الغيور عرضتَ نفسَك عليها، فوزنتَ قوة إيمانك بميزانها، وعايرت صدقَ محبتك بمعيارها؟

لترى: هل رسول الله ﷺ أحبُّ إليك من نفسك وولدك ووالديك والناس أجمعين بل المخلوقات بأسرها، أم أنك ستسقط في الامتحان أمام زجاجة عطر فرنسية، أو قطعة أثاث سويدية؟

أعاذني الله وإياك من ذلك!

﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ﴾ في بقائها وراحتها، وسكونها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ الكريمة الزكية، بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي ﷺ بنفسه ويقدمه عليها»[1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2]. وفي رواية لمسلم: «لا يؤمن الرجل حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين».

---

١ تفسير السعدي.

٢ متفق عليه.

أي «أن من استكمل الإيمان عَلِمَ أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استُنقِذْنا من النار، وهُدِينا من الضلال». كما قال ابن بطال، وكذلك يدخل في «محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته؛ فيبذل ماله ونفسه دونه»، و«حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد، ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن»[٣].

أين نحن من الأوائل؟ إن بيننا وبينهم فرقاً هائلًا وبَوناً شاسعاً.

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن سعيد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة يقول:

بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له (ثمامة بن أثال) سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي يا محمد خيرٌ، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكر، وإن كنتَ تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك؛ إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسَلْ تعط منه ما شئت.

---

٣ كما قال القاضي عياض، نقل ذلك كله عنهما الإمامُ النووي، رحم الله الجميع.

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك؛ إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله، ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينُك أحبَّ الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوتَ؟! فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ».

إنها مقاطعة اقتصادية غضباً لله ومحبةً لنبيه ﷺ.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم •• إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

إننا في الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام -إذ ندعو إلى استمرار المسيرة المباركة لمقاطعة البضائع الفرنسية- لموقنون يقيناً قاطعاً، ومؤمنون إيماناً جازماً أن الله منتقم لرسوله وحبيبه، وأن كل متطاول على جهته العزيزة ﷺ أبتر مخذول، كيف والله تعالى قد قال في كتابه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾. [الحجر: ٩٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

إننا موقنون بذلك كله، فقضاء الله وقدره، وسُنَّتُه في شأن المعركة بين أوليائه وأعدائه، كل ذلك يؤكد هذه الحقيقة، ولكن ذلك يتم بسواعد المؤمنين، ويتحقق بسعي الصادقين، لقد قضى الله تعالى بحفظ كتابه القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولكن ذلك قد تمَّ بأسبابه، إذ قد جعل الله لكل شيء سبباً، ولقد كان من أسباب حفظ الله لكتابه الكريم أن ألهم سبحانه وتعالى أصحابَ رسول الله ﷺ أن يجمعوا القرآن الكريم في مصحف واحد، وذلك بعد أن حصدت حروبُ الردة عدداً غير قليل من القراء من الصحابة والتابعين، فانبرى أبو بكر الصديق رضي الله عنه لهذا الأمر.

فهذا كذلك سواء بسواء.

وختامًا:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

الرسالة المحمدية الخالدة...
الرَّحمة المهداة للعالمين

د. علي الصلّابي
المؤرخ الإسلامي

لا شك أنّ الدفاع عن النبي ﷺ، وكتابنا العظيم، واجب شرعيّ عقليّ، ولعل من أوجه ووسائل الدفاع المهمة في زماننا هو تعريفُ الأمم والشعوب وأبناء الثقافات المختلفة بالقرآن الكريم، والتي يجهل كثيرٌ منها مقاصدَه العظيمة في التوحيد والعدالة، والتنوع، وتكريم الإنسان، ومعرفة تاريخ الإنسانية الحقيقي، والتعريف بالأخلاق التي دعا إليها النبيّ ﷺ، والقيم السامية التي تمثّل بها ودعا إليها، والتعريفُ بها والدعوة إليها، كلّ ذلك من أعظم مناصرته ﷺ.

وإن إتقان أساليب الدعوة الحديثة، ووسائلها المتعددة والمتنوعة من وسائل الإعلام المعاصرة، تدخل ضمن مناصرة النبي ﷺ، كما أن مناصرة النبي ﷺ يجب أن تتنوع بين المناصرة العقلية والوجدانية والعاطفية والمنطقية، وينبغي أن ترتكز على فكرة الأخذ بالأسباب، والمدافعة في عالم العقائد والثقافة والأفكار، وذلك من خلال بيان القيم والأفكار والمبادئ الإسلامية العظيمة التي أسّسها، والحضارة الإسلامية السامية التي تركها على بناء متين حتى انتشرت عطاءاتها وآثارها في العالمين. وإن العقيدة الإسلامية العظيمة هي امتداد لموكب الأنبياء والمرسلين من عهد أبينا آدم عليه السلام، والتي أجابت عن كثير من الأسئلة الوجودية الكبرى التي يبحث عنها الإنسان في الحاضر والمستقبل.

ولذلك يخص هذا المقال الكلام على أهم الجوانب التي تميزت بها الرسالة المحمدية العظيمة الخاتمة، والتي بها كَمُلَ الدين، وتمّتِ النعمةُ الربانيةُ على البشرية، إذ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

وتتميّز الرسالة المحمدية التي حملها سيدنا رسول الله ﷺ، عن الرسالات السابقة كلّها بجملةِ خصائص في مقدمتها[١]:

١. أنها رسالة عالمية

جاءت رسالةُ الإسلام عامةً إلى الثقلين: الإنس والجن، وإلى الأبيض والأسود، وهذه من الخصائص الكبرى المميّزة للإسلام، فإن الرسالات السابقة كانت خاصةً بأمة معينة، وتنقضي بزمان محدّد، قد قال تعالى:

---

١ ركائز الإيمان، ص٣٣٨.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. وأمّا خاتم النبيين محمد ﷺ فقد خاطبه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

٢. أنها تحقق المصلحة وتدفع المفسدة

إنّ الرسالةَ المحمّدية جاءت لجلب الخير للناس، ودفع الشرِّ وأشكال الضرر عنهم، فهي ليست للعبث أو الهزل أو اللهو، ولم تأتِ كذلك لتجلب للإنسان الحرجَ والشقاءَ، ولكنّها جاءت جادّة في دفع المفسدة، وجلب المنفعة، حتى إذا ما تحققت للناس عناصرُ الخير والراحة والسعادة والاستقرار، فقد تحققت مقاصدُ الشريعة على التمام، يقول الشاطبيُّ في هذا الصدد: إنّ تكاليفَ الشريعة ترجعُ إلى حفظِ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصدُ لا تعدو ثلاثة أقسام:

- أحدها: أن تكون ضرورية.
- وثانيها: أن تكون حاجية.
- وثالثها: أن تكون تحسينية.

فأمّا الضرورية فمعناها أنّها لابدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالحُ الدّنيا على استقامة، بل على فسادٍ وفوتِ حياة، وفي الحياة الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين.

ومجموع الضروريات خمسةٌ وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد صانت الشريعةُ كلاً من هذه الضروريات، وأوجبت لصونها عقوبات، كالقصاص في القتل، والحد في الزنى والقذف والسرقة وشرب الخمر.

وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتَقَرٌ إليها من حيثُ التوسعة، ودفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، ومن أجل ذلك شرعت الرخص المخففة في العبادات، كإباحةِ الإفطار للمسافر والمريض، وشرعت في المعاملات عقودَ القروض والمساقاة وغيرها.

وأما التحسينات فمعناها الأخذُ بما يليقُ من محاسن العادات، وتجنّب ما تأنفه العقول الراجحةُ، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وذلك كالطهارة وستر العورة، وأخذ الزينة، وآداب الأكل والشرب، ومجانبة الإسراف والإقتار وغير ذلك[٢].

وخلاصةُ القول: إنَّ الإسلامَ بعقائده وشرائعه ونُظمه وتعاليمه ومعانيه إنّما جاء ليحقّق للإنسان الحياةَ الفاضلة الكريمة التي تتجسّدُ فيها أسبابُ المصالح، وتندفعُ فيها أسبابُ المفاسد.

إنّ الأنظمة الوضعية التي وضعها البشر لم تفلحْ في صبغ الحياة البشرية بصبغة الأمن والسعادة والاستقرار، فضلاً عن إخفاقها الذريع في دفع الضرر والفساد على وجه الأرض، بل إنّ الحقيقة المرة

---

٢ ركائز الإيمان، ص٢٥٧.

هي أنّ هذه المبادئ والنُظم التي صنعها البشر قد أفلحت في إغراق الإنسان في جحيم الكوارث المآسي والويلات، وأوردته مواردَ الشقاء والعيش البائس، ذلك العيش المنكود، الذي تجسّد في حصائل متعددة من الأمراض والحروب والمجاعات والقلق والأحزان، وهي أضرارٌ ومفاسدُ يعاني منها الإنسان، وسيظلّ يعاني حتى يهتدي، فيعودُ إلى الصواب بعد أشواط طوال من الويلات والأرزاء.

٣. رحمة الدعوة المحمدية

إن الله لم ينزل هذا الدين أصلاً ولم يرسل محمداً ليعنت به الناس، قال تعالى: ﴿إِنْ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالسماحةُ من أكبر صفات الدعوة المحمدية، قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الدِّينِ إلى اللهِ الحنيفيةُ السمحةُ»، ويرجعُ معنى السماحة إلى التيسير المعتدل، وهو معنى اليسر الموصوف به الإسلام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن سماحة الدعوة المحمدية إنكارها على أصحاب النزعات المتطرفة والذين يحرّمون الطيبات والزينة التي أخرج لعباده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨]. وهذه الآية الكريمة تبيّن للمسلمين حقيقةَ منهج الإسلام في التمتع بالطيبات ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان أو عند بعض المتنطعين[٣].

ومن سماحة الدعوة المحمدية ما يتبعه من منهج في الدعوة إلى الله عز وجل وجدال المنافقين، ففي القران الكريم قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن تأمّل الآية الكريمة يجد أنّها لا تكتفي بالأمر بالجدال بالطريقة الحسنة، بل أمرت بالتي هي أحسن، فإذا كان هناك طريقتان للحوار والمناقشة إحداهما: حسنة، والأخرى أحسن منها، وجب على المسلم أن يجادِلَ بالتي هي أحسن جذباً للقلوب النافرة، وتقريباً للأنفس المتباعدة[٤].

ومن أبرز الميزات التي تتحلّى بها الدعوة المحمدية بأنها سهلةٌ ميسورةٌ، وهي بطبيعتها تعارِضُ المشقة، وتنفي أية صورة من صور الضيق والحرج، وإن في القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة تنفي كل أنواع الحرج التي لا يطيقها الإنسان أو يشق عليه احتمالها، ومن أدلة التيسير:

---

٣ سماحة الإسلام، عمر بن عبد العزيز، ص٣٧٠.

٤ الإيمان بالقرآن والكتب السماوية، للمؤلف، ص٩٤.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥- ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلا مَآ أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

إنّ من خصائص الرسالة المحمدية العظيمة، أنها محفوظة بحفظ الله تعالى لها، فإنه لما كانت الرسالات السابقة مرهونةً بوقت معين، وزمان محدود، لم يتكفل الله تعالى بحفظها، بل وكل حفظَها إلى علماء تلك الأمم، التي أنزلت إليها، فأوكل حفظ التوراة إلى الربانيين: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولم يستطع الربانيون والأحبارُ حفظ كتابهم، وخان بعضُهم الأمانةَ، فغيروا وبدّلوا وحرّفوا، أمّا هذه الرسالة الخاتمة فقد تكفّل الله بحفظها، ولم يكِل حفظها إلى البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وحفظ كتابها من التحريف والتبديل: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

لهذا يسيؤون

للحبيب محمد ﷺ

د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين

الحمد لله الذي جعلكم أمة وسطاً؛ لتكونوا شهداء على الناس، وقد سمَّاكم المسلمين من قبلُ، وفي هذا؛ لتكونوا شهداء على الناس، فقد كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، كما أنه ما أَرسل رسوله إلا رحمةً للعالمين، فالذين آمنوا به، وعزَّروه، ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون. وبعد:

فإن ما نراه من العداوة والبغضاء لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأوليائه المؤمنين، وما نُبصره من المسارعة في الإثم، والعدوان، ومعصية الرسول من أعداء الله وأعدائنا، سواء من الصهاينة أو المتصهينين، من الأمريكان والأوروبيين، أو الملحدين والوثنيين، وكذا من المنافقين والمنحرفين من العرب والفلسطينيين، ليس مستهجناً، بحكم التناقض بين مَنْ آمن ومَنْ كفر، وبين مَنْ أسلم وجهه لله، وأخلص دينه لله من ناحية، وبين مَنْ نافق وخالف من ناحيةٍ أخرى.

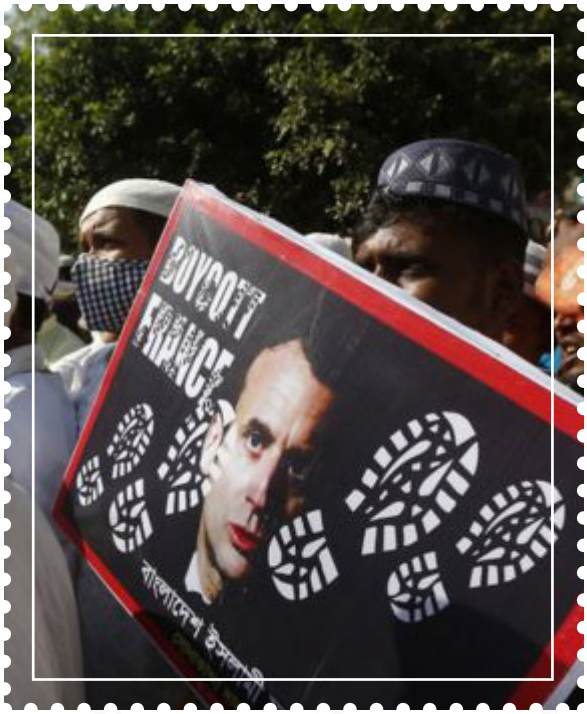

ذلك أن الله عز وجل قد جعل لكلِّ نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن يُوحِي بعضُهم إلى بعض زُخرف القول غُروراً، كما أن الشياطين لَيُوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وقد جعل لكلِّ نبيٍّ عدواً من المجرمين، ومن هنا فقد هَمَّتْ كل أمةٍ برسولهم ليأخذوه، وجادلوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، وقالوا لرسلهم: لنخرجنكم من أرضنا، أو لتعودُنَّ في ملتنا.

وقد عبَّر القرآن العظيم عن تلك العداوة حيناً بالمحاربة، وتارةً بالمشاقَّة، وثالثةً أخرى بالمحادَّة لله ورسوله، فقد هدَّد الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً، بما جاء من الحدِّ أو العقوبة للحرابة، وقطع الطريق في سورة المائدة (٣٣).

كما أنه عز وجل قد جعل علة البطشة الكبرى للمشركين يوم بدر، وكذا الجلاء ليهود بني النضير إلى أول الحشر أنهم شاقوا اللهَ ورسولَه، وأن سُنَّتَهُ جارية بأن من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، كما في الأنفال (١٣) والحشر (٤).

ثم إن من يُحادِدِ اللهَ ورسولَه فأنَّ له نارَ جهنمَ خالداً فيها في الآخرة، وإن الذين يحادُّون اللهَ ورسَوله أولئك في الأذلين في الدنيا، فقد كتب لَيَغْلِبَنَّ هو ورسله، وإن جنده لهم الغالبون، وإن حزب الله هم الغالبون المفلحون.

إن اليهود هم أعداء الله، وملائكته، ورسلِه، وجبريلَ وميكالَ، وإن الله عدوٌّ للكافرين، ولذلك فهم يُسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، لبئس ما كانوا يصنعون، فهم شرُّ الدوابِّ عند الله، ومِثْلُهم المشركون العرب، كما في سورة الأنفال (٥٥)، (٢٢).

وأما النصارى فإنهم واليهود بعضهم أولياء بعض، وهم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هُوداً أو نصارى، فقد قالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تَتَّبِعَ ملتهم، فضلاً عن زعم الفريقين أنهم أبناء الله وأَحِبَّاؤُه، وهو الذي يعذبهم بذنوبهم، فلا يغفرها لهم؛ فهل هذا ما يفعله الأبُ بِبنِيه؟!

إن مشكلة النصارى أن اليهود قد أفسدوا عقيدتهم، وأَلْبَسُوا عليهم دينهم؛ بأسطورة المسيح المخلِّص، وأنه رضي بالقتل والصلب؛ ليكفِّرَ عنهم خطيئة آدم، ويمنحهم صكوك الغفران، فصاروا من بعدها صليبيين، ولم يعودوا مسيحيين، وحين دُعُوا إلى المباهلة وَلَّوْا مدبرين، فقال الله عنهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣]

ذلك أنه إذا فسدتِ العقيدة فسد السلوك والأخلاق، وقد يتحوَّل الإنسان حائذٍ إلى وَحْشٍ مُفْترسٍ، ومصداق ذلك ما فعله الأمريكان بالهنود الحمر من تعذيبٍ واستعباد وإبادة، وقُلْ مثل ذلك عندما احتلَّ الإنجليز استراليا!

ثم مَن الذي ارتكب جرائم محاكم التفتيش في الأندلس وغيرها؟! ومَنِ الذي استعبد الناس زمن الاحتلال الروماني؟! وماذا فعل الصليبيون على مدار قرنين في الهجمات الثمانية على العالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع للهجرة، وفي بيت المقدس وساحات الأقصى على وجهٍ الخصوص؟! وكم عدد الذين قُتلوا في الصراع بين الصليبيين أنفسِهم؟! وما هو الرقم التقريبي لعشرات الملايين الذين أُبيدوا في الحربين العالميتين في غضون ثلاثين سنة من القرن الماضي، وبالأخص في المدينتين اليابانيتين اللتين ضربتهما أمريكا الصليبية بالقنابل الذرية؟!

أضفْ إلى ذلك أرقاماً فلكية لا يعلمها إلا ربُّ البرية في جميع مناطق العالم، سواء بالعدوان المباشر من الصليبيين، أو بدعمٍ منهم لأنظمة الحكم الجبري التي تقمع شعوبها، أو تدخل في صراعٍ مع جيرانها لحساب الأمريكان والأوروبيين، وخُذْ نموذجاً في الحرب المنسية بقصف المدن بالصواريخ العشوائية على مدار ثماني سنوات بين صدَّام والخميني، ثم في معركة تحرير الكويت، وما جرى بعدها من قتل وتدمير باسم القضاء على الأسلحة المزعومة للدمار الشامل، ولا زال القتل مستمراً في بلاد الرافدين، لا سِيَّما في أهل السُّنة.

وماذا جرى في سوريا، وليبيا، ولبنان، ولا زال قائماً، وبالأخص في السودان، ودَعْكَ مما فعل الأمريكان في أفغانستان، وغيرها من البلدان، سواء كان ذلك بالحروب الساخنة، أو الباردة؛ بالاحتلال المرئيّ وغير المرئيّ؟!

وإذا ذهبنا نتحدث عن فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، والدنمرك، والسويد التي تسرق الصبيان، وتحرق القرآن؛ فإن الوصف يطول، وحسبُنا أن الله عليم بالمفسدين، وأن الذين طَغَوْا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، قد صَبَّ عليهم ربُّك سوط عذاب، وما هي من الظالمين ببعيد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]!

وأما المشركون فقد نهانا ربُّنا سبحانه وتعالى أن تتخذوهم أولياءَ تُلْقُون إليهم بالمودة؛ بوصفهم عدواً له ولنا، وقد كفروا بما جاءكم من الحق، كما أمرنا أن نُعِدَّ لهم ما استطعتم من قوة، ومن العاديات، ما تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، ويكفي أن نمثِّلَ هنا بكل من الأُمَّتينِ الصينيةِ والهندية، وما تجترحه أو تقترفه من جرائم الإبادة الجماعية في حقِّ أبناء الأمة الإسلامية، وكلُّ دولة منهما تكاد تنيفُ عن عدد الشعوب الإسلامية، ومجموعهما يكاد يوازي ثلث البشرية، وما أكثرُ الناس ولو حَرَصْتَ بمؤمنين.

ولا يفوتني أن أَشُدَّ الانتباه إل خَطَر المنافقين الكائنين من بني جلدتنا الذين هم العدوُّ، فاحذرهم، كما جاء في السورة التي تحمل اسمهم، الآية (٤)، فهم في الظاهر كجلود الضأن نعومة، وقلوبهم كقلوب الذئاب قسوة، وهم الذين يسارعون في ولاء اليهود والنصارى، ويحلفون لهم لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم، وإنْ قوتلتم لننصركم، كما أنهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، وفيكم سمَّاعون لهم.

ومن هنا لابد من التساؤل عن سِرِّ هذا العداء الشديد في العالم الصليبي والوثني للإسلام، ولأمة الإسلام، بحيث لا يرقبون في مؤمن إِلًّا ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون، وإن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، وَوَدُّوا لو تكفرون، كما وَدَّ المنافقون لو تكفرون كما كفروا، فتكونون سواءً؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن تسجيل الكثير من الأسباب، وفي حدود ما يسمح به المقال، فإنني أسجِّل البنود الخمسة التالية:

١ إن العالم الصليبي، وبالأخصِّ بريطانيا وفرنسا، هو الذي أسقط الخلافة الإسلامية التركية، وبالشراكة مع بعض الخونة العرب، وأسهموا في تمزيق الأمة إلى سِتٍّ وخمسين دُويلةً، أو مخترةً، وكان نصيب العرب منها اثنتين وعشرين، ولا زالوا يتطلعون ويعملون على تقسيم المقسَّم، وتجزيءِ المجزَّأ، في كل من السودان ومصرَ، والعراق، وسوريا، وفي السعودية والصحراء المغربية، وفي غيرها من البلدان العربية، وحتى على مستوى فلسطين، فإنهم يُبيِّتون إرجاع غزة إلى الحكم العسكري المصري، بينما الضفة الغربية من نصيب الأسرة الهاشمية، ومصير اللاجئين هو التوطين حيثُ يقيمون، وربما يُخَبِّئون تذويبهم بالتعويض والتجنيس، وغير ذلك من المكر الخسيس.

٢ إن الذي يقف عقبةً كَؤُوداً في طريق هذه المؤامرات الشيطانية هو الصحوة الإسلامية، والمارِدُ الإسلامي الذي يبعث الأمة من مرقدها، ويتطلع إلى إعادة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة؛ فهل يستهجن بعد هذا ذلك العداءُ المهلك للحرث والنسل؟!

٣ إن عودة الخلافة الإسلامية حتمية قرآنية، وبشرى نبوية، فقد أرسل ربُّنا سبحانه وتعالى رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، كما أن نبيَّنا ﷺ قد أخبرنا أن أمة الإسلام سوف تتقلَّبُ في خمسة أحوال، أَوَّلُها النبوة والرحمة، تليها الخلافة والرحمة، ثم تصير مُلْكاً عاضّاً وراثياً، ثم تؤول إلى مُلكٍ جبريٍّ، وترثه خلافةٌ إسلاميةٌ راشدة على منهاج النبوة، مهما كان فيها من دَخَلٍ أو دَخَن، وتلك هي المرحلة الأخيرة حتى نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

وقد لاحت تباشير هذه الحقبة، ولذلك فإن أعداء الله ورسوله، الحاقدين على وَحْيِهِ وكتابه، المتجِّهمين لأوليائه وأحبابه، يمكرون بالليل والنهار، لتأخير ما ينتظرهم من الويل والانهيار، فهم يسابقون الزمن، وما دَرَوْا أنهم بذلك ينبهون الغافل من هذه الأمة، ويوقظون النائم؛ بل ويبعثون الموتى الذين قتلهم حُبُّ الدنيا، وكراهية الموت، وانظروا إلى الصُّوَر المسيئة لرسول البشرية، وخير البرية؛ كيف أسهمتْ في تجمع أنصار النبيِّ ﷺ، وفي صدور هذه المطبوعة الشهرية المباركة، وما صاحب ذلك من الأنشطة والفعاليات، والمحاضرات والمؤتمرات، وهذا مجرد مثال للأحوال التي يُهَيِّئُ بها ربُّنا -وهو شديد المحال- الظروفَ والأسباب لظهور دينه على الدين كلِّه، وكفى بالله شهيداً.

ولعل من أسباب كونهم أَلَدَّ الخصام يقينَهم بأن أمة الإسلام مُبَشَّرةٌ أن تفتح (روما) من بعد فتح (القسطنطينية)، وقد فُتحت الأُولى، والدَّوْرُ القريب على الثانية؛ بل إن البشارة النبوية اليقينية بأن الله

عز وجل قد زَوَى لخاتم النبيين الأرض، فرأى مشارقها ومغاربَها، وأن ملك أمته سيبلغ ما زُوِيَ له منها؛ بل إن هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار؛ حتى لا يبقى بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا ودخله الإسلام بِعِزِّ عزيزٍ، أو بِذُلِّ ذليل، عزاً يُعِزُّ به الله الإسلام، وذُلّاً يُذِلُّ به الشرك.

ومن هنا كانت هذه الهجمة المسعورة على الإسلام، ورسوله، وكتابه، وعلى المنتسبين إليه، وبصورٍ شتى، لا سيما مظاهره الدالة عليه، كحجاب المرأة المسلمة، وعِفَّتها، وأُسْرِتها؛ اعتقاداً منهم أن كأساً وغانيةً تفعل بأمتنا ما لا يفعله ألفُ مدفعٍ أو صاروخٍ، أو حتى الطائرات المسيرة، والسلاح النووي، ولكنَّ المكر السَّيِّءَ لا يحيق إلا بأهله، ومَكْرُ أولئك هو يبور، حتى لو حاكه أكابر مجرميها، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون، والله خير الماكرين.

٤ إن رسالة الإسلام تنسجم مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولذلك فإن دعوة الله تبارك وتعالى تنتشر في الأرض انتشار النار في الهشيم، ومن المتوقع أن تتحول أوروبا إلى قارةٍ إسلاميةٍ في المستقبل المنظور دون الحاجة إلى الإيجاف بِخَيْلٍ أو ركاب، برهانُ ذلك أن الحضارة المادية فيها قد أفلستْ، بل أَشْقَتْ شعوبها، ومَنْ دخل جُحْرَ الضَّبِّ معها، وهم يعتنقون الإسلام، ولو بمعرفة ما تيسَّر من تعاليمه السمحة؛ فإن الفكر الوسطي، والفقه الميسَّر، يدخل على القلوب دون استئذان، وقد أعلن مؤخراً قِسٌّ إسلامه لمجرد رؤيا منامية، وأسلم بإسلامه مائة ألفٍ من المسيحيين أو يزيدون، وقد أدَّى فريضة الحج لهذا العام، ومعه ثلة منهم، وكنتم ترون أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون: ربنا آمنا، فاكتبنا مع الشاهدين، بل يَخِرُّونَ للأذقان يبكون، ويَزِيدُهم خُشوعاً.

٥ إن العالم الصليبي متخوّفٌ من الثأر والقصاص؛ فإن الحرماتِ قصاص، وإن أمتنا إذا أصابهم البغيُ هم ينتصرون، بل نحن مأمورون أن نُجاهد الكفار والمنافقين، وأن يجدوا فينا غلظة، وألَّا نَشُدَّ الوثاق إلا بعد أن تُثْخِنَ في الأرض؛ حتى تضع الحرب أوزارها، وقد أتى علينا حينٌ من الدهر لم نكن شيئاً مذكوراً، فتداعتْ علينا الأمم، كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها، ففعلوا بنا الأفاعيل، ولم يَذَرُوا حرمةً إلا وانتهكوها، وقد طَفِقَتْ أمتنا تعود سيرتها الأُولى، وحين نأخذ الكتاب بقوةٍ، فلا طاقةَ لهم بقادة الإسلام وجنوده، فإننا أمة نعشق الشهادة في سبيل الله، كما يعشقون الحياة الدنيا وزينتها وزيادة، ولهذا فإننا نقاوم عدوانهم ما بقي فينا فردٌ واحدٌ، أو عِرْقٌ يَنْبِض؛ ولا نَهُونُ لِمَا أصابنا في سبيل الله، ولا نَضْعُفُ، ولا نستكين؛ فإن الشهداء أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، ولن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وهل يتربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بهم أن يصيبهم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا، فلْيتربصوا بنا رَيْبَ المَنُون، إنا معهم متربصون.

وفي ختام هذا المقال؛ فإننا نرجو أن نكون ممن يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله؛ لنكون ممن صدق ما عاهد الله عليه؛ لئلا نقول يوم القيامة: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، أو يقول أحدنا: يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً، وياليتني قَدَّمْتُ لحياتي.

❁ وهي مسؤولية الجميع، وخاصة الجيل الجديد، بالعمل الدائم لكل مسلم، فالأبوانِ مع الأبناء، والأبناء مع الأقران، والأصدقاء مع الخِلَّان، والمدرِّس مع تلاميذه، والسياسيُّ في حزبه، والإعلامي في قناته، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فلا تكونوا ممن خان الله ورسوله، وخانوا أماناتِهم وهم يعلمون، لعلكم تكونون ممن زُحْزِحَ عن النار، وأدخل الجنة في أضعف الإيمان، وربنا الرحمن هو المستعان، وعليه التكلان.

وصلى الله على سيدنا محمد، على آله وصحبه وسلم

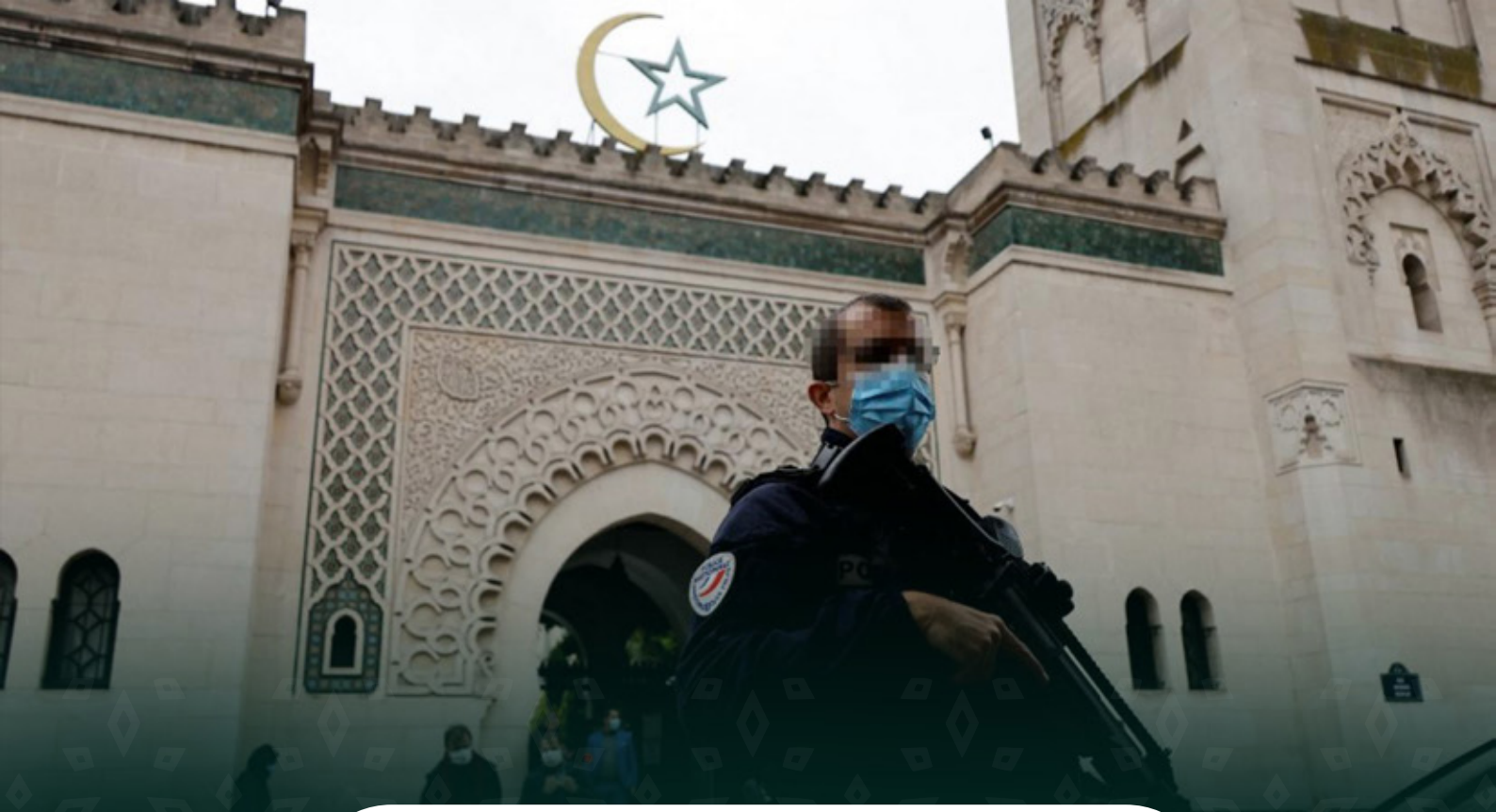

لماذا يخاف الغرب القوي من المسلمين الضعفاء؟

الشيخ محمد بن محمد الأسطل

باحث في العلوم الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد:

فإنَّ الله تعالى قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وقد بقي الإسلام حاكمًا لمدةٍ تزيد عن ألف سنة، ولم تقف المدافعة بين المسلمين والكفار أثناء ذلك حتى سقطت دولة الخلافة الإسلامية من مائة سنةٍ بعد أكثر من مائة مشروعٍ غربيٍّ ساعٍ في إسقاطها.

وبهذه المصيبة الكبرى التي نزلت بأهل الإسلام صارت الكلمة لأهل الكفر بدءًا ببريطانيا وفرنسا عقب الحرب العالمية الأولى وما تلاها، مرورًا بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي عقب الحرب العالمية الثانية، وليس انتهاء بتفرد الولايات المتحدة بحكم العالم في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١، واليوم تحاول روسيا والصين أن يكون لهما موطئ قدم داخل النظام الدولي.

أما الأمة الإسلامية فلا زالت بعيدةً عن قيادة المشهد، بل إنَّ رزمةً ضخمةً من عوامل الضعف فيها تبقيها بعيدةً كل البعد عن ذلك من مثل تقسيم البلاد الإسلامية، وغرزِ أنظمةِ استبدادٍ وظيفيةٍ تتبع المحتل الدولي، ونَهْبِ ثروات الأمة ومقدراتها، وإقصاء الشريعة عن الحكم، واغتيال كل شخصية إسلامية يجتمع المسلمون عليها، وإضعاف مراكز القوى الدينية والتحكم في رؤوسها، والتحكم في المناهج التعليمية في المدارس والجامعات، واعتقال العلماء والمجاهدين وذوي النبوغ، فضلًا عن مَلْءِ الساحة بسيول الشهوات وركام الشبهات إلى غير ذلك من بنود قائمةٍ طويلة لا تكاد تنتهي.

وأمام ذلك فمن الطبيعي ألا يكون في الأمة أهلُ حلٍّ وعقد، بل ولا مجرد أهل رأي؛ بحيث يتولون قيادة المشهد من جهة التنظير فقط، فقد تم إشغال كل بقعةٍ بما فيها من أحداث وهموم، وصار ضغط الأزمات وكثافة الحوائج والمشكلات سببًا في ذهول أولي الألباب عن القيام بدورهم من العناية بقضايا الأمة الإسلامية وهمومها الكبرى إلا من رحم ربي وقليلٌ ما هم.

وإلى جوار ذلك فإنَّ أدوات الباطل التي تُسَوِّغُهُ وتقف بوجه كل طريقٍ من الإصلاح تكاد تسد الأفق في وجه أهل الحق من مثل رجال الإعلام وشيوخ السلطة، فضلًا عن تشويه صورتهم واتهامهم بالإرهاب والتخلف والتطرف وما إلى ذلك.

فالمشهد على هذا النحو يكاد يُورِثُ حالةً من اليأس في صفوف العاملين للإسلام؛ لما يشي بتمكينٍ تام لأهل الكفر وأدواتهم، وأنهم باتوا في أَمَنَةٍ من خطر المارد الإسلامي.

إلا أنَّ الأمر من جهة الحقيقة ليس كذلك، أَصْغِ لأخينا الشيخ الفاضل أحمد الجوهري وفقه الله إذ يقول: «يا له من دين، في أقوى مراحل ضعفه قد عُطِّلَت عواملُ نصرِه، ودُعِمَت عواملُ هزيمته، وعوقت عوامل نهضته وبعثته. اجتمع عليه أعداؤه، وتخلى عنه أولياؤه، وأهمل الجد له أبناؤه. أقصيت غايته، وشتت أهدافه، وفُرِّغَ مضمونُه. ومع ذلك ما يزال مهابًا يكيده أعداؤه كأنه في أقوى أدواره، ويدنسون مقدساته كأنها تمد الساحات بالأبطال، ويعملون على إغاظة أبنائه كأنهم يصطفون لمحاربتهم. قد أرهقهم في مرضه، وخوفهم في ضعفه، وأرهبهم بصمته، فكيف لو عوفي! كيف لو قوي! كيف لو تكلم وزمجر؟!» ا. هـ.

وإزاء ذلك أردت عبر حروف هذه المقالة أن أطرق هذا السؤال الذي قد يبدو محيرًا: لماذا يخاف الغرب القوي من المسلمين الضعفاء؟!

نعم؛ لماذا تخاف الدول الكبرى من الجماعات الإسلامية رغم أنَّ خبرتها قليلة وإمكانياتها محدودة؟! لماذا ترتجف الأنظمة المستبدة من أي جهدٍ إسلامي ولو كان بالغ الضعف محدودَ الأثر ومن يتولاه شباب ضعفاء لا حول لهم ولا قوة؟! لماذا تخاف الدول الكبرى وأدواتها من مجرد منشوراتٍ شبكيةٍ ويضعون من الخوارزميات ما يُسكِتُون به كلَّ صوتٍ مخالفٍ مع أنهم متحكمون بقواعد اللعبة؟!

إنَّ الجوابَ يكمن في تلك الخصائص التي يتمتع بها الإسلام والتي عادت على المسلمين بالثبات والاستماتة في نصرته والتضحية في سبيله.

إنَّ الإسلام على خصائص تمنع استئصاله، بل وتهدد المشروع الغربي وتهدد كل قوةٍ كفريةٍ على اختلاف المكان وتتابع الزمان.

والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية والأنظمة الوظيفية يدركون جميعًا هذه الخصائص كلًّا أو بعضًا، ويعلمون أنَّ الإسلامَ بما فيه من خصائص هو الذي يزود أتباعه بالقوة التي يواجهون بها كل قوةٍ أرضيةٍ ولو بلغت ما بلغت، وهو الذي يعصمهم من التيه، ويجمعهم على مشروعٍ حضاريٍّ تجتمع فيه الجهود، مما يجعلهم يحكمون بالفشل مقدمًا على كل محاولات الدمج والتطويع والتذويب ولكنهم يجتهدون أمرهم ما استطاعوا، ويحاولون إنتاج نسخةٍ جديدةٍ من الإسلام بمعايير متوافقة مع الثقافة الغربية تقدر أن تروض المسلمين.

وإنهم ليدركون تمام الإدراك أنَّ الإسلامَ بما يتضمنه من خصائص يمثل حجر العثرة الأكبر في وجه مآربهم وطريق مصالحهم، وأنه الصخرة التي تتحطم عليها مطامحهم التوسعية ومطامعهم الاقتصادية، وأنه الذي يربي أتباعه على الجهاد والجَلَد، وألا يرتاح لهم بال، ولا يقر لهم قرار إلا بحمل رسالته بين الناس، ونشرها في العالمين.

والذي يزيد من توجسهم أنَّ الإسلام ما نزل عن سدة الحكم إلا من مائة سنة، وأنه القوة التي هددت أوروبا وقرعت أبواب فيينا عاصمة النمسا وفتحت القسطنطينية من قبل، فإعادة الكَرَّةِ من قِبَلِ المسلمين أمرٌ واردٌ غير مستبعد، فالأمة التي لها تاريخ وحضارة تسعى في إعادة أمجادها ومفاخرها.

ولهذا فهم مقيمون على عداوة المسلمين وحربهم رغم ضعفهم منعًا ليقظة المارد الإسلامي وعافيته؛ لأنَّ اللحظةَ التي يتململ فيها هي اللحظة التي يبدأ مشروعهم في الأفول.

فما هي تلك الخصائص التي تقطع الطريق عليهم وتهدد مشروعهم؟

إنَّ أبرزَ الخصائص التي يمكن تسجيلها في هذا المقام سبع، وقد فصَّلت القولَ فيها في كتاب: «سبائك الشيطان»، وهو كتابٌ يتولى بيان العقلية الأمريكية في قيادة العالم والسيطرة على الرأي العام وتفكيك الشرق الإسلامي واحتواء الجماعات الإسلامية، بالإضافة لبيان

فقه المواجهة، والوقوف عند المشروع السياسي في حياة الأمة، وسبب فشل الإسلاميين في أكثر تجارب الحكم التي دخلوها، مع تقديم نظريةٍ سياسيَّةٍ مقترحةٍ تَعصِمُ من ذلك.

وهنا أذكر الخصائص السبع بطرحٍ مختصر:

أولًا: ثبوت مادة الدين في شكلها الأول

وذلك من خلال حفظ نصوص الكتاب والسنة، ونقل السيرة النبوية وأحداث الخلافة الراشدة التي فازت بتزكية النبيِّ ﷺ، فضلًا عما نحتاجه من ديوان العرب ولسانهم وتاريخهم وأدبهم. وهذا من شأنه أن يربط المسلمين بالجيل المؤسس وبمادة الإسلام الأولى والتي تعد بمنزلة الأصل الذي يقاس مدى الاتباع عليه، بحيث لا يقدر أحدٌ أن يتجاوزه.

ولو جاء أيُّ عالِمٍ ذي هوى له مصلحةٌ أو اتصالٌ بسلطةٍ فاسدةٍ وأراد أن يضل الناس بتلبيس الحق بالباطل.. فإنه قد يُحدِث حالةً من التشغيب الموضعي لكنه لا يستطيع أن يُسقِطَ حرفًا واحدًا من الدين ولو بلغت الشُّبهة التي أتى بها من الوهجَ وزخرف القول ما بلغت، بل إنه يسقط هو، ولا كرامةَ لأحدٍ في هذا الباب.

وسرُّ ذلك: أنَّ الشبهةَ فاقدةٌ للأداة التأصيلية التي تجعلها مقبولةً ثابتة، وأي مسألةٍ لا جذر لها من تأصيلٍ شرعيٍّ مركبٍ على القواعد الشرعية فلا يُكتب لها البقاء وإن تزخرفت وراجت في زمنٍ ما بقوة الإعلام أو السلطة كما رأينا مثلًا من سطوة الفكر المعتزلي حينًا من الدهر.

ولقد كانت كل المحاولات الاعتزالية تتحطم على صخرةِ كلمةٍ واحدةٍ يصدح بها إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل حين كان يقول لهم في المناظرات: هاتوا لي شيئًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأقول به!

ثانيًا: أنَّ هذا الدين كاملٌ متكاملٌ

وذلك على صعيد العقيدة والشريعة والسلوك والقيم. فهذا الدين فيه اكتفاءٌ منهجي، ومادته تجيب عن جميع الأسئلة الكلية والجزئية، وتستوعب جميع حاجات الفرد والمجتمع، بدءًا بالطهارة والنظافة الشخصية وسنن الفطرة، مرورًا بأحكام العلاقات الزوجية وقواعد الصحة النفسية، وليس انتهاء بالعلاقات الدولية وعقد الأحلاف السياسية والعسكرية وكل ما يتعلق بالسلم والحرب والاقتصاد وغير ذلك.

فالمسلم في التصور الإسلامي مطمئنٌ ساكنٌ مستريحُ البال، لديه إجاباتٌ عن عالم الغيب وعالم الشهادة بما يجعله قرير العين في سكينة. وهذه الخاصية تغيظ الكفار؛ إذ إننا بهذا الاكتفاء المنهجي لا نحتاج لأيِّ حرفٍ من الشرق أو الغرب، كما قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

بل إنَّ أيَّ حرفٍ وافدٍ يُعَدُّ في التصور الإسلامي بدعةً في الدين، وخروجًا عن سبيل المسلمين، وهذا في أمر الدين، أما في أمر الدنيا من مثل المخترعات والتطور والمعارف المرتبطة بذلك فالأمم تستفيد ذلك من بعضها من غير حرج. والقيمة الفاعلة لهذه الخاصية أنَّ الإسلام حكم العالم لأكثر من سنة وهو على ذلك، وما حصل بالأمس من السلطان الإسلامي يمكن أن يكرر اليوم وغدًا دون أن نتنازل عن حرفٍ واحدٍ من إرثنا الإسلامي العظيم.

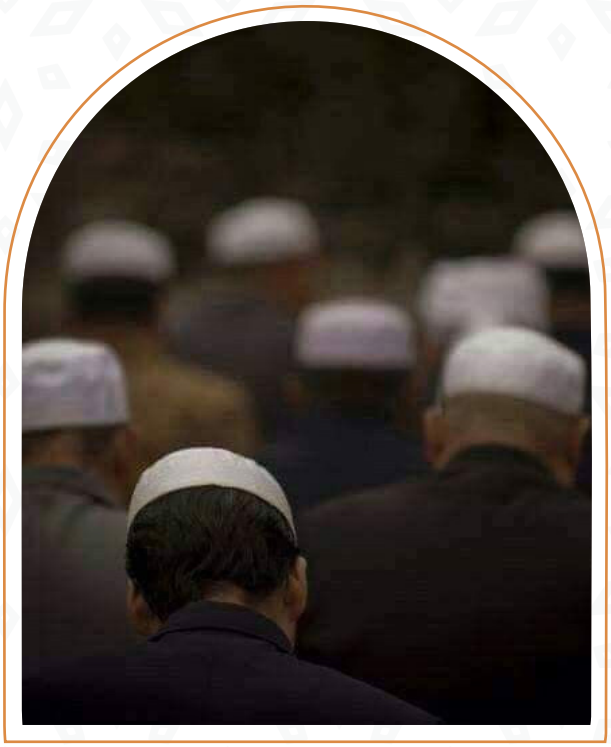

ثالثًا: أنه دينُ الفِطرة

ولهذا بمجرد أن يُعرض الإسلام على طالب الحق والهدى يوافق سكينةً وقبولًا وانتماء، اللهم إلا من قيامِ مؤثراتٍ تمنع، فهو دينٌ سريع الانتشار، وأحسن الدكتور حسين مؤنس إذ وصفه بأنَّه دينٌ طيَّار. وقد بات دخول أعدادٍ وفيرةٍ من النصارى يوميًّا في الإسلام طقسًا مألوفًا رغم سيول المكائد المتقدمة.

وفي دراسةٍ أمريكية رصدت حركة التحولات الدينية وجدت أنَّ الإسلامَ هو الأسرع انتشارًا في العالم، وأنَّ أعلى نسبة تحول بين الأديان كانت في المسيحيين، ثم راحت تستشرف المستقبل في ضوء معطيات الماضي وتحليل الحاضر، وتوقعت بحسب ذلك أن يتحول ١٠٦ ملايين مسيحي إلى الإسلام ما بين سنة ٢٠١٠ م و ٢٠٥٠، مما يعني أنَّ عددَ الذين يسلمون يوميًّا يزيدون عن خمسة آلاف.

بينما الذين سيتحولون من اليهودية إلى الإسلام ٣ ملايين في المدة نفسها، مما يعني أنَّ عدد الذين يسلمون يوميًّا من اليهود يزيدون قليلًا عن مائتين[١]. وسبب هذا التفاوت الهائل في العدد بين اليهود والنصارى أنَّ النصارى يريدون الحق لكنهم لا يعرفونه، وأنَّ اليهود يعرفون الحق لكنهم لا يريدونه، ولذلك جاءت صفة النصارى في سورة الفاتحة بأنهم ضالون، بينما جاءت صفة اليهود بأنهم مغضوبٌ عليهم.

وبهذا يتبدد العجب حين تعلم أنَّ عددًا من الجنود الأمريكان الذين كانوا يعذبون المعتقلين المسلمين في سجن غوانتانامو قد دخلوا في الإسلام، حتى بات ذلك ظاهرةً مألوفةً عند المعتقلين، رغم أنَّ المادةَ الإعلاميَّةَ التي تجتاح الفضاء صباح مساء أنَّ الأمريكان هم أصحاب الحضارة والنصر، وأن المسلمين هم أرباب التخلف والإرهاب والهزيمة، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

رابعًا: أنه دينُ الحرية

فالإنسان في التصور الإسلامي عبدٌ لله فقط، وإنه بهذه العبودية الحصرية لخالقه حرٌّ تام الحرية من كل عبوديةٍ لغيره. وإنَّ مجرد النطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» إيذانٌ بأنَّ الخضوعَ لا يكون إلا لله، وأن الخشية لا تكون إلا من الله.

---

١. انظر تقريرًا على موقع الجزيرة بعنوان: "دراسة أمريكية: الإسلام الأسرع انتشارًا بالعالم".

وهذا يجعل المسلم لا يكترث بقوى الكفر ولو تسيدت على العالم كله، ولا يبالي بالأعداء ولو أحاطت جيوشهم بنا من كلِّ جانب، وبلغوا في التطور والتسليح كل مبلغ، فالتربية الإسلامية تخلصك من الخنوع لسلطان الإنسان في الأرض مهما اشتد طغيانه وبلغت سطوته وشراسته.

وهذا المعنى أراه في بلدنا بوضوح؛ فقد اعتدنا على الحروب الكبرى التي تحرق الأخضر واليابس، وأرى كيف يشن العدو الصهيوني أشد حروبه علينا مستندًا لإعانة القوى العالمية والإقليمية، ثم إذا قلَّبت النظر في المجاهدين رأيتهم لا يبالون بذلك كله، حتى إنَّ الصواريخ تنزل وقد تجد الواحد من المجاهدين يسامر من معه ويسرد الطرائف ولا يبالي.

فلو رجعنا إلى حرب ٢٠١٤ مثلًا ورحت تستحضر أن قطاع غزة لا يزيد عن ٤٠ كيلو متر في عرض ٩ كيلو متر، وأنه محاصرٌ من الجهات الأربع، وأن أكثر من ٨٠ ألفًا من جنود العدو الصهيوني أحاطوا بغزة بكامل تدابيرهم وتجهيزاتهم، وعشرات الطائرات تغطي سماء غزة، وتتابع كل شارع وزقاق، وتقصف كلَّ متحركٍ يمشي على وجه الأرض في مناطق القتال، وأن الحرب مكثت خمسين يومًا، وقد بدأها العدو بأسبوعين من القصف الجوي عبر سياسة الأرض المحروقة، وأنَّ العدو بقي عاجزًا أن يقتحم غزة طيلة مدة الحرب.. علمت علم اليقين كيف ينصر الله عباده ولو كانوا ضعفاء، ويُعِزُّهُم ولو كانوا أذلاء، ويبارك جهدهم

وإعدادهم ولو اشتد عليهم العدو وتخلى عنهم الصديق، وشق اليقين شغاف قلبك بذلك أنَّ التربيةَ العقديةَ هي صاحبة الفضل إذ جعلت المجاهدين لا يبالون بكل ذلك بينما هم مقبلون على ربهم بالدعاء والضراعة أن ينصرهم ويوفقهم ويعذب الذين كفروا على أيديهم.

خامسًا: أنه دين ذروة سنامه الجهاد

فالإسلام دينٌ لا يرضى بالظلم، ولا يقبل بالاعتداء، بل يأمر بالجهاد، وهو ذروة سنامه، ومن تأمل القرآن السنة وجدت مئات النصوص التي تأمر بالجهاد وتثيب عليه وتحذر من تركه، بل إن الله تعالى سمى بني إسرائيل المظلومين ظالمين إذ تركوا الجهاد كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وذلك أنَّ الذي يقبل بالذل والانحناء يغري عدوَّه بالبغي والاعتداء، فصار ظالمًا وهو مظلوم. ولولا أن ديننا يأمر بإعداد القوة وبالقتال وبالبأس الشديد.. لكنا كالنعاج التي تقاد، والدواب التي تُمتطى؛ لأنَّ العالَم الظالم لن يتأبى أن يستكثر من الأتباع والعبيد.

ولهذا ليس من عجبٍ حين ترى كتب السيرة النبوية تُوَثِّقُ لنا نحوًا من مائة غزوةٍ وسرية في عشر سنين فقط، مما يعني أنَّ متوسطَ المُدَّةِ بين كلِّ معركةٍ وأختها خمسة وثلاثون يومًا فقط، وقد مكث النبيُّ ﷺ في الغزو خارج المدينة قريبًا من سنتين.

وهذا أمرٌ يغيظ الأعداء، فهذا الدين الذي يقوم على الرحمة والفضل ونشر رسالة الإسلام برحمةٍ وسلام هو الذي يحرس الرحمة بالقوة، ليبقى الإسلام مهاب الجانب، لا يرضى بظاهرة الطغيان في الأرض، بل يأمر بالجهاد حتى لا يبقى في الأرض إلا مسلمٌ أو مسالم.

ولما كان الباطل لا يرضى بالتنازل عن مصالحه ورغباته لم يكن من بد لتقرير الحق ومنع الظلم من القتال.

وأي دعوةٍ أو دولة لم تجعل برنامج القوة ملاصقًا لبرنامج التربية في أدبياتها وبقيت بلا شوكةٍ فإنها تبقى مهيضة الجناح وإن كان أفرادها بالملايين.

سادسًا: أنه دينٌ سياسيٌّ توسعي

فالإسلام دينٌ يجمع بين الدعوة والدولة، والحكم جزءٌ لا يتجزأ منه، وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» كما أنها أعظم كلمة عقيدة وحرية فإنها أعظم كلمة سياسة؛ لأنها تعني ببساطةٍ أنه لا إله في كل موضع إلا الله، فأمر الله لا بد وأن يحكم في شؤون الدولة والاقتصاد والأسرة والسلم والحرب وغير ذلك.

ولهذا وجدنا عناية النبي ﷺ بالحكم عنايةً وافرة، فقد صدح في أهل مكة من أول البعثة قائلًا: «أعطوني كلمةً واحدةً تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم»، فأشار إلى الملك مقررًا بذلك أنَّ الإسلام دعوةٌ ودولة.

ولما ضاقت به مكة وآذته ورفضت دعوته قصد الطائف، ولم يشتغل بالاستكثار من الأتباع بالتجول في أزقة الطائف من أجل الدعوة، بل كان العمل الأهم عنده وجود بيئة تقبل بإقامة دولة للإسلام، ومن ثم قصد زعماء الطائف الثلاثة، لكنهم لم يقبلوا، وبقي يعرض الأمر على قادة القبائل حتى استمر الأمر أخيرًا على (يثرب).

ولو لم تكن الدولة مركزيةً في التصور الإسلامي لما بقي النبي ﷺ سنتين أو ثلاثًا يبحث عن الأرض التي يقيم عليها الدولة، ولما هاجر؛ إذ الهجرة إيذان بمركزية الدولة والحضور السياسي؛ إذ لو كان الإسلام دعوةً بلا دولة لبقي داعيةً إلى الله تعالى بمكة ولم يَحْتَجْ أن يهاجر إلى المدينة، ولقَبِلَ حين هاجر ابن سلول قائدًا للمدينة بينما هو يشتغل بالدعوة إلى الله تعالى في المسجد وبين الأزقة ومجالس القوم.

سابعًا: أنه دين الأخلاق والقيم

فالإسلام دينٌ بلغ الغاية في الأخلاق والقيم، ومعاني العدل والرحمة، وهذه الخاصية إحدى أهم كلمات السر التي تفتح قفل «معجزة الفتوحات الإسلامية»، وذلك بعد أن استطاع المسلمون أن يفتحوا فارسًا والروم فتحًا لا زال ساريًا حتى اليوم، في غضون مدةٍ قصيرةٍ جدًّا.

وبدل أن تفكر الشعوب في الثأر من المسلمين واسترداد السلطة السياسية منهم.. دخل المغلوب في دين الغالب، بل راح يتنازل مع تطاول الأيام عن هويته ولغته وثقافته، وصار رجال البلاد المفتوحة جزءًا من مادة جيوش الفتح الإسلامي.

وكثيرة هي البلاد التي دخلت في دين الإسلام تأثرًا بأخلاق الفاتحين والتجار، لكن لا تحسبن أنَّ الخلق وحده هو الذي أدخل الأمم في الإسلام، وإنما هي جملةٌ من العوامل المشتركة التي رسمت صورةً عن الإسلام وأهله فهي التي أعانت في ذلك.

وإنَّ تآخي الجهاد مع الأخلاق في ساحة نشر رسالة الإسلام والرحمة قد فعل الأفاعيل في الشعوب، وكشف الشيخ فايز الكندري سر ذلك بقوله:

إنَّ امتلاك القوة يجعل الحجة أكثر إقناعًا، لا لأنها اكتسبت المزيد من الأدلة؛ بل لأنَّ القوة هدمت سدود الكبر والغرور التي تمنع الناس من البحث عن الحقيقة بتجرد.

إنَّ الخُلُقَ الحسنَ واجبٌ ديني، لكنه لا يكفي لإقناع الناس بالحقيقة ما لم تصحبه قوةٌ تعززه؛ فالأخلاق مجردُ طبقٍ جميلٍ تضع عليه أفكارك.

إنَّ المبدأَ الجميلَ حين يدعو إليه غنيٌّ مفتول العضلات يكون أكثر إقناعًا من ذات المبدأ حين يدعو إليه هزيلٌ متشرد.

إنَّ الفكرةَ ذاتها لا تكتسب الصحة حين يدعو إليها حَسَنُ الخُلُق، ولا تكتسب البطلان حين يدعو إليها سيءُ الخُلُق؛ لكن الجماهير تفكر بقلوبها لا بعقولها، لذلك وجب على الأمة أن تجمع بين امتلاك القوة المادية وامتثال المبادئ الأخلاقية ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا؛ لتهدم الحواجز النفسية التي تحول بين الناس وهذا الدين العظيم.

الفلاحُ الإندونيسيُّ لم ير التاجر الحضرمي؛ بل رأى حضارة الإسلام العظيمة مختزلةً فيه، رأى القوة حين تكون رحيمة، والرحمة حين تكون قوية.

ولقد رأيت بعض الجنود والضباط الأمريكان في سجن غوانتنامو يحترمون المعتقلين المتمردين على القوانين الجائرة، يحترمونهم ويبغضونهم في ذات الوقت، كانوا يحسبون لهم ألف حساب بينما يستهينون بالمسالمين.

إنَّ الذئب لا يمدح الدجاجة حين يقول لها أنت مؤدبة.

لقد تيقنت صدق الحكمة القائلة: من لا يرعب أحدًا يكون أكثر الناس تعرضًا للخطر، فيا ليت قومي يعلمون.

رأيت أحد الإخوة يدعو جنديًّا إلى الإسلام، كان الأخ حافظًا للقرآن وعنده شيء من العلم، ثم إنَّه ملتزمٌ بالقوانين، ومشهودٌ له بالخلق مع الأسرى والجنود على حدٍّ سواء، إلا أنَّ الجنديَّ لم يأبه لكلامه، وبعد أسابيع رأيت معتقلًا صغيرًا في السن لا يملك من العلم إلا القليل، لكنه أرهق الجنود بالمشاكل، وهو متمردٌ على القوانين الجائرة، رأيت نفس الجندي يستمع إليه بإنصاتٍ وتأثرٍ وهو يكلمه عن الإسلام، وبعد عدة أسابيع أعلن إسلامه!

إن الكلمة اليوم أحوج إلى القوة المادية منها إلى قوة الدليل العقلي![٢]

---

٢. البلاء الشديد ص٣٦٩-٣٧٠.

وعقب سَطْرِ هذه الخصائص لعلك أدركت بجلاءٍ لا غبش فيه فضل الإسلام على أبنائه إذ جعلهم أقوياء ولو كانوا ضعفاء، مهابي الجانب ولو لم يكن لهم حولٌ ولا قوة.

إنَّ جملة هذه الخصائص شكَّلت عقل المسلم ليجعل من الدين قضيته الكبرى، بحيث لا يرتاح له بال ولا يقر له قرار إلا وهو عاملٌ لدينه، ساعٍ في قضيته.

ومن المآثر الفاخرة أنَّ الخلافةَ الإسلاميَّةَ حين سقطت سنة ١٩٢٤ ولم يكن من قدرة الأفراد أن يسدوا الفراغ السياسي وجدنا ثلةً من المصلحين يُهرعون سريعًا في جمع طاقات الأمة في شكل جماعات تسد ما أمكن من الفراغ، وتتصدى لحملات التغريب التي كانت قد اشتدت يومئذٍ لخلع المسلمين من دينهم وثقافتهم.

ومن ثم وجدنا الشيخ محمد حامد الفقي يؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٩٢٦ بعد سنتين فقط من سقوط الخلافة، والشيخ محمد إلياس الكاندهلوي يؤسس جماعة الدعوة والتبليغ بالهند في نفس السنة، والأستاذ حسن البنا يؤسس جماعة الإخوان المسلمين بمصر بعد سنتين من ذلك سنة ١٩٢٨م.

فالأمة قد تمرض لكنها لا تموت. وإنَّه لخسوفٌ لا غروب.

وإن المسلم ولو كان ضعيفًا شديدَ التقصير كثيرَ الذنب إلا أنه يغار لدينه حين تُنتهك محارمه، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المقاطعة «٣/١»

تكييفات شرعية
وتطبيقات نبوية وواقعية

د. عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

شاعت كلمة المقاطعة في العقود الأخيرة، مع اشتداد الأذى الصهيوني، ومع قلة الأدب الدانماركية، في أزمة الرسوم الكاريكاتيرية، والسفالة الفرنسية في العدوان على الرموز الإسلامية، ثم مع لعبة حرق المصحف، التي يراد بها تجييش أوربا كلها ضد الإسلام، في فصل جديد من فصول الحرب الصليبية المعلنة، والتي لا تخفى إلا على أحمق

وقاد زمامها العلماء، والعلماء فقط، إذ لم نسمع أن حاكمًا غار، ولا دبلوماسيًّا، ولا مثقفًا، ولا حمارًا، حَمِيَ لدين الله تعالى ورسوله وكتابه، ولا لرموزه وتاريخه، وحاضره، ومستقبل أمته المستباحة، ولم يبالوا أُسُبَّ الله، أم أهين رسول الله، أو سُب الدين كله، المهم أن يعيش، وأن يبقى على مِذوده الذي يعتلف منه، واسعًا كان أم ضيقًا

ومع «بعض» الغضبة الشعبية، رأينا «بعض» آثار المقاطعة التي نادى بها المشايخ، أرفقًا فارغة لـ« كارفور»، وكسادًا في مبيع بعض السيارات، وشكاوى من بعض الشركات، ثم لا يلبث الناس أن يفتروا وينسوا لأن الأمر غالبًا لا يكون منظمًا، ولا موجهًا، ولا مدروسًا، بل مجرد دفقة عاطفية ما تلبث أن تنفئ

وفي هذه الورقات أتحدث عن المقاطعة بتكييفاتها الشرعية، وتطبيقاتها النبوية والواقعية، بما يفتح الله تعالى به، وفيها أتناول: التأصيل الشرعي للمقاطعة، ثم للتطبيق، وبعض النصوص القرآنية والنبوية، وتكييف المحرمات الشرعية باعتبارها أشكالًا للمقاطعة، وبعض تطبيقات المقاطعة في تاريخنا الشريف ثم في تاريخنا الحديث، وأحكام المقاطعة في نظر الشريعة، وبالله الاستعانة.

ملحظ لغوي

المقاطعة مفاعلة من طرف واحد فقط، بينما صيغة المفاعلة صيغة مشاركة، تقع غالبًا بين شخصين فأكثر، مثل شارك، وصارع، وقاتل، وحارب، وعاشر، وأحيانًا تكون من طرف واحد مثل: قاطع، وهي هنا الامتناع عن التعاون مع شخص، أو جماعة، أو دولة، في المجالات كلها أو بعضها؛ ردعًا، وحرمانًا، وإعلانًا للغضب

ولفظة المقاطعة لفظة حديثة، لم تستخدم في الشريعة للدلالة نفسها، بل استُخدمت ألفاظ أخرى للتعبير عن المقاطعة، أكثر تنوعًا، وأدق تعبيرًا

ومن الألفاظ التي عبرت عن المقاطعة: الاعتزال، والاجتناب، والبراءة، والتحريم، والتحذير بإياكم، وما شابهها، وكثيرًا ما تدل على المعنى نفسه وزيادة، وهذه نماذج منها:

وردت كلمة البراءة بمعنى المقاطعة

في القرآن الكريم سورتان تعدان تأسيسًا للمقاطعة بشكل شديد الوضوح لمن تدبرهما: سورة براءة، وسورة الممتحنة - مع تناثر الدلالات في المصحف كله، بشكل يحتاج استقصاء لا تحتمله هذه الإطلالة- فانظر أولًا إلى هذه الآيات المنتقيات من سورة التوبة/ براءة/ المقشقشة/ الفاضحة/ الهاتكة/ سورة المقاطعات الكبرى، للكفر والنفاق، والشرك، والجاهلية، والبداوة، واحكم أنت:

فعن مقاطعة المشركين قال تعالى في مطلع السورة: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ* فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ* وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾ والبراءة أبعد كثيرًا في الإقصاء والذم من المقاطعة.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ، فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وعن مقاطعة المشركين وإبعادهم: يقول عز من قائل: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ* إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧-١٨].

ويقول وقوله الحق: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ -وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرْبَى- مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ* وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

وعن مقاطعة الكافر المعادي يقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء، إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا، أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وعن مقاطعة المنافق يقول عز من قائل: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ، نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ، وَإِن يَتَوَلَّوا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٣-٧٤].

ويقول جل وعلا: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

ويقول تعالى ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ* وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٢-٨٣]

ويقول خير القائلين: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ، لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ، وَمَأْوَاهُمْ، جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

ويقول الحكيم العليم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا، وَكُفْرًا، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ

الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ: إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

وفي مطلع سورة الممتحنة يقول جل وعلا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ، وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

ويقول فيها تبارك وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ويقول عز شأنه: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

ويقول أصدق القائلين: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ويقول أحكم الحاكمين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ، كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

❁ وهناك آيات كثيرة متناثرة في المصحف الشريف، منها في سورة المجادلة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٤-١٥].

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

○ ومما جاء في البراءة بمعنى الرفض، والانخلاع، والمقاطعة:

بعث رسول اللهِ ﷺ سريةً إلى خَثعمٍ، فاستعصموا بالسجودِ، فقُتِلوا، فقضى رسولُ اللهِ ﷺ بنصفِ العقلِ وقال: «إني بريءٌ من كلِّ مسلمٍ مع مشركٍ». ثم قال رسولُ اللهِ: «ألا لا تراءَى ناراهما»[1].

«أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يُقيمُ بين أظهرِ المشركينَ»[2].

○ ومما جاء في الاعتزال بمعنى المقاطعة:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ...﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

---

١ النسائي، ٤٧٩٤.

٢ المحلى، ٣٤٩/٧.

وفي البخاري مرفوعًا: «... دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قال: قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال ﷺ: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قال: قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قال: قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٣].

ومما جاء في القطيعة بمعنى الهجر والترك والمباعدة:

قول سيدي المصطفى ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فقالَ: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، فقالَ سبحانه: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذَلِكِ لَكِ»[٤].

وقوله ﷺ: «إيَّاكُمْ والشُّحَّ؛ فإنَّما هلكَ مَنْ كانَ قبلكُمْ بالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بالبخلِ فبخلُوا، وأَمَرَهُمْ بالقطيعةِ فقطعُوا، وأَمَرَهُمْ بالفجورِ ففجروا»[٥].

---

٣ البخاري، ٧٠٨٤.
٤ البخاري ٧٥٠٢، ومسلم ٢٥٥٤.
٥ أبو داود، ٩٨٦١.

ومما جاء في الهجر بمعنى الترك والمباعدة والمقاطعة

«... والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه»[٦]. ومثله: «والمُهاجِرُ مَن هجرَ الخَطايا والذُّنوبَ»[٧].

ومما جاء في الاجتناب بمعنى التحريم والترك والمباعدة والمقاطعة

يقول أحكم الحاكمين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ويقول العلي العظيم: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وفيها عدلت شهادة الزورِ بالشركِ باللهِ[٨].

ويقول ربي الأعلى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]

ويقول الرحمن الرحيم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا...﴾ [الحجرات: ١٢].

---

٦ البخاري، ٤٦٨٤.
٧ ابن ماجه، ٣١٩٢.
٨ الاستذكار، ١٠٥/٦.

وفي الأحاديث الصحيح، جاء الاجتناب بمعنى المباعدة والمقاطعة؛ مرفوعًا بأسانيد صحيحة:

«الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[٩].

«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[١٠].

«مَنِ اجْتنبَ أربعًا دخلَ الجنةَ: الدماءَ، والأموالَ، والفروجَ، والأشربةَ»[١١].

«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ». قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: «الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ»[١٢].

«اجتنِبوا الكبائرَ، وسدِّدوا، وأبشِروا»[١٣].

«اجتنبوا هذهِ القاذوراتِ التي نهى اللهُ تعالى عنها، فمَنْ ألَمَّ بشيءٍ منْها فليستترْ بسترِ اللهِ، وليتبْ إلى اللهِ، فإنَّه منْ يُبدِ لنا صفحتَه، نُقِمْ عليهِ كتابَ اللهِ»[١٤].

«اجتنِبوا الخمرَ، فإنَّها مِفتاحُ كلِّ شرٍّ»[١٥].

---

٩ مسلم، ٢٣٣.
١٠ البخاري ٢٧٨٨، ومسلم ١٣٣٧.
١١ الجامع الصغير، ٨٢٨٥.
١٢ البخاري، ٢٧٦٦.
١٣ أحمد، ١٥٢٣٨.
١٤ الحاكم، ٧٦١٥.
١٥ الحاكم، ٧٢٣١.

ومما جاء في الوضع، والودْع، بمعنى الترك، والاجتناب، والمقاطعة، بأسانيد صحيحة مرفوعة:

«ألا إنَّ كلَّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدمي موضوعٌ، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ، وأولُ دمٍ أضعُه من دمائِنا دمُ ربيعةَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، ورِبا الجاهليةِ موضوعٌ، وأولُ ربًا أضعُ من رِبَانَا ربا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، فإنَّهُ موضوعٌ كلُّه»[١٦].

وعندما كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يا لَلْأَنْصَارِ، وقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذلكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: «ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقالَ: «دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[١٧].

وقال ﷺ: «... ومَنِ ادَّعى دَعْوى الجاهليَّةِ، فإنَّه مِن جُثا جَهنَّمَ». قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وإنْ صلَّى وإنْ صامَ؟ فقال: «وإنْ صلَّى وإنْ صامَ، فادْعوا بدَعْوى اللهِ الذي سَمَّاكمُ المُسلِمينَ المُؤمِنينَ عِبادَ اللهِ»[١٨].

«وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً، لِيَتَكَثَّرَ بِهَا، لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قِلَّةً»[١٩].

---

١٦ مسلم، بنحوه، ١٢١٨.

١٧ البخاري، ٤٩٠٥.

١٨ أعلام الموقعين، ١-٢٠٨.

١٩ البخاري، ٦٠٤٧، ومسلم ١١٠.

«تكونُ فِتنةٌ يَقتَتِلون عليها على دَعوى جاهليَّةٍ، قَتْلاها في النَّارِ»[٢٠].

ومما جاء بمعنى الاجتناب والمقاطعة، في الأحاديث الصحاح؛ التحذير بإياكم:

«.....وإيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلُبُوسَ الحَرِيرَ»[٢١].

«عليكُم بالجماعَةِ وإيَّاكُم والفُرقةِ فإنَّ الشَّيطانَ مع الواحدِ، وهو مِن الاثنينِ أبعدُ، ومَن أراد بَحْبَحَةَ الجنَّةِ فعليه بالجماعةِ»[٢٢].

«إِيَّاكُمْ وجهنمَ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وجهنمَ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وجهنمَ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ إِيَّاكُمْ وجهنمَ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ، فإذا أنا مِتُّ تَرَكْتُكُمْ، وأنا فَرَطٌ لَكُمْ على الحَوْضِ فَمَنْ وردَ أفلحَ»[٢٣].

«إيَّاكم والغُلُوَّ، وإنَّما هَلَكَ مَن كان قَبْلَكم بالغُلُوِّ»[٢٤].

«يأيُّها النَّاسُ: إيَّاكم والظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامَةِ»[٢٥].

«عليكُم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدين المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ»[٢٦].

«إياكم وسوءَ ذاتِ البينِ؛ فإنَّها الحالِقَةُ»[٢٧].

---

٢٠ المستدرك، ٦٨٥٧.
٢١ مسلم، ٢٠٦٩.
٢٢ تخريج كتاب السنة، ٨٨.
٢٣ البزار، ٥١١٠.
٢٤ النسائي، ٣٠٥٧.
٢٥ البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٩٧.
٢٦ أبو داود، ٤٦٠٧.
٢٧ الترمذي، ٢٥٠٨.

«إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا»[٢٨].

«... ولا يَغُلُّ أحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ، وهو مُؤْمِنٌ، فإيَّاكُمْ إيَّاكُمْ»[٢٩].

«يأيها الناسُ إياكم وشِركَ السرائرِ». قالوا: يا رسولَ اللهِ وما شرك السرائرِ؟ قال: «يقومُ الرجلُ فيصلي فيُزَيِّنُ صلاتَه لما يرى من نَظَرِ الناسِ إليه، فذلك شِركُ السَّرائرِ»[٣٠].

«إيَّاكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ فإنَّهنَّ يجتمِعنَ على الرَّجلِ حتَّى يُهلِكنَهُ، كرجلٍ كانَ بأرضِ فلاةٍ، فحضرَ صنيعُ القومِ، فجعلَ الرَّجلُ يجيءُ بالعودِ، والرَّجلُ يجيءُ بالعودِ، حتَّى جمعوا من ذلِكَ سوادًا، وأجَّجوا نارًا، فأنضجوا ما فيها»[٣١].

«... وإيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ، حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذّابًا»[٣٢].

«لا يسرِقُ السَّارقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يزني الزَّاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشرَبُ الخمرَ حينَ يشرَبُها وهو مؤمنٌ، والَّذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه: ولا ينتهِبُ نُهبةً ذاتَ شرَفٍ، يرفَعُ إليها المؤمنونَ أعينَهم وهو حينَ ينتهِبُها مؤمنٌ، ولا يقتُلُ أحدُكم حينَ يقتُلُ وهو مؤمنٌ، فإيَّاكم إيَّاكم»[٣٣].

---

٢٨ البخاري، ٦٧٤٢.
٢٩ مسلم، ٥٧.
٣٠ ابن خزيمة ١٤٠/٢.
٣١ أحمد، ٣٨١٨، وغيره.
٣٢ البخاري ٦٠٩٤، ومسلم، ٢٦٠٧.
٣٣ ابن حبان، ٥٩٧٩.

«إيَّاكُمْ والدُّخُولَ على النِّساءِ». فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قالَ:» الحَمْوُ المَوْتُ»[٣٤].

ومما جاء بمعنى المباعدة والمقاطعة: الهجرة

«...وأفضلُ المهاجرين مَن هجر ما نهى اللهُ تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ مَن جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ»[٣٥].

«هجرُ المسلمِ أخاه كسفْكِ دَمِهِ»[٣٦].

ومما جاء بمعنى مقاطعة البدع والمحدثات الضلالات

قال ﷺ: «... أَمَّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٣٧].

وقال ﷺ: «سيَلِي أمورَكُم بَعدي رجالٌ يُطفئونَ السُّنَّةَ، ويعمَلونَ بالبدعةِ، ويؤخِّرونَ الصَّلاةَ عن مواقيتِها». فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إن أدرَكْتُهُم، كيفَ أفعلُ؟ قالَ: «تَسأَلُني يا ابنَ أمِّ عبدٍ كيفَ تفعلُ؟ لا طاعةَ، لمن عَصى اللَّهَ»[٣٨].

وللحديث بقية إن شاء الله في المقال القادم..

---

٣٤ البخاري ٥٢٣٢، مسلم ٢١٧٢.
٣٥ صحيح الجامع، ١١٢٩.
٣٦ صحيح الجامع، ٧٠٢٠.
٣٧ مسلم، ٨٦٧.
٣٨ ابن ماجه، ٢٣٣٢.

الاستهزاء بالمقدسات

إعلان حرب

عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

- من أجل قرية نائية أو صحراء خالية أو أدغال غابة أو جزيرة في بحر..
- من أجل التنافس على كرسي والوصول لحكم والتفرد بسلطة..
- من أجل توسيع طريق تجاري وفتح سوق جديدة..

- من أجل إثبات الوجود وفرض الاحترام..
- من أجل حماقة زعيم أو طموحه أو حقده أو لعبه..

من أجل ما سبق وغيره قامت عبر التاريخ -وما زالت تقوم- حروب طاحنة مدمرة تأكل الأخضر واليابس، وتذهب ضحيتها أمم وشعوب.

ولأجل ما سبق وغيره تنشئ الدول جيوشاً وتتسابق للتسلح وترصد لذلك الميزانيات الضخمة؛ فوقوع قطعة من الأرض تحت حكم الروس أو الأوكران، أو الاشتراكيين أو الرأسماليين، أو الكوريين الشماليين أو الجنوبيين، أو البيض أو السود.. يكلف أنهاراً من الدماء تراق في سبيل ذلك.

وإن الحقيقة المؤكدة هي أن لغالب الأمم مبادئ أو مقدسات أو محرمات تضحي في سبيلها بالغالي والنفيس وتقدم فلذات أكبادها في سبيل صيانة ما تراه كرامة وحرمة لها، رغم أن الغالب على تلك الأمم أن تكون مقدساتها في الحقيقة وضيعة طاغية لا كرامة لها ولا تستحق الاحترام..

ففي سبيل الطواغيت التي قدسها المشركون قرر الكفار نصرة آلهتهم وحرق إبراهيم الخليل؛ لأنه أهان الأحجار التي يعبدونها: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ

هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩ - ٦٨].

وكذلك وقف أبو سفيان بعد معركة أحد ملخصاً هدف مشركي قريش من المعركة وما قدموا فيها من دماء وأموال منادياً: «اُعْلُ هُبَلْ، اُعْلُ هُبَلْ.. إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ»[1].

واليوم تعج قوانين الكفار في الغرب بالعقوبات على من يتهمونه بمعاداة السامية أو احتقار علَم الوطن أو انتهاك سيادة الدولة أو ازدراء الشذوذ..

فإذا كانت الحروب العالمية الطاحنة تقام لأجل كرامة سلطان أو قطعة أرض أو طريق تجاري أو طاغوت مجرم أو علم دولة..، فكيف عندما يتعلق الأمر بأعظم المقدسات وبالحق المطلق وهو مقدسات الإسلام؟!

إن التطاول على مقدسات الإسلام هو في حقيقته الجلية إعلان حرب، وبدء هجوم، وتصدر لعداوة الإسلام والمسلمين، وإن من وسائل حرب الكفار للمسلمين عبر التاريخ الطعن في دين المسلمين والاستهزاء بهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: ١١].

---

١. رواه البخاري.

وإن إعلان الحرب بالاستهزاء بمقدسات المسلمين هو إعلان حرب على كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مع تنوع بلاد المسلمين واختلاف أعراقهم وتعدد لغاتهم وألوانهم، فكلهم وقع عليهم الاعتداء، وقد أمر الله جل وعلا بمقابلة تلك الحرب بالحرب على أئمة الكفر، هؤلاء الذين يطعنون في دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]، فالمسلمون بمجموعهم مكلفون بخوض تلك المعركة المقدسة كل حسب قدرته وطاقته، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

فمن يجيد جهاد القلم جاهدهم بالقلم؛ فدافع عن الإسلام ورد على الاستهزاء بالاستهزاء وسبَّهم وسبَّ كفرهم، فالإعلان بسب آلهة الكفار إنما يُنهى عنه إن كان يتسبب في سبهم الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

---

٢. متفق عليه.

- **ومن يملك المال جاهدهم بالمال ينفقه في الجهاد في سبيل الله، وفي نشر الدعوة، وفي تأليف القلوب..**

- ومن يحسن الدعوة دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، ونشر الإسلام بينهم..

- ومن يطيق الضرب بالسنان جاهدهم جهادا يقطع ألسن الخبثاء ويضرب أعناقهم.

- ومن يقدر أن يكون على طريقة أبي بصير رضي الله عنه كان على طريقته، فعاشوا حياة الخوف والهلع في حِلهم وترحالهم.

- ومن يستطيع أن يفعل بهم فِعل محمد بن مسلمة رضي الله عنه، فعل بهم ذلك وجعلهم عبرة في دنيا الناس أجمعين..

- ولا قيمة للأعراف والتقاليد البالية، والأحوال والأخلاق الرديئة، ومزاعم الحرية والتعددية الفاحشة، كعذر لمستهزئ بالإسلام، فإما إعلان التوبة أو انتظار قوارع العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥].

- والمسلمون كلهم مكلفون بالبراءة من هؤلاء الكفار وعدم موالاة المستهزئين بالدين ولا نصرتهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وكذلك تجب على المسلمين جميعا مقاطعة مجالس الكفر وقنوات الاستهزاء ومناهج الطعن ومواقع السخرية بالإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وإحسان العبادة لله عز وجل سبيل مهم لتوفيق الأمة المسلمة للدفاع عن الدين وتعظيم الحرمات، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٥ - ٩٩].

والحمد لله رب العالمين.

الغرب وعداؤه
لنبي الإسلام محمد ﷺ

الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

إن المتتبع لتلك الهجمة الغربية الخبيثة على نبينا محمد ﷺ وعلى الإسلام والقرآن وعلى بعض المسلمين في الغرب، ليراها هجمة قديمة حديثة، تتجدد كل فترة، وقد تتغير الدولة المعادية للمسلمين ولمقدساتهم، (فرنسا - الدنمارك - ألمانيا - أمريكا - الصين - الهند - السويد...) وغيرها من الدول المعادية للمسلمين، لكنهم جميعًا يشربون من مستنقع واحد، وينفثون سُمًا متشابهًا، فهؤلاء وأتباعهم من عبدة الشيطان هم على مر التاريخ أعداء الرسل، وكارهو الدين، ومحاربو الفطرة، استحوذ عليهم الشيطان، فصاروا يتحدثون بلسانه، ويتحركون بإشاراته.

وعند الحديث عن الغرب والإسلام، فلابد أن نذكر أن الغرب ليس وحده معاديًا للإسلام، لكنه الأشهر في العداء على مر التاريخ، وإلا فهناك الصين ولا يُنسَى ما تفعله مع المسلمين من قمع وظلم، وهناك الهند بملحديها ووثنييها الأعداء الألداء للإسلام والمسلمين، وهناك روسيا وغيرها، فهؤلاء جميعاً يجدون تعاليم الدين عمومًا -والإسلام خصوصًا- تتعارض مع أهوائهم وشهواتهم ورغباتهم، لذلك لا يستطيعون إخفاء كرههم وحقدهم على الإسلام ومن ثم المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وعند حديثنا عن عداء الغرب للإسلام فلابد من التمييز بين عدة أمور وأن نجيب على عدة أسئلة مهمة باختصار شديد:

أولًا: هل كل مَن هو غربي أو حتى مَن هو كافر يبغض الإسلام ويعاديه؟

ثانيًا: هل هؤلاء يبغضون النبي محمداً ﷺ وحده أم يبغضون الرسل جميعًا؟

ثالثًا: ما الأسباب التي دفعتهم لعداء الإسلام ونبي الإسلام ﷺ؟

رابعًا: ما السبل المثلى للتصدي لهؤلاء المعادين لدين الله تعالى؟

أولاً: بدايةً.. لابد أن نعلم أن الغرب ليس كله على عداء للإسلام.

فالغرب ينقسم إلى شعوب مستضعفة وربما مقهورة أيضًا من حكامها، وخُدعت بصورة أو أخرى، وهي مغلوبة على أمرها، لم يصلها الإسلام، ولا تعرف عنه إلا ما ترده الأبواق العلمانية البغيضة، ولذا فعداؤها تابع لعداء حكامها ونُخَبها، وهؤلاء مجرد أن يصلهم الإسلام بنقائه لا يجدون بدّاً من قبوله والدخول فيه، ولذا فالآلاف المؤلفة من أبناء الغرب يعتنقون الإسلام كل يوم.

والقسم الآخر هو من يعادي الإسلام عن قناعة فاسدة عنده، سواء كان من الحكام والملوك الذين يخشون على عروشهم، أو كانوا من غلاة ومتطرفي رجال الدين عندهم، أو من النخب الفاسدة التي تريد التسلق على حساب المسلمين، أو كانوا من الملحدين الذين لا يعترفون برب ولا إله يدينون له، أو كان من أصحاب المصالح الدنيوية المحرمة والذين يرون أن الإسلام يمنعهم من ممارسة عملهم الفاسد الذي يبتزون به أموال الضعفاء من الناس، أو كانوا من أصحاب الشهوات بلا حدود فيخشون أن يقيد الإسلام شهوتهم الحيوانية، وهؤلاء لا يستطيعون البوح بأغراضهم، لذا يتخذون من عداء الإسلام ستارًا لهم ولأفعالهم الخبيثة.

ثانيًا: هم في الحقيقة الظاهرة للعيان يبغضون النبي محمداً ﷺ، ويعادونه ويسيئون إليه بالرسومات وغيرها، ويعادون الإسلام فيحرقون القرآن على الملأ ويسبون الإسلام، ويعادون المسلمين فيعتدون عليهم بالسب والضرب وخطف الأبناء وبالقتل أحيانًا، فهل عداؤهم هذا نابع من كرههم للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ وفقط؟

والجواب لا، بل هم يعادون جميع الرسل، بل ويعادون الخالق سبحانه، فيكفرون به إلحادًا منهم، ولا يعترفون حتى بربوبيته، ولا يعترفون بالرسل قاطبة ولا بمعجزاتهم، فالغرب الآن يسمى بالغرب الملحد، لا رب ولا دين ولا خُلُق، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وذلك ليس حادثًا بل هو مخطط من

قديم الزمن، ولكن ظهرت آثاره اليوم بشدة، واسألوا (داروين) و(فرويد)؛ بل وابحثوا عن الماسونية وعملها في الغرب، وأحيلكم هنا لكتاب (الإسلام يتصدى للغرب الملحد)[1].

ودعوني أنقل لكم بعض المعلومات التي وردت في مقال بمجلة (البيان)، تحت عنوان: وصايا الكتاب المقدس، يقول فيها:

«لا غرابة في أن يُسيء جهلاء الغرب إلى نبيّ الإسلام ﷺ، ما دامت كتبهم (المقدسة) فتحتْ شهيتهم لاتهام الأنبياء والنَّيْل من الرسل الكرام؛ فقد رأينا منهم من ادَّعى أن السيد المسيح عليه السلام كان قد تزوج من مريم المجدلية، وهو الحدث الذي تستَّرتْ عليه كنيسة روما حتى الآن. كما سَخِر الشاعر الفرنسي (آرثر رامبو Arthur rimbaud) من المسيح عليه السلام خاصة عندما خاطبه قائلاً: «يسوع! يا لصاً أزلياً يسلب البشر نشاطهم...».

والأغرب من ذلك ما زعمه عالم النفس اليهودي (بن أشنون) الذي وصف موسى عليه السلام بأنه كان تحت تأثير نوع من المخدرات حين رأى النار عند الشجرة بالوادي المقدس، وحين تلقَّى الوصايا العشر.

ما هذه الإساءة المتكررة إلى الأنبياء؟ وما هو سِرُّ العداوة للرسل الكرام؟

---

١ الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، دار القلم-- دمشق، ١٤٣١-٢٠١٠، رابط: archive.org/details/waq114378details/waq114378

إنَّ هذا السِّر يكمن في كتبهم (المقدسة) التي يتعبَّدون بها؛ لأنها جرَّأتهم على الاستهانة بشخوص الأنبياء والرسل بصفة عامة، كما جعلتهم يتجرؤون على الذات الإلهية. فكثيراً ما نراهم يصوِّرون الأنبياء في أبشع صورة؛ فالعهد القديم يرسم صوراً لا تليق أبداً بمقام النبوَّة ولا بأخلاق الرسل الكرام؛ فقد جاء فيه: «سليمان في شيخوخته لم يكن قلبه كاملاً مع الربِّ إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروث آلهة الصيدونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الربِّ ولم يتبع الربَّ تماماً كداود أبيه».

وأسوأ من ذلك ما ذكروه عن لوط عليه السلام وابنتيه، وما ذكروه عن داود، عليه السلام.

وقد استمرؤوا هذه الافتراءات التي دوَّنوها بأيديهم في كتبهم عبر تاريخهم الطويل، وأُشرِبُوها في قلوبهم؛ حتى تحولوا إلى مخلوقات شريرة وعدوانية[٢]. ا.هـ

وإذا كانوا قد ألحدوا وكفروا بالله وبجميع الرسل، فلماذا لا يسيئون إلا للإسلام ولنبينا محمد ﷺ؟ والإجابة عندنا نحن، فضعفنا وهواننا جعلنا عرضة لكل حاقد بذيء، ولو كنا يدًا واحدة على من سوانا لما تجرأ أحد علينا يوماً وهو يعلم أن يدنا ستطاله بالعقاب، ولو هم تجرؤوا على غيرنا لوجدوا عقابًا سريعًا، فلقد أعلن منذ أيام شاب أنه سيحرق التوراة أمام سفارة (تل أبيب) في السويد[٣]، فتحركت حكومة تل

---

٢ مجلة البيان، عدد٣٨٣، بعنوان سرُّ العداء الغربي للإسلام ونبيِّه ﷺ، محمد عبدالشافي القوصي، albayan.co.uk/MGZadadarticles.aspx?ID=23

٣ هذا شاب مسلم أعلن عن حرق التوراة وجاء في الموعد يحمل مصحفًا ليوصل للعالم رسالة أن الإسلام لا يتعدى على مقدسات الآخرين، وطالب العالم باحترام مقدسات المسلمين.

أبيب، بل ورئيس الكيان الصهيوني، واتصالات بالسويد، وحكومة السويد تعطيهم وعدًا بالنظر في القوانين التي تبيح ذلك، أما الإسلام فلا بواكي له، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثًا: الأسباب التي دفعتهم لعداء الإسلام: وفي الحقيقة أسباب كثيرة، وليست عيبًا في الإسلام، بل هي عيب فيهم هم. فالإسلام دين الرحمة والعدل والأخلاق الفاضلة، لا يروق للشاذين من البشر، وهم أنواع كثر، ولكل منهم سببه في عداء الإسلام.

- فمنهم الحكام والنخب الذين يعيشون على ظلم البشر والتعدي على حقوقهم، فهم يعلمون أن الإسلام يمنعهم من التسلط على رعاياهم، ويأمرهم بالعدل والقسط، ولو ساد الإسلام لما كانوا في أماكنهم، لذا يحاربونه خوفًا على عروشهم.

- ومنهم القساوسة ورجال الدين المزعومون، وهؤلاء أسوأ حالًا ممن سبقهم، فهم الظلمة الحقيقيون لشعوبهم وهم من يزينون للحكام ظلم الشعوب باسم الدين، ولهم أيضًا من الشهوات والملذات والأموال، ما لا يمكن الحصول عليه لو ساد الإسلام، وما حوادث اغتصاب الأطفال والشذوذ الجنسي في كنائس الغرب، بل وفي الفاتيكان منا ببعيد، لذلك فهم يُسَخِّرون كل إمكاناتهم لحرب الإسلام.

- ومنهم أهل الاقتصاد وأرباب المال، وهم الذين يجمعون أموالهم من الربا وتجارة المخدرات والمحرمات وتجارة البشر وتجارة الجنس والبغاء وبيع أسلحة الدمار والفتك بالبشر، وهؤلاء يعلمون يقينًا أن الإسلام

بطهره ونقائه يحرم ذلك، فكيف يطيب عيشهم في ظل الإسلام؟! لذا فلا بد لهم من حرب الإسلام وتشويه صورة المسلمين، والإساءة لنبي الإسلام ﷺ.

- ومنهم الملحدون الذين لا يؤمنون برب ولا إله يعبد، ويتحررون من كل قيد يقيدهم من دين أو سلطان، وهؤلاء يعلمون اليوم أنه لا دين يقف أمامهم إلا الإسلام، ولا تعاليم تعارض فعلهم إلا تعاليم القرآن، ولا قيم ومثل تجابههم إلا القيم التي نادى بها رسول الله ﷺ، لذلك ينضمون لسابقيهم في العداء.

- ومنهم أصحاب الشهوات والنزوات والذين يريدون التمتع بكل شيء حلالًا كان أو حرامًا، المهم إشباع رغباتهم، بدعوى الحرية الكاذبة، فهم الشاذون جنسيًا (أتباع قوم لوط) وهم الإباحيون وهم المخمورون، وهم يا للأسف الذين وصلوا لسدة الحكم في كثير من بلاد الغرب، وأصبحوا يروجون لشذوذهم جهارًا نهارًا، فهؤلاء ليسوا بأقل من سابقيهم في العداء للإسلام وأهله.

توصيات

وأما عن الطرق المثلى للتصدي لهؤلاء جميعًا فهي كثيرة لا تحصى، فمنها ما هو دور الحكام والنخب السياسية في بلاد المسلمين، وهؤلاء عليهم العبء الأكبر إذ هم من بيدهم أكثر الأدواء الناجعة، ولكن يا للأسف فقد صاروا أداة لحرب الإسلام لا أداة للدفاع عنه -إلا من رحم الله تعالى- وصاروا ميؤوسًا منهم.

وهناك العلماء ودورهم أخطر وأعظم، وسؤالهم أمام الله أشد، وهم قسمان: قسم باع دينه بدنيا غيره فلا يعوَّل عليه، وقسم رباني ما زال يدافع ويناضل عن دين الله تعالى ويتصدى لمخططات الغرب وافتراءاته، ويقف كل موقف فيه نصرة لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين، ولهم دور بارز في التصدي للغرب الملحد.

وهناك المؤسسات الإسلامية والهيئات والجمعيات، والتي يجب أن تسخر جل طاقاتها للتصدي لهذا الغرب الملحد، دفاعًا عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، ونشيد هنا بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ، والتي سخرت كل إمكاناتها دفاعاً ونصرة للنبي ﷺ وللمسلمين، ونهيب بكل المؤسسات والهيئات أن تحذو حذوها في التصدي للغرب الملحد.

وهناك أهل الإعلام وما أعظم دورهم ونحن في عصر الإعلام، إذ يعرفون كيف يصلون لكل بيت وبكل لغة يدعون السذج من أهل الغرب، ويفضحون مخططات الأعداء لأهل الإسلام، ويدعون إلى الله تعالى بما أعطاهم الله من موهبة إعلامية.

وهناك الشعوب، وما أدراك ما الشعوب! لو استفاقت من غفلتها، لوجدتها في كل ميدان تزأر، وتصول وتجول غضبة لله ولرسوله ﷺ، ولو استخدمت ما معها من أسلحة، وأهمها سلاح المقاطعة لكل من أساء للإسلام وللرسول ﷺ، لردعت هؤلاء الطغاة والمجرمين، ولألزمتهم حدودهم.

وأهم ما نواجه به الغرب الملحد هو وحدة أمة الإسلام، والتي ينبغي أن نوليها أعظم اهتمام، أن يلتحم العالم الرباني بالإعلامي بالمؤسسات وبالشعوب المخلصة، فتتوحد الجهود وتتكامل الأدوار، وتوضع الخطط، وتسير الأمة على نور من ربها، نصرة لدينها ونبيها ﷺ.

اللهم اجعله قريبًا عاجلًا غير آجل.

استقلالية الأمّة وضرورة المقاطعة

د. محمد أيمن الجمّال

عضو أمناء المجلس الإسلامي السوري

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

حين أمر الله تعالى بالعدوان لم يكن مقصوداً على الحقيقة، بدليل قوله تعالى: «ولا تعتدوا»، بل هو ردّ لعدوان مبتدأ من قبل الأعداء، وجواب منطقي لعدوانهم.

والمماثلة المذكورة في الآية ليست على إطلاقها كما هو معلوم، فمن قتّل أبناءنا واستحيا نساءنا لا نفعل ذلك في أبنائه ونسائه، ومن سبّ نبيّنا أو إلهنا لا نسبُّ نبيّه وإلهه؛ فإنّ هذا علوٌّ وإسرافٌ كما تصفُه آيات الكتاب الكريم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

بل المماثلة المقصودة مقابلة الأذى بردّه، ومنع فاعله من العود إلى فعله، وزجر من تُسوّل له نفسه تكرار هذا الفعل من الجناة أن يفعل مثلما فعل ذلك المجرم الأول.

والظاهر من سياق هذه الآية أنّ ردّ العدوان إنما يُشرع ويكون مأمورًا به حين يكون المعتدي من غير هذه الأمّة، ويكون العدوان موجّهًا إلى الأمّة أو مقدّساتها أو رموزها؛ كما يُشير إليه ظاهر قوله تعالى: «اعتدَى عليكم»، وفي هذه الحالة فإنّ السكوت عن العدوان خنوعٌ وذلّة، وتسامحٌ في غير محلّه سيفضي إلى استذلال الأمّة لا شخصًا منها، ومن الواجب على الأمّة كلّها حينئذٍ أن تمنع هذا الفعل وتحول دونه بكلّ ما تملك؛ لأنّه ذودٌ عن الأمّة ومكانتها بين الأمم، والأمم التي تقدّر ذاتها لا تسمح بمثل ذلك العدوان عليها فضلاً عن أن تتسامح مع فاعله أو تتصالح.

وقد شهد زماننا هذا انفتاحاً في جانب الحريات الشخصية بلغ ذروة خطيرة على يد الحركات الليبرالية التحررية، التي أبعدت البشر عن قيمهم الأخلاقية التي رفعتهم فوق المخلوقات الأخرى على ظهر هذه البسيطة، وكان للبشر بسببها حقّ التكريم الإلهيّ والتكليف بإعمار هذه الأرض، فصار في هذا الزمان

المستقبح من الأمور مستحسنًا عند دعاة التحرر هؤلاء، ونبذوا من أعمال البشر وطبائعهم السويّة كلّ ما يمتّ إلى التحقّق بالبشرية بصلةٍ، حتّى أنكروا أجناسهم التي خلقهم الله عليها، وأوجدوا لأنفسهم (نوعًا اجتماعيًّا) خاصًّا بكلّ واحدٍ منهم وعدّدوا الخليلات والخلان وهم متزوّجون بزعم التحرر والانفتاح، وتحرّروا من أخلاقيات الحروب، فسمحوا لأنفسهم أن يصنعوا الأسلحة الخطيرة المدمّرة للبشريّة كلها، وأن يحاربوا أمم الأرض في أرزاقها، وأن يمنعوها من استغلال مواردها، كلّ ذلك بدعوى التحرر والانفتاح، ولم يتحرّروا من قيود أخرى غير هذه القيود الأخلاقيّة التي بها يكتسب بنو آدم كرامتهم.

ثمّ وجدوا أنّ مستلزمات دعوى التحرّر أن يُلحقوا الأذى بالديانات؛ فارتبطت دعوى التحرر بالعلمانية فصلاً للدين عن الحياة، لتبقى الحياة همجًا بلا رادعٍ ولا منظّم لها سوى أهواء الذين يكتبون القوانين للدول، والذين يتحكّمون بهم من خارج حدودهم، والذين يتحكّمون بمصير العالم من وراء جدر الأمم المتحدة!

وكان أولى الديانات بإلحاق الأذى بها الدين الإسلاميّ؛ لأنّه الدين الذي يشكّل المشروع الأخلاقي والقيمي الذي يفتقدونه، ولأنّه البديل المحتمل لرعاية العالم وحكمه وتنظيم شؤونه، ولأنّه المشروع الوحيد الذي ما يزال يضع نظريات لإدارة الحياة ولم ينحبس في زوايا المسجد والمعبد! فكان إلحاق الأذى بهذا الدين بنشر الشُّبه حوله، وتخصيص جهود كثيرٍ من دور النشر ومراكز الأبحاث وقنوات التلفاز

والإعلام الجديد عبر قنوات (اليوتيوب) ومعرفات (تويتر) وحسابات (أنستغرام وتيك توك) وغيرها، تخصيصها جميعاً لحرب هذا الدين، وإعلاء شأن أعدائه، والنيل من كتابه ونبيّه.

كما اجتهد فريقٌ من المنتسبين إلى هذه الأمّة ممن درّبهم العالم الغربيّ على النيل من هذه الأمّة في الإساءة لتراث هذه الأمة وتاريخها، ثم الإساءة لجهود علمائها من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين وغيرهم، ثمّ تتابع الإساءات للصحابة والجيل الأوّل من سلف هذه الأمّة رضي الله عنهم، ثم الاجتهاد في الإساءة لسنّة نبيّها ﷺ ، وصولاً إلى محاولتهم الإساءة إلى شخص النبيّ ﷺ، وانتهاءً بأذى الله تبارك وتعالى بالتشجيع على الإلحاد به، وإنكار وجوده، فضلا عن إنكار أحكامه وتشريعاته. والمتابع لأحداث التاريخ يعلم أنّ العداء للنبيّ ﷺ لم ينقطع على مرّ التاريخ عند أعداء هذه الأمّة؛ فهو رمز هذه الأمّة ومحطّ قلوب أبنائها، وإذا أصيب فقد أصيبت الأمّة كلّها

المقاطعة الاقتصادية.. لماذا؟

لقد كان من أساليب الضغط المفضية إلى نتائج سريعة غالباً أسلوب المقاطعة الاقتصاديّة، من يوم قال ثمامة بن أثال لقريش: «والله لا تأتيكم حبة حِنطة، حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ».

ثمّ قاطع النبيّ ﷺ سوق اليهود في المدينة، واختطّ للمسلمين سوقًا ليخلّص الأمّة من سيطرتهم على الاقتصاد، وليظهر هويّة الأمة واستقلاليّتها، وليمنع من انتقال عدوى

أمراض اليهود الاقتصادية من الربا والغش وغيرهما إلى تجّار المسلمين، وليقاطع اليهود ويقطع عنهم أسباب التقوّي على الأمّة، فالعلاقات الاقتصادية مع أيّ كيانٍ أو دولة تقوّيه وترفع منزلته أمام الأمم الأخرى.

ومن الحريّ بهذه الأمّة اليوم أن تكون لها استقلاليّتها الاقتصاديّة، وسوقها المالي الخاص، وتجارتها وصناعتها وزراعتها المستقلّة عن أمم العالم، من الحريّ بهذه الأمّة أن تنتصر لنبيّها ﷺ، لا بمقاطعة الدولة التي يُساء فيها إليه، بل بمقاطعة العالم الذي يسكت على هذه الدولة، وبمنع أبناء الأمّة من تبنّي مشروع تلك الدول الليبراليّ العلمانيّ الذي سيؤدّي بمجتمعاتنا إلى مثل ما أدى إليه في مجتمعاتهم؛ من تغوّل على الدين الإسلاميّ، وعدم احترام له، وإساءة إلى رموزه ومقدّساته، وتعظيم لشأن أعدائه، وانخداع بنموذجهم في إدارة الحياة.

فمن واجب الأمّة أن تقاطع النظم الإدارية والسياسية التي تتبناها تلك الدول، والتي رأت الأمّة بعينها أنّها أوصلتها إلى الانحلال والشذوذ ومعاداة الأديان، من الواجب على هذه الأمّة مقاطعة كلّ المنتجات الفكرية والفلسفية والنظريات والمعاهدات التي تحاول فرضها على هذه الأمّة، وإنّ ضعف هذه الأمّة المشاهد يكمن وراءه عوامل، منها:

اعتماد هذه الأمّة على أعدائها في غذائها ودوائها وصناعتها ونفطها وأسلحتها! فكيف تستقلّ أمّه بالقرار وهي في هذا الحال؟ وكيف يمكن لأمّة أن تنتصر لنبيّها وهي مفتقرةٌ إلى من يسبّه ويرسمه بإساءةٍ؟

إنّ الانتصار للنبيّ ﷺ فرضٌ عينيٌّ على كلّ مسلم، وقد أمر به الله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]؛ فتعزير النبيّ ﷺ ونصرته حقّ على كلّ مسلم، ويجب على من لا يهتمّ لنصرة النبيّ ﷺ أن يراجع إيمانه، ويتأكّد من صدق انتسابه إلى هذه الأمّة، فالغيرة على رسول الله ﷺ معيارٌ لهذا الانتماء، والغضب لله تعالى معيار لهذا الانتماء، فمن لم يجد في نفسه حرجًا أن يُعتدَى على رسول الله ﷺ بمثل هذه الإساءات فهو بعيد عن التحقّق بدين الله تعالى.

ولمّا كان ردّ العدوان فريضة يقينيّة على كلّ فردٍ من أفراد هذه الأمّة إذا اعتدي عليها؛ كان من الواجب على كلّ مسلم أن يسهم بما يستطيع في حثّ الناس على المقاطعة، وتبيين مشروعيّتها، وذكر آثارها الاقتصاديّة لمن لم يقتنع بها سبيلاً لاسترداد الحقوق، ومن الواجب على كلّ فردٍ في هذه الأمّة أن يسعى لإيجاد البدائل عمّا يُستورد من أعداء نبيّنا ﷺ وأعداء دينه وشريعته، فيجب على الصناعيين والتجار والزراعيين وأصحاب الحرف وأرباب الصنائع أن يبحثوا عن بدائل فيما يخصّهم، ويجب على التجار أن يبحثوا عن بدائل فيما يخصّ عملهم التجاريّ، فإن لم تكن تلك البدائل موجودة فالواجب يحتّم أن يوجدوها وأن يسعوا فيها، أمّا التقاعس عن ذلك فليس شأن المؤمن المخلص.

إنّ المقاطعة الاقتصادية التي قام بها بعض المسلمين لفرنسا مثلاً أثّرت تأثيرًا كبيرًا في إضعاف الاقتصاد الفرنسيّ، وأدّت إلى إنهاك الصناعيين والتجار في فرنسا، مع أنّ بلادنا ليست مستهلكًا رئيسياً للبضائع الفرنسية، ولكنّ النيّة الحسنة والإرادة الصلبة هي التي تنكسر عليها صخرة العدوان على نبيّنا ﷺ، ويجب أن يعتقد كلّ فردٍ من المسلمين أنه أولى الناس به ﷺ، وأولى الناس بالدفاع عنه، فلا يبخل على نفسه بترك ملذّاتها فداء للنبيّ ﷺ ونصرةً له.

البكاء وحده لا يجدي

خطط أعدائنا وكيفية مواجهتها

بادية شكاط

كاتبة من الجزائر

لم يعد يخفى على ذي نظر تآمر أعداء الإسلام وهم يحرفون مقاصده عن مواضعها، حتى أصبح كل من أطلق لحيته أمام غيره كمن أطلق الرصاص على غيره، وكل من حمل مسبحته في يده كمن حمل سلاحه على كتفه، وأما من تجاوز إلى المساجد الأعتاب فهو لا محالة على قائمة الإرهاب!

فصنعوا من المسلم قنبلة ذرية أخرى ذراتها لا تجتمع إلا لينشطر غيرها، فصارت العواطف الدينية مثار ثورة وإدانة، وسخرية وإهانة، فتجاوز المساس بالرموز الدينية الأحياء إلى من هم تحت التراب، بهدف دفن كل أثارة للدين، كما حصل مع الشيخ الشعراوي رحمه الله، غير أن صفحته البيضاء كانت أنصع من أن تصيبها لوثاتهم الدنيئة، في حين انفسح المجال لكل أفاك أثيم ليتقرب إلى كل ذي كرسي مستبد، وظفته القوى الغربية ليكون لها من العبيد، حابسةً كلمة الحق في حناجر أهل الحق، وبات كل مَن تسامى عن كل ذلك الخراب مسمى بالإرهاب.

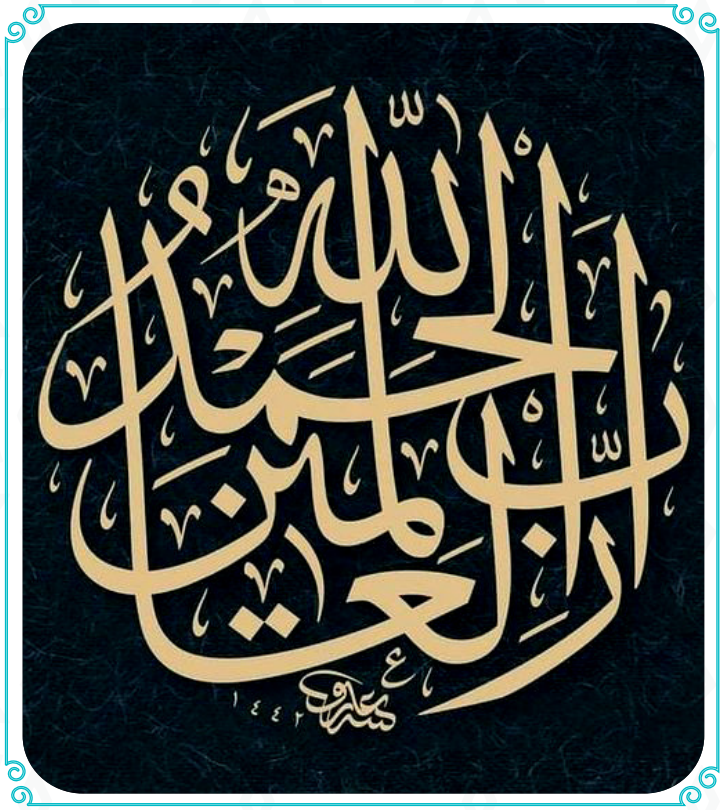

وهم بكل ذلك توهموا أن التاريخ يمكن أن ينسى أنهم قد جعلوا من الحروب مفاتيح لتحقيق السلام، فكان انبعاث حضارتهم في قارتهم الجديدة بإبادة وحشية للهنود الحمر، في حين كان انبعاث حضارتنا الاسلامية بمن بُعث رحمة للعالمين عليه الصلاة وأزكى التسليم، قال الله عز وجل عن رسوله الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الخطط الخبيثة

ووضعوا لأجل تحقيق تلك المرامي الخسيسة خططهم التي حادت بالمسلمين عن جادة دينهم وهم في غفلة عن خط غاياتهم، وأسقطتهم في أسافل تخلفهم. ومن تلك الخطط أنها:

١ أوهمت بعضهم أن التدين هو زهد في الدنيا، وأنه لا بأس إن كان المسلم مقيماً تحت صومعته أن يقيم تحت رحمة ومشيئة غيره، إن شاء أطعمه وإن شاء جوّعه، وإن شاء أمّنه وإن شاء روّعه، بينما الإسلام دين جعل كل الأرض محرابًا للمؤمن، يتبوأ منها حيث يشاء من أمر دنياه وآخرته، ليكون عبدًا لله، وفي الآن ذاته سيداً في كونه.

٢ جعلت الإسلام مجرد دين لتسيير الاقتصاد والمجتمعات، يتجرد فيه المسلم من صميمه الروحي ويتحول إلى مادة استهلاكية، تتحول حولها حياته إلى حلبة يتنافس فيها الأقوياء مع الضعفاء ليظفروا بلقيمات أو قطعة أرض، أو دراهم معدودات، لا تزيده إلا إغماءً حسيًا، وتهوي بهم في غيبوبة بعيدة عن الإنسانية، فيصبح الإيمان بالغيب بعدها محض حماقة وغباء، والقيم الإسلامية غير صالحة إلا لمن ضيعوا مصالحهم من السفهاء، فتتحقق غايتهم ولا يجدوا حينها من يحمل قيم الإسلام الروحية والأخلاقية والإنسانية التي تتدافع مع قوى ظلمهم ولا تتقاطع مع دوائر ظلاميتهم.

٣ ربطوا السياسة الدولية ما بعد الحرب العالمية الثانية بمنظمات، كالأمم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية، والمحكمة الجنائية الدولية، ومنظمة العمل الدولية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والاتحاد الأوروبي، وغيرها، غير أنها لا تكيل بمكيال واحد، فتلتزم مثلاً بإدانة بعض الزعماء دون غيرهم، بل وتشرعن لتثبيت الطغاة على

عروشهم، ممارِسة استبدادًا خارجيًا يدعم استبدادهم الداخلي، ما يجعلنا كمسلمين بحاجة إلى حماية أنفسنا بأن نؤسس منظمات حقيقية تحقق ما رجوناه من تلك المنظمات الوهمية.

٤ تدخلوا في منظوماتنا التربوية وفرضوا برامج تحاول زرع ما هو دخيل على قيمنا وهويتنا، فهناك من حاول حذف البسملة من الكتب المدرسية كما فعلوا في الجزائر، وهناك من طرد تلميذات لإقامتهن الصلاة داخل المدرسة، وهناك من دس في نصوص الكتب المدرسية سموم ثقافات غربية، لكي يتشربها فكر الصغار وكأنها ثقافة إسلامية عادية.

٥ أقاموا ثورات ضد البيت المسلم والأسرة المسلمة، وأشعلوا فتيلها بجمعيات لحقوق المرأة، وحلقات تلفزيونية تحريضية، قسمت الكرة الأرضية بخط وهمي آخر رسم جغرافيا للرجل وأخرى للمرأة، في حين رسولنا ﷺ قال: «إنما النساء شقائق الرجال». وقال ﷺ: «أكمَلُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنُهُم خُلُقًا، وخِيارُكُم خِيارُكُم لِنسائِهِم».

٦ فحاولوا هدمًا لكيان الأسرة المسلمة أن تنازع المرأة الرجل في قوامته، وتنافسه بما فضله الله عزّ وجلّ عليها، فضيعت أنوثتها وصارت تائهة تبحث طيلة حياتها عن هويتها الفطرية، إضافة إلى الضغوط الاقتصادية التي طوقوا بها الرجال ليعزفوا بسببها عن الزواج.

«بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بدا النظام العالمي الليبرالي أكثر قوة من أي وقت مضى، ولكن اليوم، بعد مرور ربع قرن، أصبح مستقبل النظام موضع شك، والواقع أنّ عناصره الثلاثة "الليبرالية، والعالمية،

والحفاظ على النظام ذاته" تواجه اليوم تحدّيات لم يسبق لها مثيل في تاريخه الممتد طوال سبعين عاماً". هذا ما قاله ريتشارد ناثان رئيس مجلس العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية.

فمع ظهور الليبرالية كمفهوم غربي، سرعان ما تلقّفته الشعوب العربية لإشباع نهم الجاهزية، وكأن الوثنية تحولت من عبادة الأصنام إلى عبادة الأفكار الغربية، فلا قول إلا ما قالت الدول الغربية، ولا فعل إلا بما أمرت، ولا خير إلا فيما فعلت، حيث استجابت دولنا العربية الإسلامية دون أي محاولة لنقد عمليات التحول الليبرالي، من حكم سُلطوي إلى نظم قائمة على التعددية السياسية، والانتخاب الحر للحكومات، وكأنّ الحرية أصبحت لصيقة التعدّدية السببية، فحينما كثرت أوجه الأسباب البشرية رافقتها تعددية لأوجه الحرية، ولم تطرح تلك الدول العربية أي تساؤلات حولها رغم أنها صناعةٍ بشرية قد تصيب وقد تخطئ، ومن قبيل ذلك التساؤل:

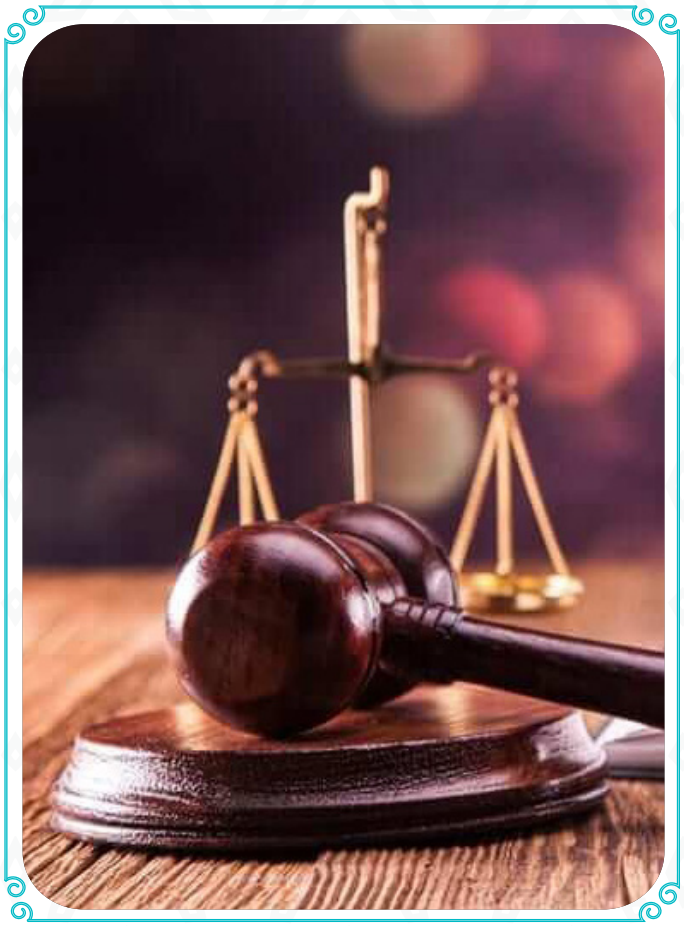

هل يمكن أن تسقط مع الليبرالية العدالة؟

أي سلطة يمكن أن تكون الأحق بالاتباع؟ سلطة الأغلبية، أم السلطة المادية، أم سلطة العرف، أم السلطة الشرعية؟

ألا يمكن أن تكون الليبرالية مجرد غطاء للطغيان والعنجهية البشرية؟

وما خلفياتها التاريخية وحيثياتها الواقعية؟

ما البديل الذي يمكن أن يحل محل الليبرالية؟

أما مجرد الارتماء بين أحضان أي فكر جديد فهو تعميق للوعي الطفولي، وحجب ما يمكن استقباله من متغيرات كبيرة.

فحملُ مثقفي العرب لشعار الليبرالية هو تصور منقوص لفكرة تنام في مهدها بهدوء، لتستيقظ فتهز كل ما حولها من بنىً فكرية تحتية، فمن المهم طرح تساؤلات تُشكّك حتى في الحرية كما طرحها (ستيوارت مِل)، حين انطلق من مُسلَّمة ليبرالية تفترِض أنّ الإنسان كائن حر فقال:

«ولكن هل الإنسان عاقل ويعرف مصلحته في كل المجتمعات؟ وهل هو دائمًا عاقل في نفس المجتمع؟ وهل يجوز بيع السم والسلاح؟ أو أن يبيع أعضاءه؟ أو أن يقتل نفسه؟ وهل تدخّل الدولة لأجل ذلك هو تحجيم لحرية الفرد؟ أم هو حماية لمجموعة أفراد؟».

ولهذا التفكير الحر يقتضي التساؤل وإخضاع الديمقراطية للمساءلة:

- لو فرضنا تصويت البرلمان على قانون يمنع من التعرض للمقدسات الإسلامية، كالمساس بالذات الإلهية أو حرق المصحف الشريف أو شتم الرسول الأكرم ﷺ.. فهل تُقدم إرادة البرلمان كسلطة شعبية في نطاق الديموقراطية؟ أم تُقدم حرية التعبير على أنها قيمة مطلقة إنسانية؟

- وماذا لو اختار الشعب تحكيم الشريعة الإسلامية؟ أليس ذلك أيضاً من صميم الديموقراطية؟ فلماذا يمكن أن تحكم الفاشية والنازية ولا يمكن أن يحكم الإسلام؟

- في حال فك الصراع بالاحتكام إلى السلطة القضائية بين السلطة التنفيذية والتشريعية المنتخبة، كيف نحتكم إلى سلطة قضائية غير منتخبة؟

لماذا الاعتراض على وجود أهل حل وعقد من الفقهاء والقضاة كما كان قديماً؟

إننا ينبغي أن نفهم أن الحضارة الغربية قد تدرجت في بنائها، فبُنيت في أول أمرها على الفلسفة اليونانية الرومانية وهي وثنية، وكان ذلك قبل ظهور المسيح، إذ حصروا الوجود كله في المادة، ثم جاءت الحضارة الرومانية ونشروا الفلسفة اليونانية في أوروبا، وفي ظل الإمبراطورية الرومانية عاش المسيح عليه السلام في فلسطين، لأن فلسطين كانت مستعمرة من قبل الرومان، وقد كان يدعو لوحدانية الله عز وجل، بينما ظهور النصرانية كان نتيجة مزيج من الوحي الأصلي «المسيحية» وكذا الوثنية الرومانية ثم الفلسفات اليونانية، فتكونت عقيدة معقدة فاسدة ومتناقضة، جمعت بين إله واحد والتثليث، وتحالف الملوك مع رجال الكنيسة، وقد ظهر بموجبها الاستبداد و الطغيان، كما ظهرت خلافات داخلية بين البروتستانت والكاثوليك.

ومع هذه الخلافات تفككت قوة الكنيسة الكاثوليكية، وأصبحت هناك صراعات داخلية، فظهرت أصوات لمفكرين ينتقدون هذه الديانة النصرانية، ولم يعرفوا للأسف عن الإسلام شيئًا سوى أنه دين يعادي النصرانية، خاصة بما أطلق من حروب صليبية، ولم يجدوا عن ذلك من بديل سوى اللا دينية وعدم الإيمان بالخالق والكفر بالأديان، ثم أحيوا الفلسفات القديمة بما يسمى عصر التنوير وأعادوا النظر في نظرية الأخلاق والنظرية الوجودية، وابتعدوا عن الدين خاصة مع شعورهم بالظلم والطغيان من قِبل رجال الدين.

فعندما قامت الثورة الفرنسية وحينما استقلت أمريكا عن بريطانيا، كانوا يريدون التخلص من تلك الهيمنة لرجال الدين فظهرت العلمانية، و في ظل هذه الأوضاع بين الأفكار الفلسفية والعلمانية ظهر الإلحاد كخيار آخر ينأى بنفسه عن كل ما لا يقتنع به العقل ويسلم به المنطق، خاصة وأنهم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً.

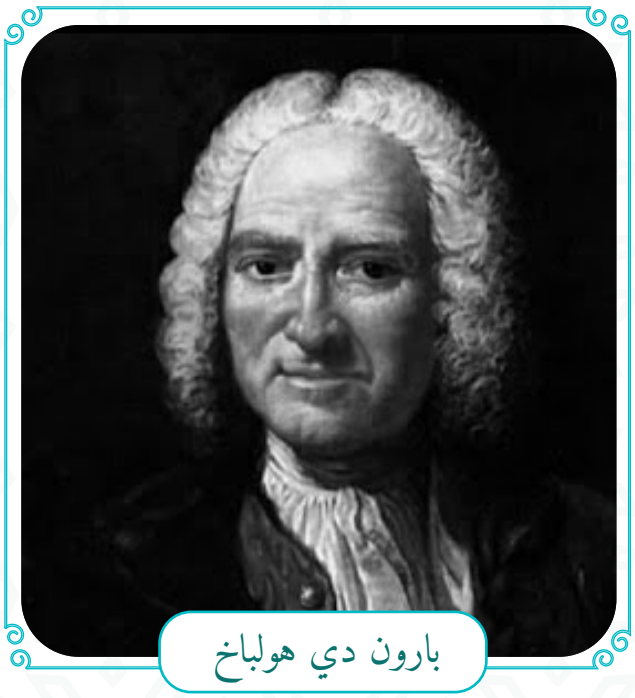
بارون دي هولباخ

فظهر فلاسفة ملحدون، وانتشر في أول الأمر في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر عدة فلاسفة أمثال (بارون دي هولباخ)، ثم انتقل إلى ألمانيا في القرن التاسع عشر، وظهر (كارل ماركس) مؤسس الشيوعية و(شوبنهاور) وغيرهم، ثم انتشر الإلحاد في القرن العشرين، ومن أشهر فلاسفة الإلحاد في ذلك القرن (راسل) و(انتوني فلو) في بريطانيا، وفي الوقت نفسه تمكن الشيوعيون الملاحدة من الحكم في الاتحاد السوفياتي والصين، ونشروا الإلحاد الشيوعي. فهناك إلحاد غربي ليبرالي الذي هو أكثر تسامحاً إلى حد ما من الإلحاد الشيوعي، الذي يفرضونه وينشرونه بالحديد والنار، كما تفعل وتنكل الصين بالمسلمين.

ثم بعد أحداث (١١ سبتمبر) ظهرت حركة الإلحاد الجديد، والتي يركزون من خلالها على الشرور المترتبة على الأديان -حسب زعمهم- ويرون أن الإسلام وغيره من الأديان هو مصدر لكل الشر في العالم، وبالتالي ينبغي القضاء على الدين للقضاء على الإرهاب، وفي الحقيقة هم لا يملكون أي عمق فلسفي وخطابهم أقرب للشعبوية، إذ ينكرون كل ما هو غيبي ويتحمسون لكل أدوار العلم التجريبي، ويجعلون منه المجيب حتى على الأسئلة الغيبية.

ومن أدواتهم السخرية من المتدينين للطعن في الدين، كما سبق وذكرنا عن الشيخ الشعراوي رحمه الله.

إهمال الجانب العسكري في عملية التقدم الأوروبي، فإن قوتهم العسكرية واستعمارهم لبلدان عديدة عامل مهم وأساسي في وصولهم إلى ما وصلوا إليه.

للنجاة من كل هذه الأخطار ولإفشال كل تلك المخططات ينبغي:

١ **عدم التسليم بأن الغرب هو النموذج؛ بل علينا أن نرسم لنا منهجنا المستقل ومشروع أمتنا بما يتوافق مع قيمنا وشريعتنا الإسلامية، خاصة وأن الغرب نفسه يختلف فيما بينه، فالنموذج الفرنسي يختلف عن البريطاني أو السويسري وغيره.**

٢ التركيز على صناعة حضارية استشرافية من خلال العودة إلى التاريخ، بحيث نمحو كل المغالطات التاريخية التي قد تعرقل حاضرنا لصناعة حضارتنا، ولا نقع فيما وقع فيه التاريخ الأوروبي القديم، حيث إن النصرانية كانت مزيجاً من نظريات فلسفية وثنية يونانية قبل مجيء المسيح ونظريات من وحي المسيح ونظريات عطلت الشريعة كي تتيح لنظريات معرفية وضعية، انتهت بها إلى العلمانية فالإلحاد.

٣ حسن القراءة والفهم العميق للتاريخ الإسلامي، فمثلاً أن يردوا سبب تخلف الحضارة الإسلامية إلى خليفة أموي أو خليفة عباسي متناسين أن الأزمنة القريبة من عصرهم كانت هي أزمنة الرقي والازدهار، في حين يغفلون عن مسؤولية الاستدمار والحروب الصليبية، وكذا ما فعلته لأجل نشر الديانة الصليبية من حروب إرهابية وهي التي تتهم المسلمين اليوم، قال المفكر الفرنسي أرنست رينان: «إن الاستعمار ضرورة سياسية في الدرجة الأولى... إن غزو بلد من عرقٍ أدنى من قِبل بلد من عرقٍ أعلى لا يدعو إلى الاستنكار... عندما يكون الأمر بين الأعراق المتساوية فذلك أمر يدعو إلى الاستهجان. لكن تجديد الأعراق المنحطة بأعراق عليا فتلك عناية إلهية للإنسانية».

إضافة إلى تنصيبها لعملاء لها في دولنا الإسلامية يساعدونها على نهب الثروات، والحفاظ على الأنظمة الديكتاتورية التي تتسلط على رقاب الشعوب الإسلامية بكل ما أوتيت من معاول الفساد وعصي الاستبداد.

٤ إقصاء الدين بقيَمه الإنسانية السامية من قِبل العلمانيين، هو معضلة الفكر الغربي الكبرى، الذي ينسحب شيئاً فشيئاً رغم كل تقدمه العلمي إلى الفوضى والانحدار الحضاري، وهذا ما ينبغي تجنبه ببناء صرح حضارة قوامها الجانب المادي والروحي معًا.

٥ الانتباه إلى أن المبالغة في الدعوة للتعايش السلمي والتسامح بين الأديان ينشأ عنه انقسام بيننا، واجتماع بينهم على كلمة سواء، فتفشل ريحنا وتقوى شوكتهم، فيتحقق فينا قول رسولنا ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[1].

٦ إهمال القوة العسكرية والاعتماد فقط على القوة الاقتصادية والعلمية، فإن الدولة المسلحة يمكنها بلحظات الإجهاز على أي دولة مهما كانت قوتها فقط بقوتها العسكرية التي كونتها بصناعة ذاتية للسلاح ووضع للخطط الاستراتيجية، فسيطرة أمريكا على العالم مثلاً لم يكن في حقيقة الأمر بدولارها الذي لا يحمل غطاء من الذهب، بل بداية سيطرة الدولار هو سيطرة أمريكا الأقل تضررًا بعد الحرب العالمية الثانية. ولهذا يقول جاك شيراك: «إن فرنسا لو استغنت عن المدد الذي يأتيها من أفريقيا (وهو سلبهم ونهبهم ولو عن طريق عملائهم) لانحدرت إلى دول العالم الثالث بشكل سريع».

٧ محاولة إيجاد ميثاق شراكة بين الحركات الإسلامية في مختلف الدول الإسلامية، بحيث تكون هناك رؤية اجتماعية واقتصادية وسياسية سلمية جامعة ونافعة للأمة الإسلامية، يصعب من خلالها كسر عودها لاشتداد عودها.

أما مجرد التباكي على سوء وضع أمتنا الإسلامية وتخلفنا ومحاربة الغرب لنا، فهو تخلف آخر يضاف لنا وحرب أخرى نقيمها على جبهاتنا.

---

١ رواه أحمد وأبو داود.

نحو علم للشمائل النبوية (٣/٢)

الشمائل النبوية في القرآن الكريم والسنة النبوية

د. وصفي عاشور أبو زيد

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الحديث عن النّبي ﷺ وعن أخلاقه، وعن قيمته، وعن طبيعته مبثوثٌ في آيات القرآن الكريم قبل وروده عن الصحابة وروايتهم لذلك كله، مثلاً مما ورد في القرآن الكريم عن النّبي محمّد ﷺ قوله تعالى في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وأيضاً قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والرّحمة من الله للنّبي ﷺ هي التي جعلت النبي يلين لأصحابه والمسلمين، وفي آخر آيات سورة التوبة يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]، وذكر القرآن الكريم حياء النّبي ﷺ في سورة الأحزاب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الله تعالى أيضاً في سورة آل عمران: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، والله تعالى يصف نفسية النّبي هنا بأنه يحزن على ألا يدخل الناسُ في الإسلام، وألاّ ينتقلوا من دائرة النّار إلى

دائرة الجنة، قال تعالى: ﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١-٣] باخعٌ نفسك يعني: قاتلٌ نفسَك غمّا، أو مهلكها، أو معذبها، وفي سورة الكهف نفس المعنى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠] والآية الجامعة لكلّ هذا قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

❁ فلهذا مَنْ أراد أن يؤلف في هذا العلم -علم الشّمائل النّبوية- لا يسعه أن يتجاوز القرآن الكريم، ولا ما ورد في هذه الآيات أو في هذا القرآن العظيم من آيات تبين أخلاق النّبي، وشخص النّبي، ومشاعر النّبي ﷺ.

الشمائل في مدونات السنة

ثمّ بعد ذلك قامت ثلةٌ مباركة من علماء الأمّة تدوّن حديث رسول الله ﷺ ففي كلّ كتُب السّنّة، كتب الأصول لاسيما الصّحيحين والسّنن الأربعة وموطأ مالك ومسند أحمد، وسنن الدّارمي، والطّبراني بمعاجمه، إلى السّيوطي نجد أبواباً مُستقلّة عن فضائل النّبي، عن خصائص النّبي، عن أخلاق النّبي، عن آداب النّبي ﷺ، ثمّ وجدنا من العلماء من تحدث في سيرة النّبي ﷺ من قديم من أيّام الإمام ابن إسحاق،

أئمة المدونات التاريخية الكبرى، من أمثال الإمام ابن الأثير في كتاب «الكامل»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، والعلماء الذين تحدثوا عن النّبي ﷺ في «التراجم» مثل الإمام الذهبي، وعدد كبير من الأئمة كانوا يُلحقون الحديث عن «شمائل النّبي وأخلاقه» بعدما يفرغ من الحديث عن سيرة النّبي محمّدٍ ﷺ.

وهذا ما فعله «الإمام ابن كثير»، بعدما فرغ من السّيرة النبوية جاء بملحق يتحدث فيه عن «الشمائل» وعن «الدلائل» وعن «الخصائص»، وعن «المعجزات» للنبي محمّد ﷺ، ثمّ العلماء أنفسهم قد أفردوا الشّمائل بالتّصنيف، وبالكتابة، وبالرّواية، فصارت لها مؤلفاتٌ مستقلة بعيداً عن «السّيرة النّبوية»، وبعيداً عن مُدوّنات الحديث المروي عن رسول الله ﷺ.

تأريخ علم الشّمائل النّبوية ومصنفاته

المصنفون من القدماء

أوّلُ من كتب في هذا العلم هو الإمام أبو البُختري وهب بن وهب الأسدي، توفي سنة ٢٠٠ هجرية، وكتب كتاباً بعنوان: «صفة النّبي ﷺ»، هذا الكتاب لم يصلنا في الحقيقة، ولكن ذكره الذين يذكرون الكتب من أمثال «ابن النّديم»، و«حاجي خليفة»، وغيرهما.

- تلى أبا البختري، أبو علي بن محمد المدائني، توفي ٢٢٤ هجرية، في كتابه أيضاً «صفة النّبي ﷺ»، نفس عنوان أبي البختري.

- ثم محمد بن عبد الله الورّاق توفي سنة ٢٤٩ هجرية في كتابه «أخلاق النّبي».

- ثم داوود بن علي الأصبهاني، وهو رأس المذهب الظاهري، وشيخ الإمام ابن حزم.

- ثم الحافظ أبو عيسى محمد بن سوْرة التّرمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هجرية، في كتابه المشهور «الشمائل»، وسيكون له بإذن الله حديثٌ مستقل باعتباره أول ما وصل إلينا.

- ثم جاء أبو علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري توفي ٣٥٣ هجرية، وهو في القرن الرابع الهجري في كتابه «صفة النّبي ﷺ»، و«صفة أخلاقه وسيرته، وأدبه، وخفض جناحه».

- ثم أبو بكر محمد بن علي القفّال الشّاشي المتوفى سنة ٣٦٥ هجرية في كتاب «شمائل النّبوة».

- ثم عبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩ هجرية في كتابه «أخلاق النّبي وآدابه»، وهذا مطبوعٌ ومُتَداولٌ أيضاً.

- ثم أبو سعيد عبد الملك بن محمد النّيسابوري المتوفي سنة ٤٠٦ هجرية في كتابه «شرف المصطفى» اسمه الحقيقي هذا «شرف المصطفى»، وطبع أكثر من طبعة، وبأكثر من تحقيق.

- ثم انتقلنا إلى بداية القرن الخامس الهجري، وجاء أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستوى، وهذا الكتاب غير موجود، توفي صاحبه سنة ٤٣٢ هجرية، في كتابه «شمائل النّبي».

- ثم في القرن السّادس الهجري تتابع التآليف في هذا، ومنهم أبو بكر محمد بن فرحان التركي البغدادي توفي سنة ٥١٣ هجرية له كتاب بعنوان: «الشمائل».

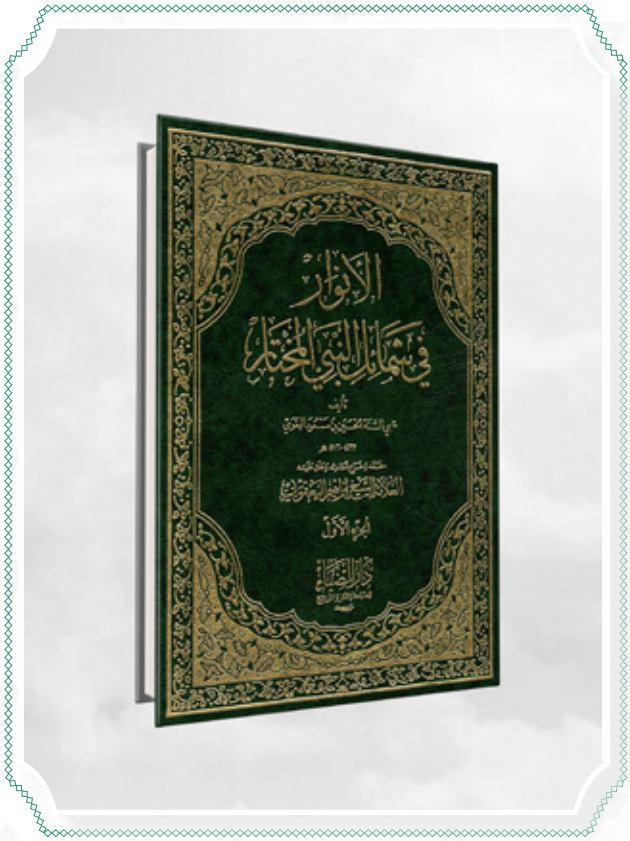

- ثم كتاب «الأنوار في شمائل النّبي المختار»، وهو من أعظم الكتب ومن أشملها، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب التّفسير المشهور متوفى سنة ٥١٦ هجرية.

- ثم جاء «كتاب الشّفا» وهو من الكتب المشهورة أيضاً، وعليه جهود كبيرة، كما سنتعرض له لاحقاً إن شاء الله، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هجرية.

- ثم كتاب «الشّمائل بالنور الساطع الكامل في شمال النّبي وسيرته» لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الفزاري المعروف بابن المقري الغرناطي متوفى سنة ٥٥٢ هجرية.

- وكتاب «زواهر الأنوار وبواهر ذوي البصائر والاستبصار في شمائل النّبي المختار ﷺ» لعلي بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن الضّحاك الفزاري، ويعرف بابن النفري توفي سنة ٥٧٥ هجرية، وهذا الرّجل له شرح للحكم العطائية.

- وكتاب «الوفاء بأحوال المصطفى ﷺ» للإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية.
- ثم «شمائل الرسول ودلائل نبوته وخصائصه» للإمام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٥ هجرية.
- ثم «من هدي الرّسول» المسمى «سفر السّعادة» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٦ هجرية.

- ثم الإمام السيوطي وكتاباه «الخصائص الكبرى» و«الخصائص الصغرى»؛ ولعله اختصار للخصائص الكبرى مع بعض الزيادة، للسّيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية.
- ثم «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للإمام القسطلاني، وله «شرح على البخاري» توفي سنة ٩٢٣ هجرية.

وهذا السرد التاريخي يتضح فيه الاهتمام الدائم بهذا الباب بما يعني أنه قد ظلّ عبر هذه القرون: القرن الثاني الهجري، الثالث، الرابع، الخامس، السادس، السّابع، الثامن، التّاسع، العاشر، كما نرى.

المصنفون من المعاصرين

ظل الاهتمام مستمراً حتى وصل الأمر إلى المعاصرين، والمشتغلين والمهتمين بالسنة النبوية، نذكر مثالين فقط من الأمثلة المعاصرة:

الأول: كتاب «مِن مَعين الشّمائل»[1] لفضيلة الشّيخ صالح أحمد الشّامي الذي هو صاحب كتاب «معالم السنّة النبوية» في ثلاثة مجلدات، مطبوع في دار القلم، وهذا كتاب رائع جداً أعني: «مِن مَعين الشّمائل» كتاب معاصر بلغة سهلة، بتبويب رائع، فيه عشرة مقاصد، وتحت كل مقصد فصول، وتحت كل فصلٍ أحاديث تبين «شمائل النّبي ﷺ»، وهذه الفصول تجاوزت سبعين فصلاً، كلّ فصلٍ من هذه الفصول تحته أحاديث كما ذكرنا.

الثاني: ويعتبر أجمع ما كتب في هذا الباب وأوفاه موسوعة معاصرة بعنوان: «موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة»، لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور همام عبد الرّحيم سعيد، وابنه الدكتور محمد همام سعيد، جاءت في مجلدين كبيرين، المجلد الأول تجاوز ألفا ومائتي صفحة، والمجلد الثاني نحو تسعمائة صفحة، بما جاء مجمله في (٢٢٥٣) صفحة، وهذه الموسوعة جمعت من خمسين كتابا من كتب السنة، وانتقيت نصوصها من مئة ألف حديث، وهي في الحقيقة موسوعة لا غنى لأي مسلمٍ عنها، ولا عن أن يقتنيها[2].

---

١. الشامي، صالح أحمد الشامي، من معين الشمائل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢. همام عبد الرحيم سعيد - محمد همام عبد الرحيم، موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، وقد استفدنا السرد التاريخي السابق من هذه الموسوعة وغيرها من الكتب، وبالتأمل والبحث الخاص.

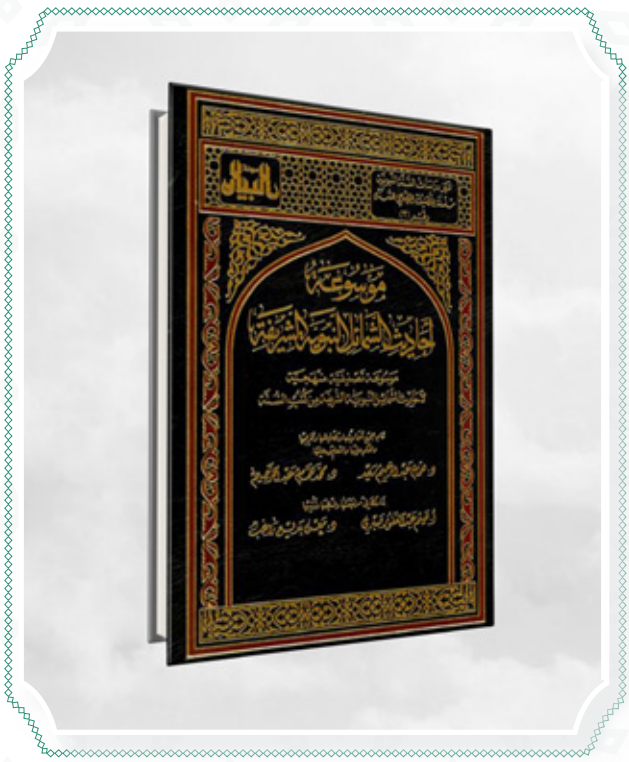

بلغت الأحاديث العامة، والكتب التي تضمنتها هذه الموسوعة من الشمائل الخاصة قرابة خمسين كتاباً من كتب الحديث الأصلي «خمسون كتاباً»، كانت هي مراجع هذه الموسوعة، جمعت هذه الموسوعة قرابة تسعين ألف حديث تضمّنتها، كلها في أخلاق النّبي ﷺ وآدابه وشمائله، يقول المؤلف: «ومع هذا فإننا لا ندعي الاستيعاب»؛ سبحان الله، ويقول أيضاً: «قد توصلنا إلى قائمةٍ تصنيفية اشتملت على أكثر من ألف ومئة عنوان»، ألف ومئة عنوان، يعني ألف ومئة فصل، منها ما ورد في حلم النّبي، في لباس النّبي، في زي النّبي، في طعام النّبي، ألف ومئة عنوان في هذه الموسوعة، كلّ عنوانٍ منها يتضمن أحاديثَ تحته، فهذه الموسوعة آخر ما صدر عن الشّمائل فيما أعلم، وهي أوفى عملٍ وأشمله مما صدر في الشّمائل النّبوية .. وهذا ما يتعلق بتاريخ علم الشمائل النبوية.

كانت هذه مقدمة لازمة آثرتُ أن أتحدث فيها معكم، لكيْ نقفَ على أهمية الشّمائل، وعلى عظمة الشّمائل، وعلى أنّ هذا هو من علوم الشّريعة، ومن علوم السّنة النّبوية، ومن علوم السيرة المطهرة.

ونستكمل الحديث في المقال القادم، إن شاء الله تعالى.

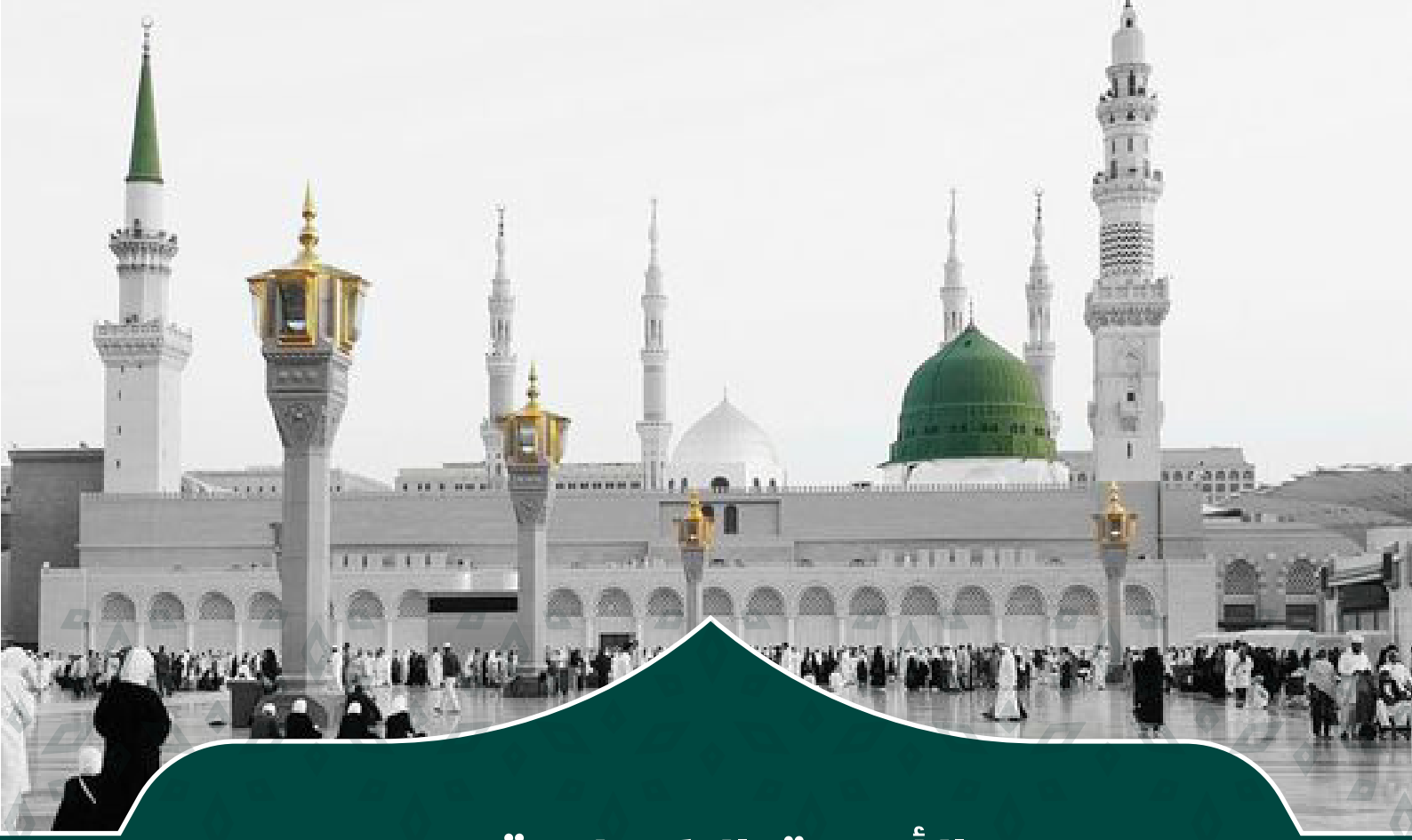

الأسرة الكتانية
وخدمتها للسُّنة ٧

د. الحسن بن علي الكتاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

١٣. محمد المنتصر بالله الكتاني

ومنهم شيخنا الجد محدث الحرمين الشريفين، الفقيه المحدث السياسي، أبو علي محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني.

وُلد يوم المولد النبوي ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ في مدينة رسول الله ﷺ، وبها نشأ أولاً، فلما قامت الثورة العربية المشؤومة بقيادة أمير الحجاز الحسين بن علي مدعوماً بالإنجليز على الدولة

العثمانية، وكان جده الإمام محمد بن جعفر موالياً للعثمانيين رافضاً لهذه الثورة الموالية للكفار -نقلته وجميع أسرته الدولة العثمانية لدمشق الشام.

فدرس دراسته الابتدائية كلها في الشام، ودرس على مجموعة من أهل العلم بالشام تلك الفترة وبعدها، وحضر دروسهم، وأخذ عنهم؛ كإمام الشام محمد بدر الدين بن يوسف البيباني الذي كان من أشد الناس صحبة لجده، وعبد الجليل الدرا، وعلى الدقر، وهاشم الخطيب، محمد توفيق الأيوبي الأنصاري، ومحمد أمين سويد، وغيرهم.

وفي ١٣٤٥ رجع للمغرب لمدينة فاس رفقة أسرته، فدرس بجامع القرويين على كبار علمائه، كوالده محمد الزمزمي وأبي الفضل محمد الطاهر بن الحسن الكتاني، وأخيه عبد الرحيم بن الحسن الكتاني، وشيخ الجماعة عبد الله بن إدريس الفضيلي، وعبد السلام بن عبد الله الفاسي الفهري، وأحمد بن محمد ابن الحاج السلمي، والطائع ابن الحاج السلمي، ومحمد بن عبد الحفيظ الشامي الخزرجي، والقاضي محمد بن عبد السلام السائح.

كما رحل إلى طنجة للأخذ عن تلميذ جده الشريف محمد بن الصديق الغماري، ولازمه مدة استفاد به فيها في العلم والسلوك، وكان كثير التردد إليه؛ لما كان بينه وبين والده وأسرته من خالص المودة.

وزار شتى مدن المغرب؛ كزرهون ومكناس ومراكش، وتطوان التي التقى فيها بشيخ جماعتها أحمد بن محمد الرهوني، ومحدثها محمد بن محمد الفرطاخ.. وغيرهما. وطنجة، والرباط التي التقى فيها بعالمها الكبير الحافظ الشريف محمد المدني ابن الحُسني وأخذ عنه وعن طبقته، وسلا التي أخذ بها عن ابني عمه أبي الفضل محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، وشقيقه أبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني.

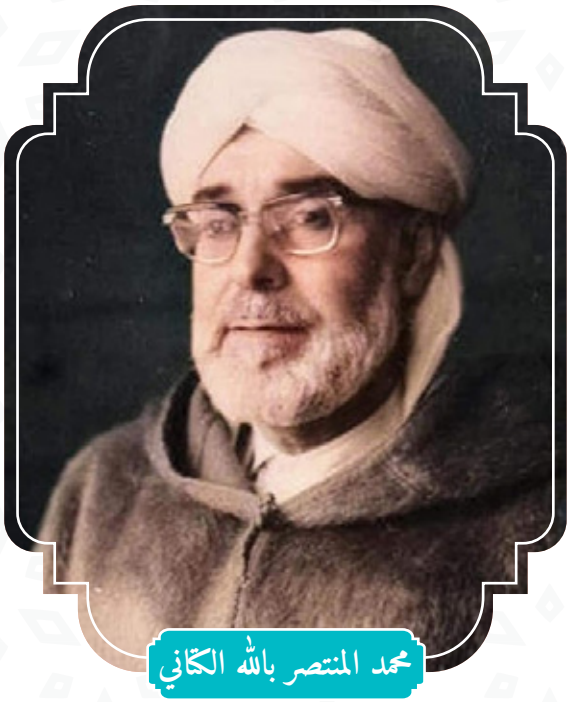
محمد المنتصر بالله الكتاني

وفي عام ١٣٥٢ زار رفقة والده الشام، والتقى بعمه محمد المكي الكتاني وبقية علماء الشام. ومنها ذهب إلى مصر ومكث يدرس بها بالأزهر مدة من عامين؛ أخذ فيهما عن عدد من أعلامها؛ كمفتي مصر محمد بخيت المطيعي الحنفي، ومحمد بن أحمد أبو زهرة، وحافظها أحمد بن محمد شاكر، ومسندها أحمد بن رافع الطهطاوي، واستفاد كثيراً من صديقه وشيخه الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري خاصة في علم الحديث.

وأخذ بمصر كذلك عن مشاهير علمائها، والتقى بالإمام المصلح حسن البنا. ثم عاد إلى المغرب، واشتغل بالدراسة والتدريس والإصلاح الاجتماعي والسياسي.

وبعد تمكنه من فقه المالكية؛ اتجه إلى فقه الظاهرية مطالعة وبحثاً ونقداً، ودرس «محلى» ابن حزم في اثنتي عشرة عاماً، جرد فيها مسائله جرداً، وبحثها واستخرج عللها وقارنها بالمذاهب الأخرى، وكان شيخاه في هذه المرحلة: ابن عمه إبراهيم بن أحمد الكتاني، ومحمد بن عبد السلام السائح الرباطي.

وفي عام ١٣٦٢ أسس حزب الخلافة، وحاول إحياء الجهاد المسلح ضد الاستعمارين الفرنسي والإسباني مستطاعه، وجمع الناس وألقى خطابات فيهم، يقطع المغرب من أقصاه إلى أقصاه من أجل ذلك.

وقد بنى فكرة هذا الحزب على إحياء الخلافة الإسلامية في المغرب، وطرد الاحتلال، وتحكيم الشريعة الإسلامية، وضمّن أفكاره في كتاب «فتية طارق والغافقي» الذي طبع بدار إدريس ببيروت حدود عام ١٣٩٥، والذي يعد مشروعاً لنظام الدولة الإسلامية.

غير أن حركته لم يكتب لها النجاح بسبب ما عانته من محاربة الحركات الوطنية الأخرى، التي كانت تشي به وشايات كاذبة إلى الملك محمد الخامس، فاضطر إلى حل حزبه وإدماجه في حزب الشورى والاستقلال عام ١٣٧٠، واستمر في حياته العلمية والثقافية؛ فأسس ودرس في عدة مدارس بفاس وسلا وطنجة، وشغل مديراً لبعضها، كذلك، ودرس العلوم الشرعية والفكر الإسلامي في مختلف مساجد المغرب الكبيرة، وعمل فقيهاً ضابطاً بمحكمة الاستئناف الشرعي العليا بالرباط، وأستاذاً للفقه المالكي والحضارة الإسلامية بمعهد الدراسات المغربية العليا في قسم الحقوق بالرباط.

ولما ضاقت الأمور به في المغرب، وجاء الاستقلال المنقوص سنة ١٣٧٥ قرر الهجرة للشام، حيث ساعده عمه على الاستقرار، فأصبح رئيس قسمي الحديث والتفسير بجامعة دمشق أيام عزها، أيام مصطفى الزرقا ومصطفى السباعي ومعروف الدواليبي ومحمد المبارك، ومن إليهم من أقطاب الفكر والعلم الإسلامي.

جامعة دمشق

وقد أصبح في الشام ساعد عمه الأيمن، وكان بيتهم مجمع العلماء والدعاة من العالم الإسلامي كله. وكان من جهادهم مشروع الاتحاد بين سوريا ومصر، والذي انهار بسبب غرور جمال عبدالناصر رئيس مصر.

لكن بعد الانقلاب البعثي تغير كل شيء في سوريا، فاضطر السيد المنتصر للخروج منها، ثم اضطرته الظروف إلى الهجرة من الشام إلى عمان بالأردن، ثم منها إلى مكة المكرمة بالحجاز، التي دخلت تحت حكم المملكة العربية السعودية بعد انهزام الملك حسين بن علي أمام قوات الملك عبدالعزيز بن سعود سنة ١٣٤٣.

وفي الحجاز اصطفاه الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود مستشاراً له، لما وجد فيه من الروح الإسلامية الجياشة، والعلم العميق المتمكن.

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وعمل في الحجاز في سلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -التي كان أحد مؤسسيها- أستاذاً للتفسير والحديث والفقه، والمذاهب الإسلامية والاجتماعية المعاصرة في كلية الشريعة وكلية الدعوة، ودرس الحديث في كلية الشريعة وكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ثم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وعضواً ومستشاراً برابطة العالم الإسلامي.

وكان مواظباً على التدريس بالحرمين الشريفين؛ فدرس بالحرم المكي والحرم النبوي الشريف تفسير القرآن الكريم إلى أن أتمه، والموطأ، ومسند الإمام أحمد.. وغير ذلك، متنقلاً نصف الشهر في مكة المكرمة، والنصف الآخر بالمدينة المنورة.

وقد أشار على الملك فيصل -رحمهما الله تعالى- بعدة إشارات وجد منه فيها القبول التام، منها فكرة: (منظمة المؤتمر الإسلامي)، التي كان ينوي عن طريقها جمع الدول الإسلامية في هيئة واحدة تكون مقدمة للخلافة الإسلامية الجامعة، وسافر سفرات طويلة إلى مختلف البلاد الإسلامية والتقى بقادتها من أجل إقناعهم بهذه الفكرة، ولتكون في مقابلة جامعة الدول العربية التي هي فكرة بريطانية في الأصل. وقد تمت هذه الفكرة غير أنها لم تستمر كما أراد، نظراً لمقتل الملك فيصل -رحمه الله تعالى- بعد ذلك.

كما حاول الصلح بين المغرب والجزائر في أزمة الحدود الشهيرة التي كادت تندلع الحرب بينهما بسببها، حيث أرسله الملك فيصل للتوسط بين البلدين الشقيقين من أجل المصالحة. وقد اقترح على الملك المذكور فكرة الدينار الإسلامي عملة نقدية يتوحد عليها العالم الإسلامي في مقابلة الدولار الأمريكي، وأن لا تقبل الدول التعامل إلا بهذه العملة، غير أن هذا المشروع أقبر بموت الملك فيصل رحمه الله.

وقد عرض عليه الملك فيصل الجنسية السعودية له ولجميع أسرته وأصهاره، لكن لم يتيسر ذلك لتغير الظروف بعد مقتل الملك، رحمه الله.

وهو صاحب فكرة: (موسوعة الفقه الإسلامي) في مصر، بل أول من دندن حولها في العالم الإسلامي، وهي من اختراعه وابتكاره، وكان المقصود منها: تيسير الوصول إلى مظان الفقه الإسلامي؛ خاصة المذاهب الفقهية غير المتبوعة والمنقرضة، وذلك لتيسير إحياء الحكم بالشريعة الإسلامية كما كان الحال في أيام الخلافة الإسلامية المزدهرة.

وبسبب توجيهاته أسست: «موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الإسلامي»، التي سميت من بعد: «موسوعة الفقه الإسلامي».

ولما استوطن سوريا؛ نقل تلك الفكرة؛ فعملت جامعة دمشق على إصدار أول مؤلف من نوعه في هذا الميدان؛ وهو كتابه: «معجم فقه الظاهرية» في مجلدين باسم موسوعة الفقه الإسلامي، ثم ألف: «معجم فقه السلف: صحابة وتابعين وعترة» في تسعة أجزاء طبعتها جامعة أم القرى عام ١٤٠٦.

وقد عمل كذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى في مختلف القارات الخمسة، وأسلم على يديه وبسببه جمع كبير من غير المسلمين، وألقى محاضرات كثيرة في التعريف بالإسلام والمسلمين.

ثم إنه في آخر عمره أصيب في بكسر في حوضه، فأقعده لمدة ١٣ سنة، ورجع للمغرب مع أسرته، فأدركته المنية بالرباط سنة ١٤١٩. رحمه الله تعالى.

وقد كان اعتقاده اعتقاد السلف الصالح وأهل الحديث الشريف، لا يخرج في ذلك عن أقوالهم وأحوالهم قدر فهمه وعلمه، حاضاً على الرجوع إلى السلف الصالح في الفهم، والابتعاد عن الفلسفات الأجنبية، مبتعداً عن كل ما فيه تفرقة بين المسلمين، متعاوناً في الخير ونصرة الإسلام مع الجميع. محباً لآل البيت حباً جماً، وللصحابة الكرام جميعهم، تاركاً الخوض فيما كان من التنازع بين الصحابة، معظماً لجميعهم، مترضياً عنهم دونما استثناء، يرى أنهم تلاميذ خير أستاذ ﷺ، فهم من العظمة بقدر مقدارهم، رضي الله عنهم أجمعين.

قال جدنا محدث الحرمين الشريفين محمد المنتصر الكَتَّانِي رحمه الله: «والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة أكثرهم قال فلسفات يونانية ما أنزل الله بها من سلطان، ولا دليل عليها من قرآن، ولا حجة عليها من سنة الرسول سيد ولد عدنان ﷺ[1]».

---

١ تفسير الإمام محمد المنتصر الكتاني، (١٤٧/٩).

وقال رحمه الله: «وكما يجب نشر الإسلام يجب نشر لغته، ولقد كان الأمر كذلك منذ القرن الأول إلى بعد القرن الثاني الهجري بقرنين أو ثلاثة قرون إلى مدة مائتي سنة، حتى جاءت وثنية الوطنية والقومية فتعصب لذلك، نتيجة نفاق المنافقين وكفر الكافرين وصد الصادين عن الله ورسوله ﷺ.

وابن تيمية في كتابه (الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) والذي ينبغي أن يسمى: الدولة العربية الإسلامية قال: لقد كان المسلمون في عصرهم الثاني في جميع شعوبهم، عرباً وعجماً وفرساً وروماً وأحباشاً وهنوداً وعلوجاً، يتكلمون العربية كأهلها.

وفي عصره جاء الرحالة المغربي ابن بطوطة من أرض طنجة من المغرب ورحل لمدة ثلاثين عاماً في ديار المسلمين في المشارق والمغارب والشمال والجنوب، ولم يكن يعرف إلا اللغة العربية، فكان يتكلم بها مسافراً ومهاجراً ورحالة، وتقلد في أكثر هذه الأقطار مناصب عالية كحاكم وقاضٍ، وما كان يتكلم إلا بلغته العربية فيفهمون عنه ويفهم عنهم، وتزوج زوجات في كل مصر دخله زوجتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وكن يمتنعن من السفر معه فيطلقهن ويترك لهن أولاده، فلم يعودوا يتصلون به. فهو كان عملياً يتكلم اللغة العربية وكانت كل شعوب الإسلام تتكلم بها.

فابن تيمية ذكر هذا علماً، وابن بطوطة المغربي ذكر هذا جلوساً ووقوفاً بنفسه على ذلك، وما تغير هذا إلا منذ قرنين بعد فساد الأزمان وانتشار الجهل وتولي الكافرين مصالح المسلمين وشئونهم، فاخترعوا لهم التعصّب للوطن وللأقوام، وهي عقائد وثنية جاهلية. والمسلم جميع ديار الإسلام وطنه، وجميع المسلمين إخوانه؛ ولذلك

الكفرة من بعض الحكام إذا أرادوا امتحان موظف سألوه: هل المواطن اليهودي أو النصراني أقرب إليك أو المسلم الهندي أو الأندونيسي؟ فإن قال: المسلم أخي حيث كان أسقطوه ولم يعدوه وطنياً أو قومياً، مع أن كتاب الله وعقيدة المسلمين على خلاف ذلك، والله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فالمؤمن أخي حيث كان في أرض الله، في أمريكا أو في أوروبا أو في الهند أو في الصين، فجميع من قال «لا إله إلا الله» فهو أخي، وليس أخي من أشرك بالله ولم يؤمن بالإسلام ديناً ولو كان من أقرب الأقربين إليّ، فذاك أخي؛ لأن الله آخى بيني وبينه، وذاك عدوي أو تحت ذمتي وليس أخاً لي بحال من الأحوال[٢]».

وقال أيضًا: «ثم فسد الناس وضعفوا في دين الله، واتخذوا من الوثنية والقومية أوثاناً وأصناماً، فتعصبوا للغاتهم وأوطانهم وعشائرهم، فأضاعوا لغة العرب؛ لغة كتاب الله، ولغة دين الله، فأصبح كتاب الله مترجماً إلى لغات إسلامية، وإلى لغات فارس والهند، ثم بعد ذلك إلى لغات جميع سكان الأرض.

تلك البدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ونرى اليوم الدعاة فرطوا فيها وتتابعوا فيها وهم يظنون أنهم يدعون إلى خير، وتلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وما دعا رسول الله العرب والعجم إلا بلغة العرب لغته ولغة القرآن الكريم، ثم تتابع بعد ذلك خلفاؤه الراشدون، فما نصروا الإسلام في كتابه وسنته إلا بلغة العرب، فكانت الدعوة إلى اللغة العربية، وما لغة العرب إلا القرآن والسنة؛ لأن من لم يعلم لغة العرب لا يعلم القرآن ولا يعلم السنة النبوية، إلا إذا نشأ بين أهلها وفي بيئتها وتعلمها طفلاً وتحدث بها صغيراً، أما إذا تعلمها على كبر فيكون تعلماً ناقصاً وقاصراً، فقد رأينا الكثيرين ممن نصبوا أنفسهم دعاة إلى الإسلام، ما تعلموا لغة العرب إلا عن كبر، فأتوا بالمصائب في تفسير كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، حتى خرج به

---

٢ تفسير المنتصر الكتاني (٢٩٨/٩).

بعضهم عن الإسلام، والبعض الآخر قال: إن النبي لا يطاع إلا إذا كان معه آية قرآنية، وفيما عدا ذلك ليست طاعته بواجبة، فهذا قول كافر، فمن قاله بعد تحريره وتبيينه وأصر عليه يعتبر كافراً[٣]».

قال رحمه الله: «وكذلك لا يجوز ويحرُم تمثيل آل بيت النبوّة، وأصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ويجب احترامهم بأمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ.

والممثلون أهل لعب ومجون، وأهل كذب واستخفاف، وقد يصل بهم اللعب في التمثيل والكذب إلى الاستخفاف بمن يجعلونه غرضًا لذلك التمثيل وهدفًا، وإذ ذاك يصبح التمثيل كفراً وزندقةً، عقوبته القتل بلا استتابة، ولا يبقى حكمه عدم الجواز والحُرمة فقط، ولا يكفي في عقوبته اللعنةُ لمرتكبيه والساعي فيه والنفي من البلاد فقط![٤]» .

ترك رحمه الله تعالى مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون، فمنها:

١. نظام الدولة الإسلامية، المسمى: «فتية طارق والغافقي. ٢. تقديم وتحقيق لكتاب جده: «الرسالة المستطرفة». ٣. تفسير صوتي للقرآن الكريم، تام في أكثر من ٥٠٠ شريط. كان قد ألقاه في الحرم المكي الشريف. ٤. فاس عاصمة الأدارسة. ٥.تخريج أحاديث كتاب «تحفة الفقهاء» في فقه الأحناف لأبي الليث السمرقندي، بالتعاون مع العلامة الدكتور وهبة الزحيلي.طبع

---

٣ تفسير المنتصر الكتاني (٣/٣١٠).

٤ فصل الخطاب في حكم تمثيل النبيّ والآل والأصحاب (ص١١).

في مجلدين. ٦. الدولة الإسلامية المنتظرة. ٧. شرح موطأ الإمام مالك تسجيل صوتي. دروس ألقاها في الحرم الشريف. ٨. شرح وتخريج مسند الإمام أحمد. أتم عشره في ستة عشر جزءاً. أصله دروس ألقاها في الحرم النبوي الشريف. ط. ٩. فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى. ط. ١٠. معجم فقه السلف صحابة وعترة وتابعين. ٩ أجزاء. ط. ١١. معجم فقه ابن حزم الظاهري. مجلدين. ط. ١٢. المعذبون في الله في القرون الفاضلة. ١٣. المستدرك على «نظم المتناثر في الحديث المتواتر». ضمنه ألف حديث. ١٤. المعقب في رجال الحديث. عقب فيه على الحافظ ابن حجر وغيره من أئمة علم الرجال. ١٥. مؤلف في إثبات التدوين في القرن الأول الهجري، والرد على المستشرقين الذين ادعوا أن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني. طبع في مقدمة تخريجه لأحاديث «تحفة الفقهاء». ١٦. مسند الإمام بقي بن مخلد الأندلسي. جمع. ١٧. مسند الإمام ابن حزم الأندلسي. جمع. ١٨. فصل الخطاب في حكم تمثيل النبيّ والآل والأصحاب.

١٤. محمد ناصر الدين الكتاني

محمد ناصر الدين الكتاني

ومنهم شقيقه العلامة المحدث الأثري أبو أسامة محمد ناصر الدين بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر.

كان علامة محدثاً، غيوراً على دينه، شديداً في الحق لا يخاف فيه لومة لائم. ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٤، وانتقل مع أهله إلى دمشق عام ١٣٣٦، فتلقى بها تعليمه الابتدائي، ثم منها لفاس عام ١٣٤٥ حيث تربى بها وترعرع في كنف والده، وجده، وانخرط في سلك طلبة علماء القرويين إلى أن حصل على شهادة العالمية. كما حصل على إجازات في الرواية والإسناد من جمهرة من أعلام المشرق والمغرب.

ثم أقام بالقاهرة نحو خمسة عشر عاماً خدم فيها من خلال الجامعة العربية قضايا استقلال المغرب والجزائر وتونس خدمة كبرى، بالتنسيق والتعاون مع مختلف الزعماء والمجاهدين، وعلى رأسهم الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي كانت تربطه به علاقة متميزة، امتدت جذورها، وكان مكتبه ومنزله مقصداً لزعماء المغرب العربي ورواد حركته الوطنية، ومقصداً لدعاة الإسلام.

ولما أسس الزعيم الخطابي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، كان عضواً فيها ممثلاً لحزب الشورى والاستقلال.

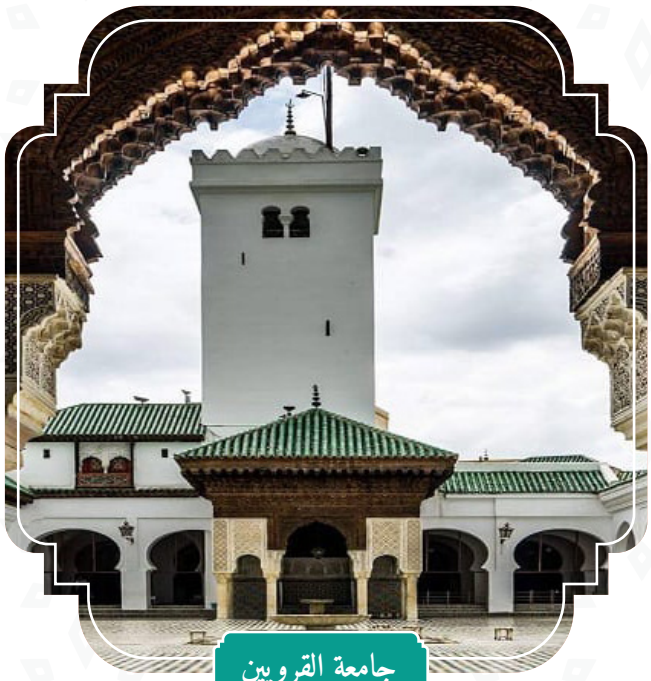
جامعة القرويين

وفي مصر حصل الأستاذ الناصر الكتاني -إضافة إلى شهادة العالمية من جامعة القرويين- شهادة الماجستير في العلوم الشرعية من دار العلوم بالقاهرة. ثم أصبح أستاذاً بدار الحديث الحسنية بالرباط، من أول إنشائها عام ١٣٨٤، وبكلية الآداب بجامعة محمد الخامس، إضافة إلى دروسه العلمية بمسجد مولاي سليمان بالرباط وغيرها من المساجد الكبرى التي كان يتطوع لإلقاء الدروس بها ابتغاء مرضاة الله، ودروسه أيضاً بدار الإذاعة والتلفزيون في شهر رمضان والمناسبات الدينية الأخرى، وكان داعية إلى تعريب التعليم.

وله عدة مؤلفات قيمة؛ منها: «عيون الآثار فيما تواتر من الأحاديث والأخبار»، و«قيد الأوابد في فنون العلم والفوائد»، وديوانان شعريان، و«الأحاديث المختارة من مسند الإمام أحمد»، ومحاضرات في

التفسير، وأخرى في شرح مسند الإمام أحمد، ومحاضرات عن الكامل للمبرد، ومحاضرات في علم البيان، ومحاضرات في شرح «الموطأ»، إضافة إلى سلسلة مهمة من المقالات العلمية والأدبية نشرت في مختلف مجلات وجرائد مصر وسوريا والمغرب.

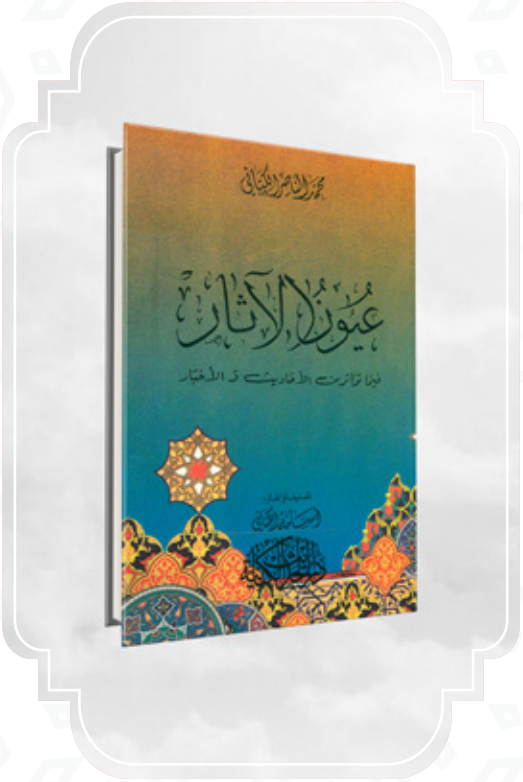

عاجلته المنية وهو في الطريق بين مدينتي سلا والقنيطرة، إثر حادث مروع، وذلك في آخر عام ١٣٩٤، وشيع في جنازة مهيبة إلى ضريح الإمام عبد الله بن ياسين في طريق زعير خارج الرباط، حيث أوصى أن يدفن فيه.

ومما يجدر ذكره أن العلامة محمد الناصر كان له تأثير كبير على الشيخ عبدالسلام ياسين، رحمه الله، مؤسس جماعة العدل والإحسان، هو وشقيقه جدنا محمد المنتصر، رحمه الله. كما أخبرني بذلك الشيخ عبدالسلام ياسين نفسه. وهما من أسباب خروجه من الطريقة البودشيشية وتبنيه العمل الحركي. وأخبرني خالي الدكتور محمد بدر الدين أن جدي كان يمد الشيخ ياسين بكتب رجال الحركة الإسلامية ويحضه على العمل الحركي وترك خمول الزوايا.

وأخبرني الشيخ ياسين في بيته أن الشيخ الناصر كان يقول له: «قريباً ستأتي لبابك السيارات الفخمة». وكذلك كان. وكان رحمه الله معظماً للحديث والأثر، داعية لمنهجهم. ولابن عمنا الحبيب الدكتور أسامة بن محمد الناصر الكتاني كتاب حافل في ترجمة والده رحمه الله.

نصرة نبينا ﷺ.. الوجوب والثمرة

جلال الشميري

كاتب يمني

إن نصرة المؤمن لنبيه ﷺ واجبة، هذا الوجوب له ناحيتان: ناحية تعبدية، بمعنى أنه إطاعة لأمر الله، وناحية غائية أي نتيجة يستفيد منها الناصر فردا ومجتمعا وأمة.

ومستند ذلك من كتاب الله العزيز نصان:

النص الأول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩].

إن التعزير لغة هو الإشهار، والتوقير هو التثقيل، بمعنى أن تعطي للشيء ثقلاً، أي تعظيماً، والتسبيح هو التقديس والتنزيه من كل عيب ونقص.

والآية تعيد ضمير المفرد في الأفعال الثلاثة إلى لفظ (الله ورسوله)[1]، بمعنى أن الله ورسوله يجب أن يعتبر واحداً لا اثنين، والمقصود بهذه الوحدة هي وحدة النسبة لا وحدة الذات، تعالى الله علواً كبيراً.

فالله جعل نبيه محمداً ﷺ واسطة التبليغ بينه وبين خلقه ودليلهم إليه سبحانه، فلم نعرف الإسلام إلا منه ﷺ ولم نقرأ القرآن إلا بلسانه.

---

١ جمهور المفسرين على أن الضميرين الأولين (تعزروه وتوقروه) يعودان إلى النبي ﷺ، والثالث (تسبحوه) يعود إلى الله سبحانه، ولكن اختار برهان الدين الكرماني المعروف بـ(تاج القراء) والمتوفى في (٥٠٥ هـ) عود الضمائر الثلاثة إلى النبي ﷺ. (المصدر: محمودبن حمزة برهان الدين الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١١١٢/٢).

فمن بايع الرسول فقد بايع الله، ونجد هذه الوحدة مصاغة في آية أخرى وهي: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، فجعل الضمير مفرداً مع أنه راجع لمثنى.

إذن، وبعد هذا التوضيح.. فالتعزير مقصوده إشهار ونشر رسالة الله تعالى والنبي ﷺ بأي وسيلة في كل زمان ومكان. والتوقير مقصوده تعظيم الله تعالى والنبي ﷺ على كل مخلوق مهما كان.

والتسبيح مقصوده تنزيه الله تعالى والنبي ﷺ عن أي عيب ونقصان.

إن هذه النص يأمر فيه سبحانه المؤمنين بإبراز الكمالات المحمدية وشرحها وتوضيحها بما يتفق مع عقل وقلب الإنسان المعاصر، ومن جانب آخر تأكيد عصمته ﷺ وإزاحة التهم والشبهات المنسوبة إليه.

- النص الآخر: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

إن الله تعالى في هذه الآية يخبر كل مؤمن بوجوب نصرته وأن لهذه النصرة ثمرة تعود على الفرد والمجتمع والأمة، تتمثل في:

- إنزال الله السكينة عليهم.
- تأييد الله لهم بجنوده.
- تحويل حالهم ليكونوا أعلى الأمم.

هذا التحويل الذي بيّنه نبينا ﷺ لأنصاره يوم حُنين، حين وجدوا في أنفسهم لما قسم نبيهم الغنائم في المؤلفة قلوبهم ولم يعطهم منها شيئاً، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ جمعهم فخطبهم قائلاً: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي»[٢].

وما أشبه حالنا اليوم بحال العرب قبل بعثته ونصرتهم له! فإن أردنا اليوم أن نهتدي بعد أن أضاع معظمنا الطريق القويم، وأن نتآلف بعد صرنا فرقاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وأن نغتني بعد ما نخر الفقر في أجساد غالبيتنا حتى باع الرجل دينه بعرَض من الدنيا قليل، وحتى هجر المسلم داره إلى ديار غريبة - إن أردنا ذلك كله فعلينا العودة إلى نصرة الله ورسوله.

وقد تتساءل أخي القارئ أختي القارئة:

كيف يمكنني في عصرنا هذا أن أحقق هذه النصرة وأحصل على هذه الثمرة؟

الجواب هو: أن يكون المؤمن كالذين كانوا مع النبي الأكرم في الأخلاق وحسن السيرة، فالمعلم في صفه، والعامل في مصنعه، والتاجر في تجارته، والفلاح في أرضه، وذو السلطة في منصبه كلهم يتأسون بالأسوة الحسنة على صاحبها الصلاة والسلام.

فإن حققنا ذلك نصرنا نبينا ﷺ ورفعنا ذكره وعظمنا قدره فشرحنا صدره، لأنه ﷺ يحب أن يرانا كذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومحبيه وجنده إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

---

٢ البخاري، برقم ٤٠٧٥.

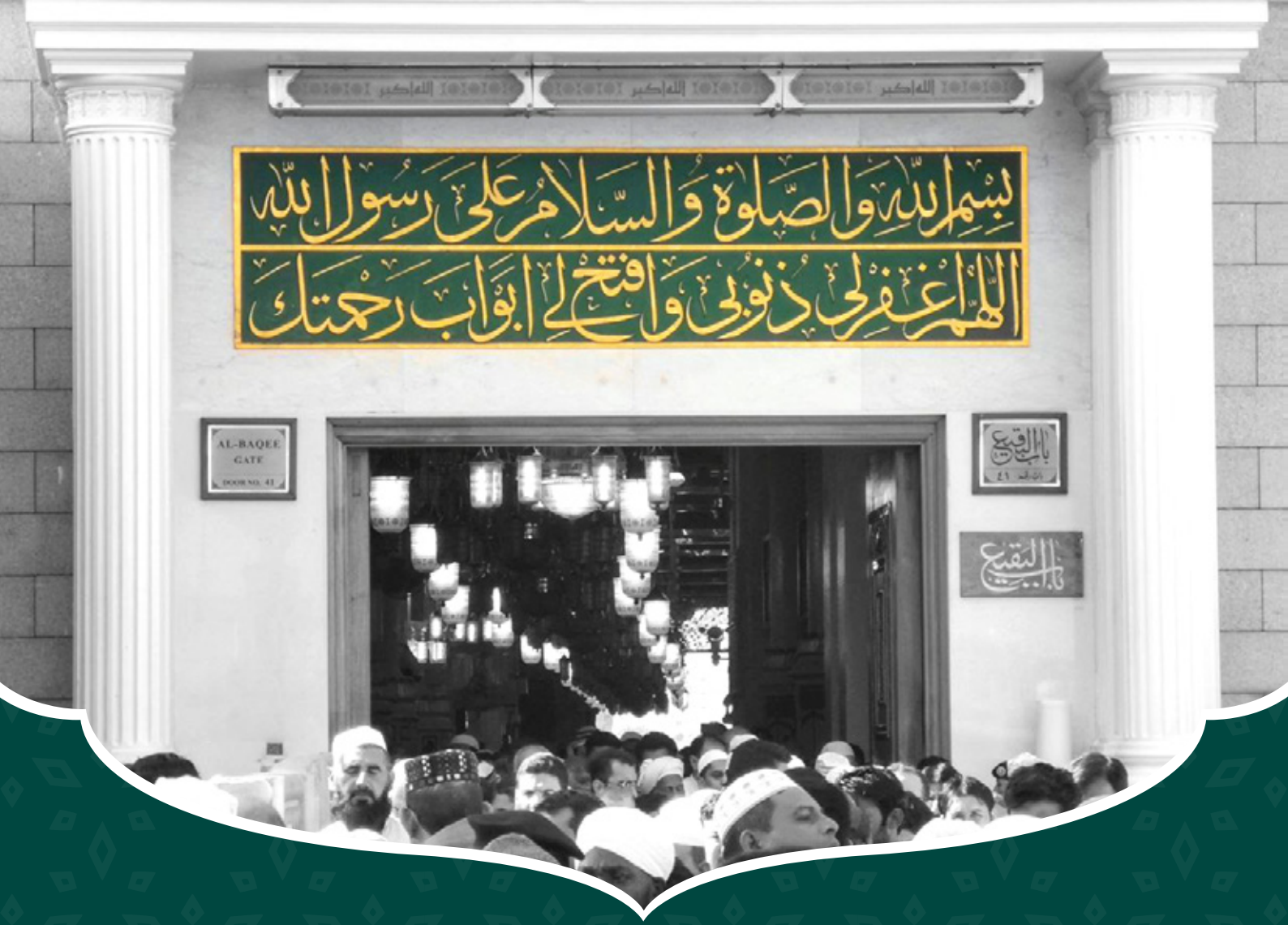

.. فداء ..

شعر: محمود عبدالسلام إمام

فداك أبي وأمي يا رسول الله .. ونفسي والبنون ومن أعولُ

وكلتا زهرتي بيتي وأهلي .. ورهطي والفصيلة والقبيلُ

وأهل الأرض كلهم فداء .. لكم وفداؤكم شرف جليلُ

إذا رضي المهيمن عن عُبيدٍ .. أقام خطاه حيث مشى الرسولُ

وألهمه محبتكم وشوقاً .. فإن لقاءكم أمل وسولُ

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

دورة بيوت النبي

دورة علمية يقدمها الدكتور/ **حاتم عبدالعظيم**، تتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ، ونسبهن وإسلامهن، وقصة زواج النبي بكل واحدة منهن، وكذلك الحديث عن التعاملات الأسرية في بيوت النبي ﷺ، والقواعد النبوية لبناء البيت المسلم، كما تستهدف رد الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ، وبيان الغاية والحكمة من ذلك.

أهداف الدورة

- التعريف بزوجات النبي ﷺ، ونسبهن.
- التعريف بقصة زواج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته.
- بيان أهم المواقف في حياة كل زوجة من زوجات النبي ﷺ.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ معه كزوج.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ فيما بينهن.
- دفع الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

بيوت النبي

16 محاضرة | 8 ساعات

كيف عاملهم

دورة علمية قدمها ثلة من العلماء المعتبرين تتناول الحديث عن أخلاق النبي ﷺ ومعاملاته مع كافة شرائح الناس، مثل تعامله مع أهل بيته، وأصحابه وأتباعه، وكذلك مع الشرائح الدعوية المختلفة، وكيف كانت أخلاقه مع مختلف أصناف البشر، وحتى مع غير البشر، من الجن والدواب وحتى الجمادات.

أهداف الدورة

- تكوين صورة متكاملة لأخلاق النبي ﷺ، ولكيفية تعامله مع الناس جميعًا.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع أهله وأقاربه.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الدعوية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع عموم النساء وكبار السن والصغار.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع غير البشر.
- بيان مركزية الأخلاق في الإسلام.
- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- تعظيم قيمة الاقتداء بالنبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- بيان الأسس النبوية لبناء البيت المسلم.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

كيف عاملهم

22 محاضرة | 10 ساعات

الدورات العلمية القادمة

السيرة النبوية | غزوات النبي ﷺ | فـقـه الـزكـاة

لمتابعة كل جديد يرجى الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي

@ansaracademy_

مناشط الأكاديمية في شهر رمضان

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

- ندوة هدي النبي في شعبان.
- برنامج هدي رسول الله في رمضان.
- دورة فقه الصيام.
- ندوة الاستثمار الأمثل لرمضان.
- ندوة هدي النبي في العشر الأواخر من رمضان.
- ندوة زكاة الفطر؛ الحِكَم والأحكام.

سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية
لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية

سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات
ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين،
تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

مساحة إعلانية

سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

سلسلة شرح كتاب الشفا

كتاب السيرة النبوية بعدة لغات

الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

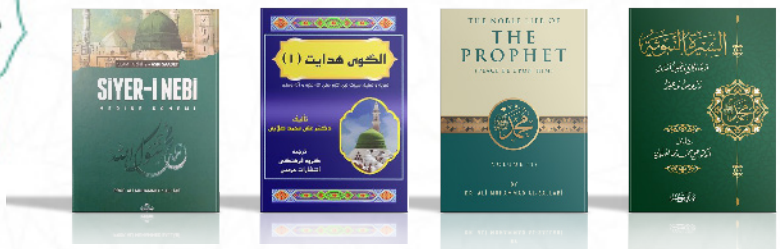

١ ٢ | ١ ٢ | ١ ٢ ٣ | ١ ٢

مساحة إعلانية

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

كتاب رياض الصالحين
للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا

أئمة الهدى

﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾

.. من تراث علمائنا الراحلين ..

١٣٧ ماضٍ لا يُمحى..
اقتحام الفرنسيين للجامع الأزهر
الأستاذ/ محمد جلال كشك

١٥٤ الجهاد باللسان
الشيخ سعيد حوى

١٦٣ من تاريخ الإجرام الفرنسي في الجزائر
الشيخ محمد خير الدين

١٧٤ مرني يا رسول الله أن أقتله
الشيخ حسن بن محمد مشاط

١٨١ بسالة الصحابة في الدفاع عن الرسول ﷺ في غزوة أحد
العلامة محمد يوسف الكاندهلوي

ماضٍ لا يُمحى..

اقتحام الفرنسيين للجامع الأزهر

الأستاذ/ محمد جلال كشك

رحمه الله*

«استمر ضرب البنادق الموجه للبطاريات الفرنسية من مآذن جامع السلطان حسن وقبته طوال العصر، ولما أقبل المساء وأحدثت القنابل فعلها أحدقت ثلاث أورط من المشاة و٣٠٠ فارس بالأزهر، وتقدم رجالها لا يعترض ضربهم وسيوفهم معترض، ودخلوا الجامع عنوة».

---

* المقال منتقى من: محمد جلال كشك، ودخلت الخيل الأزهر، ط٣ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠م)، ص٢٢٠ وما بعدها.

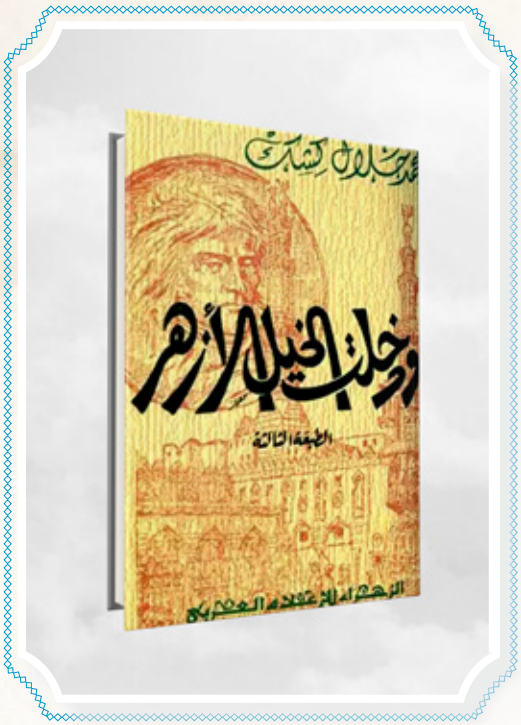

«وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهَّارات، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع، والأواني والقصاع، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوَّطوا، وبالوا وتمخطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عرُّوه، ومن ثيابه أخرجوه»[1].

نعم ويل للمغلوب، وكان هذه هي أول مرة في التاريخ يُقتحم فيها الأزهر على هذا النحو، وتهدر كرامته بهذا الأسلوب البربري، الذي لا يشبهه إلا الاحتلال الصليبي لبيت المقدس في القرن الحادي عشر، ولا يفوقه إلا إحراق الاحتلال الصهيوني للمسجد الأقصى في القرن العشرين.

وفي كتاب «نقولا الترك» أن نابليون رفض الجلاء عن الأزهر، وأن هذا الاحتلال قد أحدث أثرًا فظيعًا في الجماهير المصرية وقياداتها (وما زال العامة في مصر حتى الآن يضربون المثل على أبشع ما يمكن أن يقع بقولهم : «الخيل دخلت الأزهر»).

كان الأزهر كما قلنا هو مركز قيادة وزعامة الأمة المصرية، ورمز عزتها وسيادتها، واقتحامه وإهانته على هذا النحو هو إهانة للأمة أو إعلان لهزيمتها على يد غازٍ بربري.. فهو ليس مجرد مسجد.. فالفرنسيون

---

١ الجبرتي، ج٣.

هدموا عدة مساجد وضربوا الأزهر من مسجد السلطان حسن، الذي احتلوه وركبوا المدافع في مآذنه.. ولا شك أن الاعتداء على حرمة المساجد أثار المصريين وأهان مشاعرهم، ولكن الأزهر أكبر من ذلك.. وباقتحامه على هذا النحو، سقط كل زيف حاول الغزاة أن يستروا أهدافهم خلفه.. وأصبحوا وجهًا لوجه ضد الأمة.. ضد الشعب المصري.. فمهما تكن خسائر ثورة القاهرة الأولى، فإن مكسبها الأعظم هو كشفها طبيعة الصراع المصيري بين الغزاة والأمة.

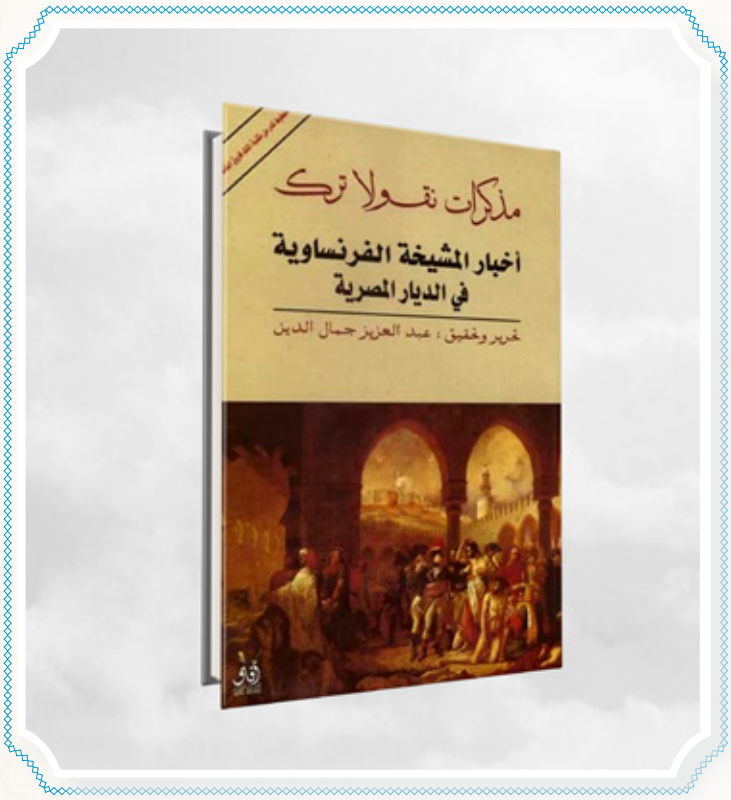

وقد سجل «نقولا الترك» أن «الشيخ محمد الجوهري» (وقد عرفنا مكانته وزعامته) دخل على نابليون قائلًا: «ما قابلت حاكمًا عادلًا كان أو ظالمًا، والآن قد أتيت متوسلًا إليك أن تأمر بإخراج العسكر من الجامع الأزهر. فقبل نابليون رجاءه وأمر بإخراج الجنود من الأزهر».

رحم الله الشيخ «الجوهري»، عرف أن كرامة الأمة وكرامة رموزها ومقدساتها.. فوق الكرامة الفردية. وعرف أن مصر قد احتلها الأجنبي وأصبحت مستعمرة، وأنه لم يعد بالإمكان -كما كان الحال- أن يترفع قادة الشعب عن زيارة الحاكم. وغفر الله للشامتين بنا الذين يعتبرون أن مصر تحررت في هذه الفترة بالذات وبدأت تمارس الحكم الوطني!

وكانت نية نابليون متجهة إلى هدم الجامع الأزهر، فقد أصدر الجنرال برتييه رئيس أركان الحرب تعليمة (وهي صادرة بأمر القائد العام إلى الجنرال بون بتاريخ ٢٣ أكتوبر): «يهدم الجامع الأكبر ليلًا إذا أمكن، وترفع الحواجز والأبواب التي كانت تسد الشوارع»[٢].

ثم بدأت «العدالة» الثورية الفرنسية في الاقتصاص من «الثوار البلديين»! سواء في القاهرة أو في الأقاليم: «بعقوبات رهيبة، شرفتنا ورفعت قدرنا»[٣]. كما وصفها تتري فرنسي!

ومن أجل المزيد من التشريف ورفع القدر أصدر نابليون للجنرال برتييه: «تفضل أيها المواطن القائد بأن تأمر قومندان القاهرة، بقطع رءوس جميع المسجونين الذين أُمسكوا وبيدهم سلاح. فليُؤخذوا إلى شاطئ النيل بعد هبوط الظلام، ولتُلقَ جثثهم المقطوعة الرءوس في النهر»[٤]. وفضلًا عن هؤلاء المسجونين، أُعدم في القلعة ثمانون عضوًا من «ديوان الدفاع» (الذي تزعم الثورة)، وهكذا نجد جهرًا بالعفو عن الأبرياء وإعدامًا للمعارضين في الخفاء، وتحت جنح الظلام، وهي سياسة خليقة بأن تحظى برضاء ميكافيللي»[٥].

واستمرت عملية «التشريف ورفع القدر»، فتم قطع رؤوس ستة من المشايخ الذين اتُّهموا بقيادة الثورة، والمؤرخون الذين يتشدقون

---

٢ الرافعي، ج١.

٣ بونابرت عن Fertray P86

٤ بونابرت عن مراسلات الخامس ٧٩-٩٠.

٥ هيرولد، بونابرت في مصر.

بشكلية محاكمة «سليمان الحلبي» لا يكلفون أنفسهم عناء تبرير إعدام هؤلاء المشايخ بلا محاكمة معروفة ولا وقائع.. بل إعدام شيخ طائفة العميان بتهمة القيام بعمل مسلح ضد المدفعية الفرنسية. بل ولا يخجل إمام من أئمة المدرسة الاستعمارية مثل «هيرولد» من تبرير جريمة نابليون، بأن يخلع على هؤلاء المشايخ أوصافًا تحريضية مثل «لا جدال في أن هؤلاء الرجال كانوا أشد رجال الدين المسلمين تعصبًا وتهييجًا للجماهير»[٦].

رجال دين.. متعصبون ... هه !

«وفي الصحف الفرنسية أن المشايخ الذي أُعدموا لقيادة ثورة القاهرة الأولى كانوا ستة، وليس خمسة كما قال الجبرتي»[٧].

وهذا يعزز الظن بأن الجبرتي كان يفتقر إلى المعلومات الكافية عن التنظيم الثوري وأشخاصه.

أما الشيخ عبد الشرقاوي رئيس الديوان (كما يعرفه الرافعي) فقد ذكر أن العلماء الذين أُعدموا هم ثلاثة عشر عالمًا. «ودخلوا بخيلهم الأزهر، ومكثوا فيه يومًا وبعض الليلة الثانية، وقتلوا فيه بعض علماء، ونهبوا منه أموالًا كثيرة. وسبب وجودها فيه (أي الأموال) أن أهل البلد ظنوا أن العسكر لا يدخله، فحولوا فيه أمتعة بيوتهم، فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع الأزهر، ودشتوا الكتب التي في الخزائن، يعتقدون أن بها أموالًا. وأخذ مَن كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبًا ومصاحف نفيسة»[٨].

---

٦ ن.م .

٧ الرافعي عن جريدة كوريه دلويجيت، العدد الصادر في ٢٠ برومير (١ نوفمبر ١٧٩٨م).

٨ "تحفة الناظرين" للشيخ الشرقاوي.

وكانت هذه هي أول مرة يُعدم فيها مشايخ الأزهر كالمجرمين.. أول مرة يتجرأ فيها حاكم على إعدام قادة الأمة.

أما المشايخ الذين أُعدموا.. فرغم تباين عواطف الجبرتي نحوهم، وهو الصادق مع نفسه إلى أقصى حد، الموضوعي في الوقت نفسه.. إلا أن عرضه لتاريخهم ومعلوماته عن شخصياتهم، تضعنا أمام صفة مشتركة فيهم جميعًا هي: «الجماهيرية»، بكل ما يحيط بهذه الصفة من مواهب وصفات مكتسبة، وغوغائية في بعض الأحيان، إن لم يقل البعض في أكثرها! المهم أنهم كانوا طرازًا خاصًّا من المشايخ، يستطيعون مخاطبة الجماهير وتحريكها.. بل وتنظيم الجماهير.

فالشيخ «العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي الشافعي الأزهري».. كان «يأتي إليه الفلاحون من جيرة بلادهم بقضاياهم وخصوماتهم وأنكحتهم، فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوي في الدعاوى التي يحتاجون فيها إلى المرافعة عند القاضي، وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه، ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه. وربما أتوه بهدايا ودراهم، واشتُهر ذكره. وكان جسيمًا عظيم اللحية فصيح اللسان، ولم يزل على حالته حتى اتُّهم في فتنة الفرنسيس المتقدمة. ومات مع من قُتل بيد الفرنساوية بالقلعة، ولم يُعلَم له قبر».

أما «الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبدالوهاب الشبراوي الشافعي الأزهري» «فكان حسن الإلقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة.. حتى اتُّهم في إثارة الفتنة، وقُتل بالقلعة شهيدًا بيد الفرنسيس».

و«الشاب الصالح النبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الأزهري.. كان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح».

«والعمدة الشهيد الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان».

وهو شخصية ديكنزية أو دستوفسكية، استطاع أن ينظم العميان، ويجعل منهم قوة إرهاب تُخشى صولتها في القاهرة والأرياف. حتى أصبح بفضل هذا التنظيم المرعب من «أعيان الصدور المشار إليهم في المجالس، تُخشى سطوته وتُسمع كلمته، ويقال: قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا.. ولم يزل حتى حمله التفاخر في زمن الفرنسيس على توليه كبر إثارة الفتنة، وقُتل فيمن قُتل بالقلعة ولم يُعلم له قبر».

وإلى جانب الجوسقي الإرهابي نجد الغوغائي: «الأجلّ المفوّه العمدة الشيخ إسماعيل البراوي بن أحمد البراوي الشافعي الأزهري، كان قليل البضاعة، إلا أنه تغلب عليه النباهة واللسانة والسلاطة والتداخل، وذلك هو الذي أوقعه في حبائل الفرنساوية، وقُتل مع من قُتل شهيدًا ولم يُعلم له قبر. وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي غفر الله لنا وله[٩]».

---

٩ الجبرتي، ج٣.

لقد كشفت ثورة القاهرة ودماء الشيوخ الحقيقة الاستعمارية للوجود الفرنسي، وكشفت عن بربرية ووحشية الغزاة الذين طالبوا بأن «جميع الذين شهدت عيونهم الجنود الفرنسيين يستسلمون. كان يجب أن يُعدموا دون استثناء[١٠]»[١١]..

أحس الفرنسيون المنتصرون أن هيبتهم الاستعمارية قد تحطمت. وأن الأسطورة التي نسجتها هزيمة المماليك وجبنهم وهروبهم.. زالت بفضل مقاومة شعبنا وتحت قيادة شيوخه، فوقفة الأزهر والأحياء الشعبية أثبتت أن الفرنسيين ليسوا فقط قابلين للقتل، بل وأيضًا يحبون الحياة أكثر من شرف الراية المثلثة الألوان، إلى حد أنهم يرفعون أيديهم ويستلمون لـ«شرقي مسلم»! يحتلون بلاده ويتفوقون عليه تكنولوجيًّا.. إذن فهزيمتهم ممكنة وجلاؤهم محتوم، واستقلال بلادنا بحاجة إلى ضربات جديدة مريرة، ولكنها ضرورية وممكنة ومثمرة، فما لا يزيد ينقص كما يقول «نقولا الترك»: إن الناس «فهموا جيدًا أنه انقطع أملهم (أي أمل الفرنسيين) من إمداد يأتيهم من بلادهم، فقالوا في ذواتهم نحن نضاضدهم ونحاربهم، ورويدًا رويدًا يخلصون، لأن الذي لا يزيد ينقص»، لذلك اقترح الثوريون الفرنسيون إعدام كل مصري رأى السوبرمان الأوروبي في لحظة ضعف واستسلام!

واستمرت عملية «التشريف ورفع القدر» و«بعث القومية المصرية»[١٢]، فكتب نابليون لرينيه يقول: «في كل ليلة نقطع حوالي ثلاثين رأسًا، أكثرها لزعماء الثورة، وفي اعتقادي أن هذا سيعلمهم درسًا نافعًا»[١٣].

---

١٠ ويقول «هيرولد» إن دينون (صاحب هذا القول المأثور) كان معروفًا بتسامحه، وإنه كان يعبر بقوله عن حالة عقلية سادت وقتها بين العسكريين والمدنيين الفرنسيين.

١١ بونابرت عن I Denon، ١٠٧.

١٢ هنا يتحدث الأستاذ جلال كشك ساخرا من المؤرخين المتغربين الذين يؤرخون لنهضة مصر وبعث الروح الوطنية والقومية المصرية بالحملة الفرنسية، فهو في ثنايا العبارات يرد عليهم، لا سيما لويس عوض (تحرير المجلة).

١٣ بونابرت عن مراسلات ٥.

وكما لم يتعلم نابليون.. لم يتعلم شعبنا، فقبل انقضاء عام واحد كان نابليون قد غادر مصر إلى غير رجعة، وكانت مصر قد ثارت ثورتها الثانية الأعنف والأقوى.

وينقل الرافعي عن المراجع الفرنسية أن الكثير من المتهمين قد أُعدموا سرًّا (بلا محاكمة) بل يثبت الرافعي أن هؤلاء المتهمين قد قتلو بحد السنك»[١٤].

ولنا أن نتخيل -إن تحملت أعصابنا- كيف تم هذا الإعدام، وفرصة الاختيار أمامنا ليست واسعة، فالسنكي إما أن يذبح كما تذبح الخراف، أو يقتل طعنًا في الجسد حيثما اتفق، في إنسان مدني أعزل أسير في يد جيش منتصر!! بل وهذا المذبوح شيخ في الأزهر، أو سيدة باسلة هبت تدافع عن وطنها. إنها حالة وحشية وكافية لفضح أي ثرثرة عن دور تحريري أو تحضيري لجيش الاحتلال «الثوري» هذا.

قال المسيو «بوريين»[١٥] سكرتير نابليون الخاص في مذكراته: «سيق المسجونون إلى القلعة، وكنت أتولى في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثني عشر سجينًا كل ليلة، وكانت جثث القتلى تُوضع في زكائب وتغرق في النيل، واستمر ذلك ليالي عديدة، وكان كثير من النساء ممن نُفذ فيهن أحكام الأعدام الليلية».

---

١٤ الرافعي، ج١.

١٥ الرافعي عن مذكرات بوريين، ج١.

وهكذا نرى أن الدور «التحريري» الذي ينسبه مؤرخو المدرسة الاستعمارية إلى جيش الاحتلال الفرنسي بالنسبة للمرأة المصرية، لم يكن يشمل كفاحها من أجل التحرر الوطني ولا حتى من أجل تخفيف الضرائب. بل هو لا يتعدى خصرها، وإلا لرحب الحكم الثوري «بانطلاق» المرأة من «عقالها» واشتراكها في الثورة.

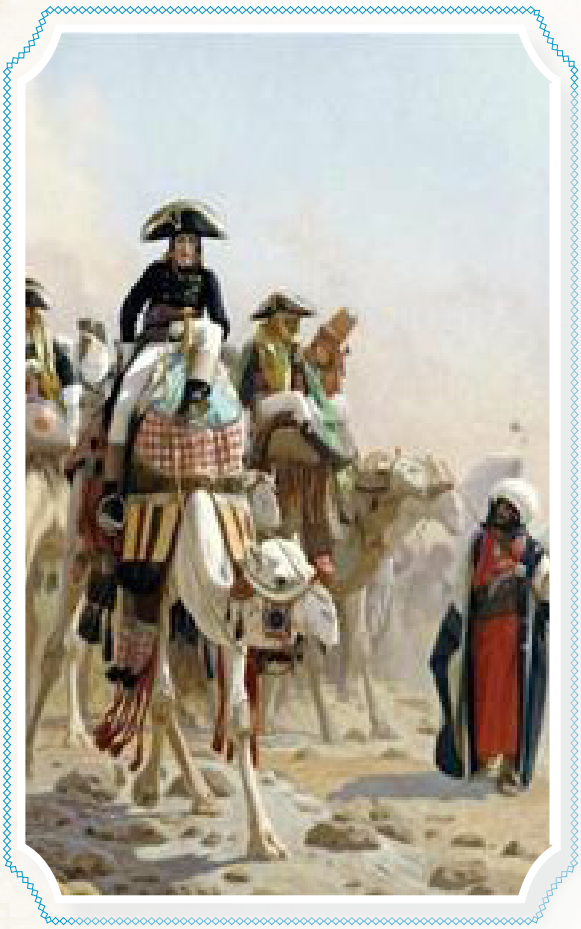

وإذا فهمنا دوافع جيش الاحتلال والسلطة الحاكمة في إعدام النساء الثائرات.. فأي عذر وأي منطق يخفي عار مَن يتصدون اليوم لتزوير تاريخ هذا الشعب، فيجعلون من مظاهرة تطالب بفتح الحمامات[١٦]، أو الخروج مع العسكر الفرنسيين في ثياب خليعة، وتَهَتُّك خلقي، بداية حركة تحرير المرأة! ويغفلون عن عمد اشتراك المرأة المصرية في أعمال المقاومة في الريف المصري، واشتراكها في قيادة الثورة بالقاهرة، على نحو دفعت معه حياتها ثمنًا لهذا الاشتراك. فأُعدمت قيادة الثائرات بحد السناكي في القلعة، أو أُغرقن في النيل!

أين يمكن أن يبحث المؤرخ الشريف عن قيادة الحركة النسائية.. وطلائع تحرير المرأة.. في سجن القلعة بين النساء الثائرات ينتظرن الإعدام بسناكي جيش الاحتلال.. دون أن يسجل تاريخ الحملة الفرنسية حادثة انهيار واحدة للمجاهدات الباسلات؟ أم يبحث عن هذه القيادة وهذه الطلائع في خمامير أشباه «برطلمين»،

---

١٦ راجع لويس عوض: قضية تحرير المرأة.

وفي فراش جنود الاحتلال يقودهن أمثال «يعقوب»؟!

على أية حال فإن ذلك المفهوم يلقي الضوء على طبيعة مفهومهم «لتحرير» المرأة.. -سنناقش ذلك بالتفصيل- المهم أن هذه السطور ليست إلا تحية عابرة للمجاهدات، جداتنا الباسلات اللاتي لم يخفهن نابليون ولا جيشه، بل اشتركن في تنظيم الثورة وشنها .. يقول الرافعي:

«وقد أسرف الفرنسيون في القتل (بعد إخماد ثورة القاهرة الأولى) ولم تأخذهم رحمة حتى بالنساء، فقتلوا كثيرًا منهن، وهذا من أفظع ما سُمع به من التنكيل وسفك الدماء».

ومن أجل المزيد من أعمال التشريف ورفع القدر انطلقت قوات نابليون تنهب وتذبح العرب على طول الطريق من العريش إلى عكا..

فبعد معاهدة لم تحترم مع حامية العريش وبعد سلب ونهب غزة وقضاء يومين «مع المسيحيين في الرملة».. أتم جيش «غلاة الجمهوريين» فتح يافا بنفس الأسلوب الذي تم به فتح القدس منذ ثمانية قرون! بل وبنفس الوصف «الشاعري» الذي تتحدث به كتب التراث اليهودي عن المعارك «الظافرة» والأعمال «النبيلة»، التي قام بها جيش إسرائيل بقيادة مجرم الحرب يهوه:

«وحالما استولى هؤلاء الجنود البواسل على المدينة ودخلوها، أعملوا السيف في نحو ٢٠٠٠ جندي من الحامية، كانوا يحاولون التسليم، وراح الفرنسيون يقتلون أعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله، والليل

كله، وفي صباح الغد، فالرجال والنساء والأطفال والمسيحيون والمسلمون، وكل من له وجه إنسان سقط صريع جنونهم، كما قال «مالو»، الذي ما زالت الصفحات التي كتبها في وصف هذا المشهد البشع تتجاوب بشعور الفزع والخزي.. وفي يافا كان النهب والسلب وشق البطون وهتك أعراض البنات وهن مازلن في أحضان أمهاتهن المائتات».

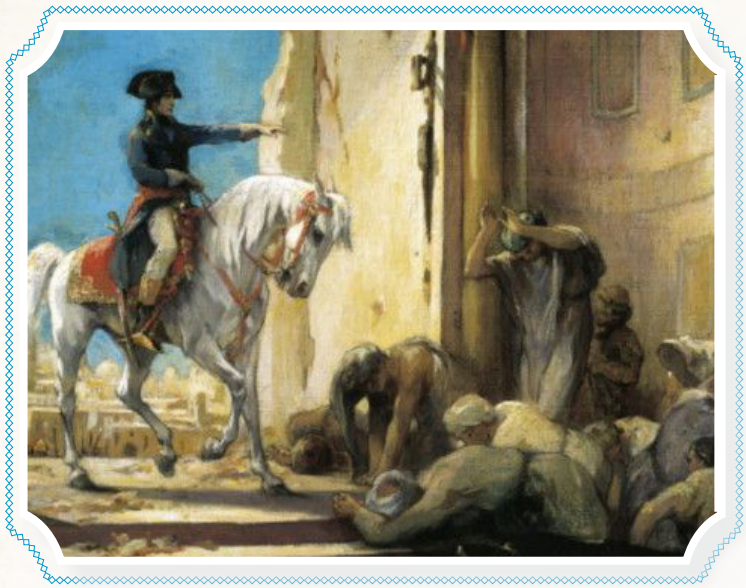

«كل هذا، وشر من هذا وقع في يافا في ٧ و٨ مارس... أما نابليون فكان تعليقه الهادئ: «بلغت سورة الجند قمتها فأعملوا السيف في كل إنسان، وقاست المدينة بعد نهبها جميع الأهوال التي تقاسيها مدينة مقتحمة»[١٧].

ونابليون لم يخطئ في اعتبار ما جرى في يافا قانونًا عامًّا بالنسبة لسلوك الحضارة الغربية.. ولكننا -وبكل تواضع- نرفض اعتبار ذلك السلوك البربري، قانونًا عامًّا للسلوك البشري، وبالذات، فإن حضارتنا أثبتت العكس.. حضارتنا عندما دخلت ذات المدن لم ترتكب هذه الأعمال.. وكان الفارق مجرد ١٢ قرنًا.. إلى الوراء!

وإذا كان ذبح أهل يافا بالسيف لا يستوقف المؤرخين الغربيين كثيرًا، لانشغالهم بما يسمونه «مذبحة يافا».. فإن هذه المذبحة بدأت بـ«اثنين من ياوران بونابرت هما «بوهارنيه» و«كروازييه»»، أرسلهما «نابليون» إلى المدينة ليريا ما الذي يمكن عمله لإعادة النظام إلى بروعها، وناداهما الجنود والترك من نوافذ القلعة بعد

---

١٧ بونابرت، عن المراسلات.

أن تبينوهما من حزاميهما العسكريين. وصاح الترك بأنهما على استعداد للتسليم إذا وُعدوا بألا يُعاملوا كما عُومل بقية أهل يافا. وأعطى الشابان على مسئوليتهما تأكيدات شفوية بأن رجال الحامية لن يُقتلوا، وعلى هذا الوعد خرج الجنود وسلموا سلاحهم. فلما رأى «بونابرته» ياوريه يعودان مع بضعة آلاف من الأسرى اصفرَّ وجهه وقال ساخطًا: «ماذا يريدانني أن أفعل بهم؟ ما هذا الذي صنعاه»[١٨].

وبقية القصة معروفة وشائعة، إذ أمر نابليون بذبح الثلاثة آلاف.. الأسرى العزل الذين مُنحوا أمانًا باسم الشرف الفرنسي.. ولكن في حضارة لا تؤمن بأن أفرادها «سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم» نُفذ «الإعدام بدقة تامة» «ومن المسلم به أن ٢٥٠٠ شخص قُتلوا لا لضرورة قاهرة ، بل تحقيقًا لراحة وإحداثًا لتأثير متعمد» . ويترك لنا الميجر «ديتروا» كشف حساب كذلك الذي نجده في أوراق ربة بيت مدبرة، أو في دفتر توفير طالب نجيب.. ففي حسابات الميجر الفرنسي نجد هذه الأرقام:

في ٧ مارس مات أثناء الهجوم أكثر من ٢٠٠٠ تركي. في ٨ مارس رمي بالرصاص ٨٠٠ تركي. وفي ٩ مارس رمي بالرصاص ٦٠٠ تركي. وفي ١٠ مارس رمي بالرصاص ١٠٤١ تركيًّا. الجملة: ٤٤٤١ تركيًّا.

وكتب المواطن «بيروس» إلى أمه: «إن قيام الجنود الحانقين بعد اقتحام مدينة والاستيلاء عليها عنوة بأعمال السلب والنهب والحرق والتقتيل كيفما اتفق.. أمرٌ تقتضيه قوانين الحرب. والإنسانية تسدل قناعًا على هذه الفظائع. ولكن صدور الأمر بعد انقضاء يومين أو ثلاثة على الهجوم، وبعد أن تهدأ سورة الغضب، في وحشية هادئة، بقتل ٣٠٠٠ رجل استسلموا لنا بسلامة نية! تلك جريمة بشعة ستشجبها الأجيال القادمة ما في ذلك ريب... أن نحو ٣٠٠٠ رجل ألقوا سلاحهم، فسيقوا على الفور إلى معسكرنا، وفصل عنهم بأمر القائد الأعلى المصريون والمغاربة والأتراك.

---

١٨ بونابرت عن Bourrienne Vol . 11 Ch. XV.

«وفي صباح اليوم التالي أُخذ المغاربة جميعهم إلى شاطئ البحر، وبدأت كتيبتان في رميهم بالرصاص، وكان أملهم الوحيد في النجاة هو أن يلقوا بأنفسهم في البحر، فلم يترددوا، وحاولوا كلهم الهرب سباحة، فضُربوا بالرصاص على مهل، ولم تمضِ لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم. وانتشرت جثثهم على سطحه. وأسعد الحظ نفرًا قليلًا فوصلوا إلى بعض الصخور، ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء أثرهم في قوارب والإجهاز عليهم. أما وقد تم إعدام هؤلاء الرجال فقد رجونا صادقين ألا تتكرر هذه الجريمة وأن يُعفى الأسرى الباقون من القتل.. ولكن سرعان ما خاب رجاؤنا حين اقتيد ١٢٠٠ مدفعي تركي في اليوم التالي ليُعدموا، وكانوا قد جُوّعوا يومين أمام خيمة الجنرال بونابرت. وصدرت التعليمات المشددة للجنود بألا يسرفوا في الذخيرة، فبلغت بهم الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن بالسنكي.. وقد وجدنا بين الضحايا أطفالًا كثيرين تشبثوا -وهم يموتون- بآبائهم. وسُيعلِّم هذا المثال أعداءنا أنهم لا يستطيعون الركون إلى صدق نية الفرنسيين، وسيقع دم هؤلاء الآلاف الثلاثة الضحايا على رءوسنا إن عاجلًا أو آجلًا»[١٩].

ويكشف «هيرولد» دجل نابليون، والتناقض الصارخ بين أقواله وأفعاله عندما يقول: «كانت فرقة الساحل الرهيبة لا تزال تواصل مهمتها حين أصدر بونابرت في ٩ مارس منشورًا لأهالي فلسطين يقول فيه «الزموا الهدوء في بيوتكم.. وأنا أضمن سلامة الجميع وحمايتهم. وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام لأن جميع الطيبات من عند الله والنصر من عند الله».

---

١٩ بونابرت عن: la Jonquiere IV ٢٧١

وفي اليوم نفسه كتب إلى الجزار يقول «ما دام الله يهبني النصر فإني أحب أن أحذو حذوه تعالى، فلا أكون شفيقًا رحيمًا بالشعب فحسب؛ بل بحكامه أيضًا». والخطاب دعوة للتسليم.

«ومن المؤن التي استولى عليها الفرنسيون في يافا ٤٠٠٠٠٠ جراية من البسكويت و ٢٠٠٠ قنطار من الأرز. وقد نهب الجنود أكثر من هذا كثيرًا قبل أن يتمكن القومسير من الاستيلاء عليه، ولكن الأسرى وجب ضربهم بالنار لأنه لم يمكن توفير الطعام لهم»!

«وفي ٨ مارس وهو اليوم الثاني من أيام المذبحة، أرسل الله -الذي من عنده تأتي الطيبات- الطاعون على الجيش الفرنسي وصبّه على رءوسهم بسخاء»[٢٠].

ويتساءل مؤرخ سيرة نابليون عن نوعية هذا الرجل الذي «أمر يومًا في هدوء بقتل ١٠٤١ شخصًا بالسناكي ليحدث ضربًا من التأثير، وأتى في اليوم التالي بنفس الهدوء عملًا يحجم عنه أعظم القديسين» (يقصد زيارة نابليون لمستشفى الجنود الفرنسيين المصابين بالطاعون وتطوعه لحمل جندي مصاب إصابة فادحة واضحة دون أن يتقزز أو يخاف من العدوى)[٢١].

---

٢٠ بونابرت.

٢١ أبو عبيدة قائد الجيش العربي في الشام، رفض كل محاولات أمير المؤمنين عمر لإخراجه من المنطقة الموبوءة بالطاعون، وأصر على البقاء في جنده حتى أصيب ومات به قبل نابليون بألف سنة. فضلًا عن أن أبا عبيدة لم يقتل أسيرًا واحدًا ولا أعمل السيف في المدنيين.

أما نحن فلا نجد أي حيرة إلا إذا سمحنا لأنفسنا بالدهشة، من إقدام المستر «هيرولد» على ذبح الدجاج وصيد العصافير والتهام شرائح اللحم الذي يعرف أنها انتزعت من أجساد كائنات حية، وترقرق الدمع في عينيه إذا ما رأى طفلًا يتألم من حذاء ضيق! لا تناقض ولا حيرة .. إن ممثلي الحضارة الغربية لم يحسوا أبدًا بأن الكائن الملون مكتمل الإنسانية، ومن ثم فذبحه لم يشكل أبدًا جريمة إنسانية! ولا نفى عن الذابحين رقة مشاعرهم، ولا شكك في حسن سلوكهم البشري! بل إننا نجد صورة نموذجية لهذا التفكير الذي يدين قتل الهمج للبشر، ويفخر بإبادة المتمدينين للهمج الذين هم نحن.

نجد هذه الصورة في مذكرات مدرس، كهل، في إحدى قرى فرنسا يصف فيها، هذا المدرس الفاضل، ذكرياته في الشرق.. إحدى المعارك التي دارت على شاطئ طبرية، حيث كان «الهمج» على وشك الانتصار على قوات كليبر، عندما خف نابليون إلى المعركة، وقلب الوضع، وحول هذا التطور يكتب «ميديه» في شيخوخة هادئة: «تذكر أيها القارىء -ما قلته لك- إننا كنا نموت ظمأ. ولكن ظمأنا للانتقام أطفأ ظمأنا للماء، وألهب ظمأنا للدماء.. والواقع أننا رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التي كنا نشتهي أن نشرب منها قدحًا قبل لحظات. غير أننا لم نعد نفكر في الشرب. بل في القتل، وفي صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج الذين كانوا يطمعون منذ لحظة في قطع رءوسنا وإغراقنا في البحيرة التي أُغرقوا فيها هم، والتي امتلأت بجثثهم».

بل لعل هذه التفرقة بين مشاعر الإنسان شمال البحر الأبيض، وآلام الإنسان جنوبه، هذه التفرقة التي تميز الحضارة الغربية، تحمل الجواب على سؤال هيرولد، الذي يبدو في تساؤله أكثر سذاجة من سذاجة شيوخ الأزهر المزعومة!.. فهو عندما يناقش واقعة أمر نابليون بتسميم حوالي خمسين جنديًّا فرنسيًّا كانوا مصابين بالطاعون وميئوسًا من شفائهم وذلك قبيل إخلاء يافا، ولعجز الجيش المنسحب أو عدم استعداده لحملهم وهم يحملون هذا المرض المرعب، وتجنبًا لوقوعهم في يد «الهمج»..

يتساءل «هيرولد» دهشًا عن أسباب اختلاف المؤرخين حول قرار الإعدام هذا، واستنكار أنصار نابليون إقدام البطل على اتخاذ مثل هذا القرار.. يقول هيرولد: «من الصعب أن نفهم لماذا أثارت هذه المسألة كل هذا الجدل المشبوب، فحتى لو كان بونابرت قد أمر بقتل بضع عشرات من مرضى الطاعون الميئوس من شفائهم رحمة بهم، فلا ريب في أن عملًا كهذا يمكن تبريره أكثر من ذبح آلاف من أسرى الحرب، وهو ما أمر به في يافا قبل ذلك بعشرة أسابيع».

الجهاد باللسان

الشيخ سعيد حوى

رحمه الله*

(أ) من أول ما يدخل في باب الجهاد باللسان: تبليغ الإسلام وإقامة الحجة به على الكافرين والمنافقين والفاسقين.

قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»1، وقال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢] -أي بالقرآن- ومرّ معنا النصان اللذان أشارا إلى جهاد المشركين باللسان، وإلى جهاد المنحرفين الذين تخالف أقوالهم أفعالهم، وتخالف أفعالهم أوامر الله عزّ وجلَّ.

* سعيد حوى، كتاب: جند الله ثقافةً وأخلاقاً، ط: مكتبة وهبة، القاهرة: ١٩٩٢، ط: ٤، ص٤٣٥-٤٤٢.

١. رواه أحمد والبخاري، عن عبد الله بن عمرو، ورواه الترمذي أيضاً في كتاب العلم، عن عبدالله بن عمر، وللحديث تتمة.

وعملية التبليغ وإقامة الحجة هذه هي أعظم ذُرى الإسلام؛ إذ ذروة الإسلام: الجهاد، وهذه أعظم الجهاد إذ لا يتحقق مقصود الجهاد باليد إلا بها، ولا يستطيع القيام بها إلا إنسان تخلص من كل أنواع الخشية من البشر على نفسه أو ماله أو جاهه، وتخلص من ضغط المجتمع والرأي العام والدولة.

ثم هي مهمة الرسل وواجبهم الأساسي ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]

والمسلمون مكلفون أن يقوموا بها على كل مستوى حتى يعمموا دعوة الله في الكون كله ليعرفها كل إنسان، وتقوم الحجة عليه بها في أرض الإسلام، وفي أرض الكفر. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

هذا البلاغ ينبغي أن نؤديه على وجهه الأكمل، ولا يكون على وجهه الأكمل إلا مبيناً واضح الحجة، إن الله عَزَّ وجَلَّ أمرنا بالبلاغ المبين البليغ فقال: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء: ٦٣]، والبلاغ المبين البليغ هو الذي تكون حُجّته واضحة بيّنة، ومقنعة مخرسة.

وهذا لا يكون إلا بثقافة إسلامية عالية، لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧]، ففي إسلامنا لمن عقله كل بيان مقنع، ولا شك أنه لا بد مع هذه الثقافة من حكمة وخُلق قريب، ولسان بليغ. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

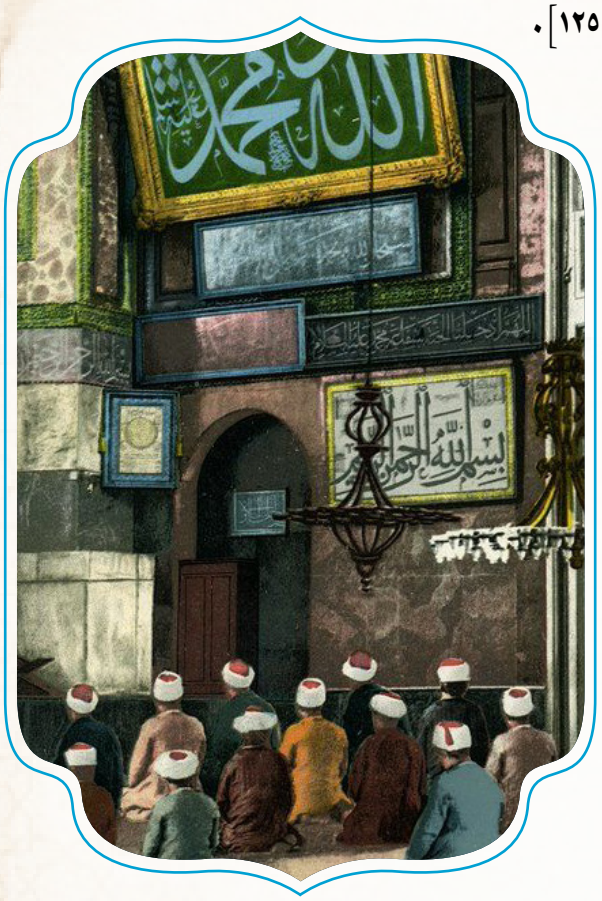

ولا شك أن عملية البلاغ المبين من أجلها تستتبع أن تكون الدنيا كلها ضدهم، وقد ذكر الله لنا نماذج مما جُوبِه به الرسل من قِبل أعداء الله عندما قاموا بعملية البلاغ:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٥-٢٦].

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾ [إبراهيم: ١٣]. ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

هكذا تهديد ووعيد، وسب واستهزاء، واتهامات للدعوة والداعية ولكن رسل الله صبروا وانتصروا: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨].

(ب) ويدخل في الجهاد اللساني: الوعظ والتذكير، وهذا المقام أليق أن يكون محله المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقال: ﴿بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وفي هذا المقام يقول الغزالي: «النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً، أو فيمن أصرّ عليه بعد أن عرف كونه منكراً، كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم، أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه. كأن يوالي الظالمين أو الكافرين، أو المنافقين أو يصحب أمثال هؤلاء الفاسقين، أو ينفذ أغراضهم أو يطيعهم في معصية الله، فينبغي أن يوعظ ويُخوف بالله تعالى، وتُورَد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، وتُحكى له سيرة السلف، وعباده المتقين، وكل ذلك بشفقة ولطف، من غير عنف وغضب؛ بل يُنظر إليه نظر المترحم عليه، ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه، إذ المسلمون كنفْس واحدة، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها، فإنها مهلكة، وهي أن العالم يرى عند التعريف عزّ نفسه بالعلم، وذلّ غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف

العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل، فإن كان الباعث هذا، فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه، إذ مَأتَى هذا: الكبر والعجب والغرور والفخر وإظهار النفس والرياء. وكلها كبائر نعوذ بالله من شر سيئات الأخلاق».

(ت) ويدخل في الجهاد اللساني: السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن.

وذلك يُعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف، وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ولسنا نعني بالسب: الفُحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته، ولا الكذب. بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يُعد من جملة الفحش كقوله: «يا فاسق، يا أحمق، يا جاهل، ألا تخاف الله». وقوله: «يا غبي»، وما يجرى هذا المجرى، فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل، ولولا حمقه لما عصى الله تعالى، بل كل مَن ليس بكيّس فهو أحمق، والكيّس من شهد له رسول الله بالكياسة حيث قال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتْبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

ولهذه الرتبة أدبان:

أحدهما: ألّا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف.

والثاني: ألا ينطق إلا بالصدق، ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه، بل يقصر على

قدر الحاجة، فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه، بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له، والازدراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضُرب، ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يُضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب، بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له». انتهى كلام الغزالي.

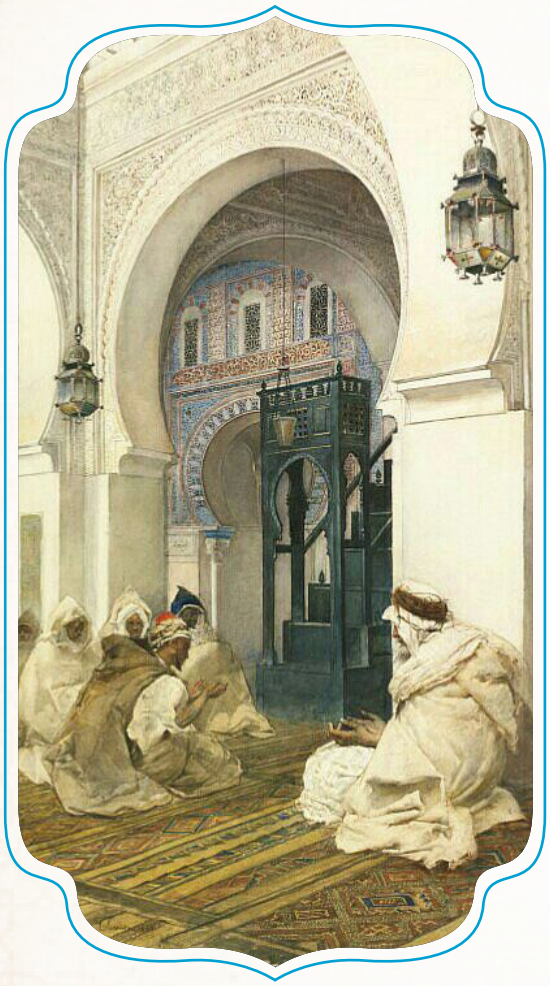

وإذن يتسلسل الجهاد اللساني على الشكل التالي:

المرحلة الأولى: بلاغ وبيان وإقامة حجة وتبيان حقائق.

المرحلة الثانية: موعظة وتذكير وتخويف من الله بلطف وشفقة.

المرحلة الثالثة: إن كان مسلماً عنّفناه، وإن كان غير مسلم -كالذمي وأمثاله- بقينا في حدود الجدال بالتي هي أحسن لأن الله عَزَّ وجَل قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ويلاحَظ أن المرحلة الثالثة مرحلة فصام لا يصح أن تبقى لنا فيها مع أصحابها -ونعني المسلمين- علاقة مخالطة. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فاكفهروا». قال رسول الله: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا،

فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود» الآية». ثم جلس وكان متكئاً فقال: «لا والذي نفسي بيده! حتى تأطروهم على الحق أطراً»[٢].

وفي عملية الجهاد اللساني نحب أن نلاحظ الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: عندما نقوم بعملية التبليغ، علينا أن نبدأ بالأهم فالمهم. نبدأ بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالقريب قبل البعيد.

أخرج الستة إلا مالكاً عن ابن عباس: أن رسول الله له لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تقدُم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم. فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تُؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب». وقال ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٣].

الملاحظة الثانية: جرت عادة أعداء الله أن يُشوِّهوا سمعة الدعاة إلى الله في نظر المسلمين، لأنهم يعلمون أن الهجوم على الإسلام مباشرة أمام المسلمين يُعرضهم لمواقف سيئة، فكانت خطتهم تشويه سمعة الدعاة إلى الله ليحطموا الإسلام بتحطيم أهله.

---

٢. رواه ابن ماجه في (الفتن)، عن أبي عبيدة رضي الله عنه، واللفظ له، ورواه الترمذي عن عبدالله بن مسعود في كتاب (التفسير) باب: ومن سورة المائدة. مع اختلاف في بعض الألفاظ يسير، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وأبو داود في (الملاحم) عن عبدالله بن مسعود.

٣. أخرجه مسلم.

لذلك فعلى الداعية إلى الله أن ينقى نفسه ويكون دقيقاً بحيث يعرفه الناس -وفعلاً يكون كذلك- بأنه يقوم بهذا الواجب مخلصاً لله، مجرداً عن كل غرض، خالياً عن كل هدف إلا قياماً بأمر الله، وشفقة على خلقه، ورحمة بهم من أن تتخطفهم الشياطين من طريق الله عَزَّ وجَل.

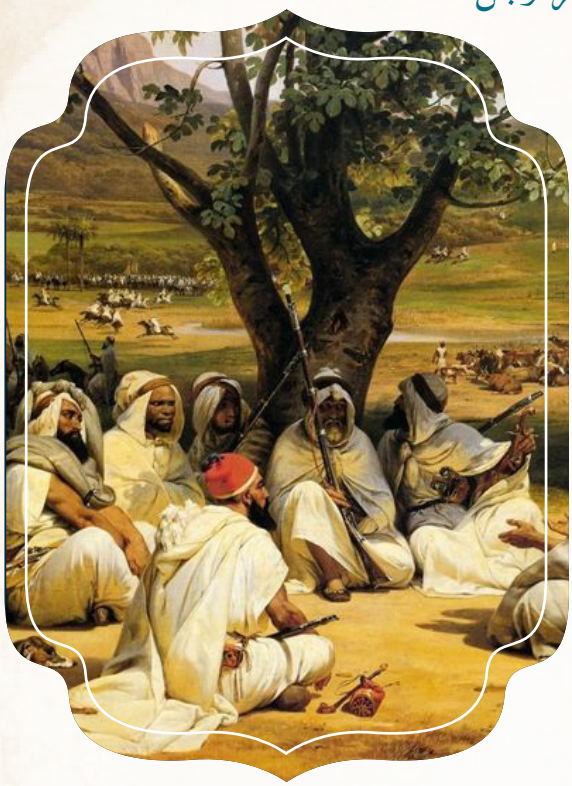

ومهما حاول الآخرون أن يصرفوه عن عمله بجعل المعركة بينه وبينهم وكأنها معركة شخصية، أو يصرفوه عن مهمته بحيث يجعلون الصراع بينهم وبينه وكأنه على حكم أو سلطان أو غرض، فعليه دائماً أن يُفسد عليهم مخططاتهم، بحيث تكون المسألة مسألة دعوة إلى الله وإلى الإسلام، بصرف النظر عن أى موضوع آخر. إذ أن أعداء الإسلام -كما أسلفنا- يعادون الإسلام بمعاداة أهله، ويتظاهرون بأنهم لا يعادونه ويحاولون أن يقنعوا الناس بذلك.

فعلى الداعية أن يكون من الوضوح بحيث يجعل الناس مقتنعين بأن هؤلاء لا يعادونه إلا لإسلامه، ويفسد عليهم كل حجة عليه بأنه لا يريد شيئاً آخر إلا محض القيام بالواجب الذي كلفه الله عز وجل به وفعلاً فإن المسلم كذلك.

الملاحظة الثالثة: إن عملية الجهاد اللساني تقتضى دراسة للمكان الذي يتم فيه، وتقتضي معرفة بمراكز الضلال وجملة الانحرافات، وتقتضي معرفة بكيفية العمل إذ لكل بلد انحرافاته الخاصة، وضلالاته وكفره، وبُعده عن الإسلام، ومعالجة كلٍّ تحتاج إلى أسلوب يتفق معها.

فمثلاً بلد شيعة وسُنة، وانتشرت فيه الشيوعية أو الوجودية أو الماسونية، وجُهل فيه الإسلام، وأصبحت عند أهله انحرافات فكرية وخُلقية، مثل هذا البلد الكتب التي ينبغي أن تُنشر فيه، ونوعية المحاضرات والخطب ومواضيع المناقشات والزيارات، تختلف كلياً عن بلد فيه نصارى وفيه أفكار رأسمالية، وفيه نزعة نحو التحرر الكلي، والديموقراطية المطلقة.

لا بد إذن من دراسة لأنواع الانحراف ولا بد إذن من معرفة للمنحرفين، ولا بد إذن من تخطيط شامل منسجم مع هذا وهذا، ولا بد من عمل متواصل للوصول إلى إيصال الإسلام كاملاً للناس جميعاً.

وهذا يقتضي منا أن نعرف ما هي نواقص المسلمين في البلد، وكيف يمكن أن ترتفع بالمسلمين جميعاً إلى مستوى المشاركة العملية في الجهاد اللساني، ولعل المسارعة إلى إصلاح عيوب المسلمين وتكميل نقصهم وتوحيدهم جهودهم، هي البداية الأولى في كل جهاد لساني.

من تاريخ الإجرام الفرنسي في الجزائر

الشيخ محمد خير الدين

رحمه الله*

عدت إلى الجزائر في عام ١٩٢٥م وكان والدى رحمه الله قد توفي في أواخر عام ١٩٢٤م عن عمر لم يتجاوز تسعة وأربعين عاماً، فألفيتُ نفسي أمام وضع جديد، كان لزاماً علي أن أواجهه وأن أتحمل فيه المسؤولية كاملة، فقمت بتربية إخوتي وتوجيههم التوجيه السليم، وحافظت على ما ترك والدنا من ثروة في الأملاك الفلاحية والتجارية، واجتهدت في العمل على تنميتها وتنظيمها معهم.

---

* من: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج١، ط: دار حلب/ الجزائر، عام ١٩٨٥م، ص٨٢-٨٦، وص٢٥٣-٢٥٥. وقد دمجنا الموضعين في هذا المقال. الشيخ محمد خير الدين الفرفاري البسكري، أحد مؤسسي جمعية العلماء الجزائريين، وُلد ببلدة فرفار بالجزائر في ١٩٠٢م، وتوفي بالعاصمة الجزائرية في ١٩٩٣م.

وفي طريق عودتي من تونس عرجت على الشيخ عبدالحميد بن باديس بقسنطينة، سلمت عليه وأبلغته السلام والتحية من أساتذته بالزيتونة، والثناء على ما يقوم به من جهود في سبيل الإسلام والجزائر، وقد وافقت عودتي رجوع بعض الطلاب الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة. أذكر منهم رفقائي الأبرار الذين جمعتني وإياهم حِلق الدراسة: كالشيخ مبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ السعيد الزاهري. كما أن الإمام ابن باديس كان قد خطا خطوات واسعة في نهضته التعليمية بقسنطينة منذ حل بها عام ١٩١٣م؛ حيث تخرج على يده عدد من تلاميذه، كان من أوائلهم وأشهرهم: مبارك الميلي والسعيد الزاهري.

فكر ابن باديس -رحمه الله ورضي عنه- في توحيد جهوده مع جهود إخوانه، وقد قال يوماً لصفوة من أنصاره: إني عقدت العزم على توجيه دعوة إلى ابناء الجزائر المتخرجين من جامع الزيتونة وكذلك العائدين من المشرق العربي؛ لكي ندرس جميعاً الحالة الراهنة ونتعاون على وضع خطة عمل لإنقاذ هذا الشعب العربي المسلم بالجزائر قبل فوات الأوان.

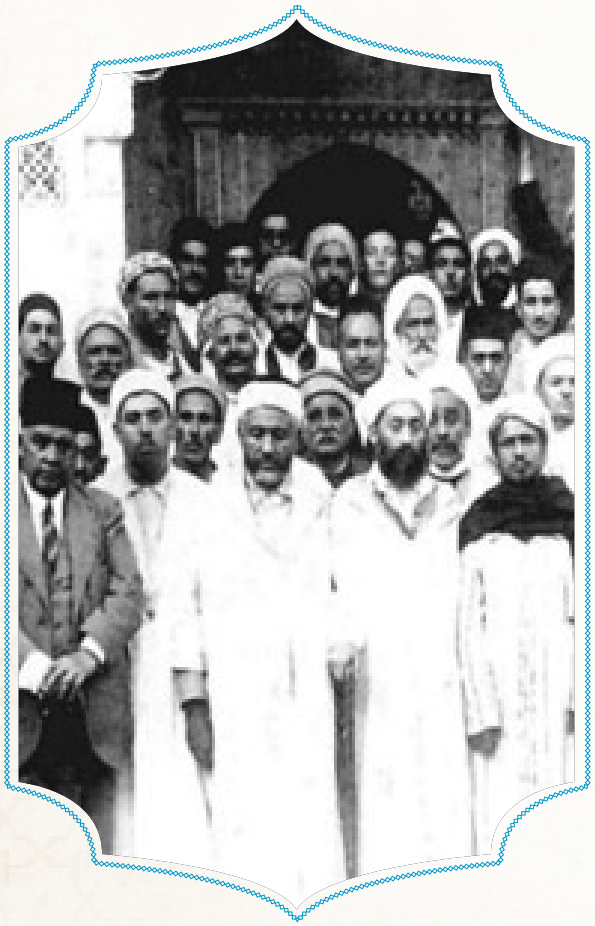

اجتماع الرواد

في عام ١٩٢٨م تحقق عزم ابن باديس ووجه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي، الذين رأى فيهم مقدرة واستعداداً

للعمل في سبيل الدين والوطن ولبى دعوته: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ مبارك بن محمد الميلي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ السعيد الزاهري، وكاتب هذه المذكرات الشيخ محمد بن خير الدين، واجتمع هؤلاء الرواد برئاسة الشيخ عبدالحميد بن باديس في مكتبه المجاور لمسجد الأربعين شريفاً بقسنطينة[1].

وكانت مشاعر المجتمعين تفيض حماساً وعزيمة صادقة واستعداداً للتضحية في سبيل الله والوطن. وافتتح الرئيس الجلسة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله محمد ﷺ وقال ما ملخصه:

«أيها العلماء حياكم الله وأمدكم بعونه ونصره، وبعد: فلاشك أنه أصبح من المعلوم لدى كل واحد أن العدو الاستعماري الصليبي قد اغتصب أرضنا ودفع شعبنا إلى السكن في الكهوف ومغاور الجبال، وأصبح شغله الشاغل إضعاف الشخصية الجزائرية سياسياً في طريق القضاء على وجودها لتحل محلها الشخصية الفرنسية، من أجل هذا أسرع الاستعمار الخطا إلى حشد عشرات الآلاف من الرجال والنساء من مختلف الجنسيات الأروبية ومنحهم الجنسية الفرنسية ثم أسكنهم العمالات من الثلاث: (الجزائر، قسنطينة، وهران) من التراب الجزائري، وأقطعهم الأراضي الخصبة التي انتزعها من ملاكها. ثم عبد لهم الطرق وأعانهم بالأموال من أجل بناء المساكن وتفجير المياه.

---

١. هذا المسجد أول مكان تلقيت فيه العلم على يد الشيخ الطاهر بن زقوطة عام ١٩١٦م، أما المكتب فهو إدارة مجلة الشهاب، وليس بينهما اليوم سوى عمارة مدرسة التربية والتعليم وبناية سكنية.

وواصل سيره هذا في مخططه، فأصدر القوانين المتعاقبة للقضاء على الشعب الجزائري بسهولة ويُسر، حتى لا تقوم مقاومة من داخل البلاد ولا تذاع جرائم المستعمرين خارجها، وقد رأيت من المفيد أن أقدم إلى جمعكم المحترم بعضاً من هذه القوانين الخطيرة لتدرسوها وتمعنوا النظر فيها وفي نتائجها ولتعرفوا ما يبيته لكم عدوكم.

وإليكم بعض القوانين الصادرة عن مجلس النواب الفرنسي.

قوانين جائرة

أولاً: صدر قانون عن مجلس النواب الفرنسي عام ١٨٤٥م، يقضي بتقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات: وهران والجزائر وقسنطينة، وجعلها ملحقة بالعمالات الفرنسية.

ثانياً: في عام ١٨٤٨م صدر قانون يؤكد أن الجزائر جزء من فرنسا.

ثالثاً: صدر قانون عن المجلس الفرنسي عام ١٨٥٤م، يصرح فيه بأن أرض الجزائر تعتبر أرضاً فرنسية.

رابعاً: في عام ١٨٧٩م حدث جفاف عظيم بالجزائر ترتب عليه نقص كبير في محصول الغلال، وأصبح المواطنون المسلمون في حالة يائسة وتفشت فيهم الأمراض، ومات عدد غير قليل منهم واستغل هذه الظروف

(الكردينال لافيجري) وأخذ يطوف في البوادي من الشمال إلى الجنوب حاملاً بيده اليمنى الصليب وبيده اليسرى الخبز والدواء، وتمكن بهذه الوسيلة من تحويل جموع هائلة من مرضى المسلمين وأيتامهم عن دينهم الإسلامي وإدخالهم في الديانة المسيحية.

خامساً: في عام ١٩٠٠م صدر قانون استولت بموجبه فرنسا على دور العبادة وعلى الممتلكات الموقوفة على الشؤون الدينية الإسلامية وضمتها إلى أملاك الدولة الفرنسية، ثم وضعت جميع هذه الأملاك تحت إدارتها، وأصبح التعليم العربي الإسلامي في الجزائر لا يمارس إلا برخصة تمنحها السلطات الفرنسية، عادة للعملاء أو الجهال.

سادساً: صدر قانون فرنسي عام ١٩٠١م يقضي بفصل الدين عن الدولة وطُبق في فرنسا، أما في الجزائر فلم يطبق على المسلمين بينما طبق على اليهود والمسيحيين، وبذلك بقيت الشؤون الدينية للمسلمين في قبضة الدولة المستعمرة.

والآن أيها العلماء قد شاء الله أن يهيئكم ويدّخركم لهذا الظرف لتتحملوا مسؤوليتكم بكل شجاعة وتضحية، وإن يومكم هذا لشبيه بذلك اليوم الذي وقف فيه البطل المجاهد طارق بن زياد خطيباً في جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق، بعد أن أحرق سفنهم التي حملتهم إلى الجهاد في الأندلس وقال قولته المشهورة: «أيها الناس أين المفر؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس أمامكم غير الموت أو النصر».

وأنا أقول لكم في هذا اليوم لم يبقَ لنا إلا أحد أمرين لا ثالث لهما: إما الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين، أو الاستسلام ومد أيدينا إلى الأغلال، وإحناء رؤوسنا أمام الأعداء، فتكون النتيجة -لا قدر الله- أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية، حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء».

أجابه العلماء الرواد: نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننا ووطننا والله معنا.

قال الرئيس: حياكم الله وأيدكم بنصره.

خطة عمل

ثم عرض خطة عمل مؤلفة من عدة نقاط لتنفيذها، وهي كما يلي:

١ تكوين لجنة منكم للتسيير والتنفيذ.

٢ الشروع فوراً في إنشاء المدارس الحرة، لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.

٣ الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة، والجوَلان في أنحاء الوطن لتبليغ الدعوة الإصلاحية لجميع الناس.

٤ الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب.

٥ إنشاء النوادي العربية للاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات.

٦ إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد.

٧ العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب؛ لتحرير البلاد من العبودية، والحكم الأجنبي، لأن مبدأنا الذي يجب أن نسير عليه هو اتباع هدي رسول الله ﷺ الذي علم أصحابه أولاً العقيدة والإسلام، ثم سلحهم بالسيوف وأدوات القتال، فكلا السلاحين لا يغني أحدهما عن الآخر.

ثم عين الرئيس جماعة من الرواد وحدد لهم أماكن نشاطهم، وجعل نشاط الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في مدينة سطيف وما حولها من النواحي، والشيخ مبارك الميلي بمكتب التعليم العربي ومساجد قسنطينة، والشيخ الطيب العقبي على الاستمرار في إلقاء الدروس بمدينة بسكرة، والشيخ العربي التبسي لإلقاء الدروس بمدينة تبسة وما جاورها، وعين كاتب هذه المذكرات لإلقاء الدروس في بلدة فرفار وما جاورها من قرى واحات الزيبان.

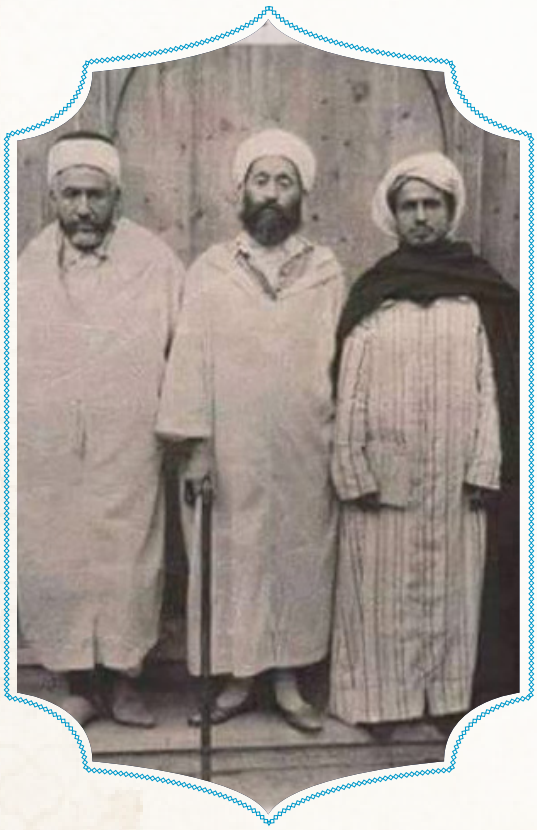

واختتم هذا الاجتماع التاريخي بالدعاء أن يوفق الله جهودنا ويكلل بالنجاح أعمالنا. ولحق كلٌ بمكان عمله.

جمعية العلماء المسلمين والمساجد

[وكان قد] عمل الاستعمار على محو الشخصية الجزائرية وتذويبها، فاتجه إلى الدين الإسلامي يحاول إفساده في شتى الميادين وبمختلف الوسائل لأنه أدرك تماماً بأن إفساده يعني محو شخصيتنا التي يمثل الدين أهم وأغلى وأعز مقوماتها.

وجاهر بعدائه حيناً فاستولى على المساجد وأوقافها، وحوّل بعضها إلى كنائس وإلى أشياء أخرى، وأخفى السم في الدسم حيناً آخر متستراً وراء الطُرُقية وأرباب الزوايا، واستغل بعضهم في إفساد عقول العامة وتفريق كلمة المسلمين ومسخ العقيدة الإسلامية وتشويهها، وذلك بالعمل على فصلها عن الحياة وجعلها ديانة طقوس ومظاهر عبادة حتى يحقق أطماعه في البقاء هانئاً مطمئناً.

وقد فطنت جمعية العلماء المسلمين لكل أساليب المستعمرين وأخذت على عاتقها مهمة إصلاح الدين بمحاربة المفسدين وتحريك الحاملين وتبصير المخدوعين. هنا قامت بأعباء متعددة المسارات؛ فهي تعمل على نشر مبادئ الدين على الطريقة السلفية، وتبني وتعمر، وتطالب الحكام أن يرفعوا أيديهم عن التدخل في شؤون المسلمين الدينية.

وقد تعرض رجال الإصلاح في سبيل تحقيق هذه الدعوة للاضطهاد والتعذيب والسجن والاعتقال والنفي والقتل، ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. وسأكتفي في هذه المذكرات بذكر بعض المواقف التي تبصر بدور الجمعية في هذا المجال وغيره ومشاركتي فيه.

منع الحجاج من الاجتماع العام في الجامع الكبير بقسنطينة عام ١٩٥٤م

من وسائل الإصلاح التي اضطلعت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحفاظ على أموال المسلمين، والعمل على راحتهم، وتوحيد صفوفهم في كل مظهر من مظاهر حياتهم، ولذلك كان ابن باديس يودع الحجاج عند رحيلهم من عنابة حيث يركبون الباخرة لأداء فريضة الحج، ويستقبلهم فيها عند الرجوع، ويقترح عليهم عند العودة أن يجتمعوا في الجامع الكبير بقسنطينة لاستقبال من يأتون للسلام عليهم، وبذلك يوفر لهم من الأموال ما يبذلونه في إقامة الولائم والاحتفالات، كما يوفر لهم الراحة وقد جاءوا متعبين من رحلة الحج، وكما هي العادة يستغل الإمام ابن باديس مثل هذه الفرص للحديث إلى المسلمين ونشر مبادئ الإصلاح.

وفي سنة ١٩٣٤م منعت السلطة المسلمين من الاجتماع في الجامع الكبير، وحالت دون لقاء الحجاج مع الشيخ ابن باديس ورفاقه من رجال الإصلاح، وتدخل المجلس البلدي بقسنطينة وأوفد ثلاثة من نواب المسلمين وهم: الأستاذ بن الأبيض المحامي، والدكتور محمد زرقين، والسيد حسين بن شريف، لمقابلة عامل العمالة بقسنطينة وطلبوا منه تمكين الحجاج من الاجتماع في الجامع الكبير، فرفض وصمم على رفضه، ولكن المسلمين لم يرضخوا لهذا القرار واجتمعوا في الجامع الكبير وأرسلوا إلى الشيخ يدعونه إلى الحضور واللقاء بهم، وتعهدوا بالدفاع عن أنفسهم في مسجدهم.

فحضر الشيخ، وحضرت معه هذا الاجتماع مع جمع من العلماء المصلحين. تحدث الإمام فهنأ الحجاج على ما وفقهم الله إليه من أداء فريضة الحج، وبيّن لهم في حديث قصير فضائل الحج وآثاره في المجتمع الإسلامي، ثم أمرهم بالخروج من الجامع متفرقين، وانتهى هذا اللقاء في هدوء، ولم تتعرض السلطة لهم بفضل تدبير الإمام الحكيم وحسن تصرفه.

حوادث أوت ١٩٥٤م بقسنطينة

جرت حادثة خطيرة وقعت بين المسلمين واليهود من سكان قسنطينة في صيف عام ١٩٣٤م، وسبب هذه الحادثة احتكاك بدأه جندي فرنسي يهودي، اعتدى على حرمة المسلمين بالجامع الأخضر وهم يتوضؤون لأداء الصلاة. فردوا عليه بألسنتهم، فأخرج مسدسه وأطلق النار عليهم، فثارت ثائرة المسلمين في المدينة وتبادل الفريقان الصراع المسلح، مما أسفر عن مقتل اثنين وعشرين من اليهود واستشهاد اثنين من المسلمين وسقوط عدد من الجرحى بين الفريقين.

دامت الفتنة أسبوعاً كاملاً في شوارع المدينة، ردّ المسلمون فيها على عدوان اليهود بما يناسب طغيانهم، فألقوا بثرواتهم في النار ولم تمتد إليها أيدي المسلمين ترفعاً واعتزازاً، وقد تناولت الصحافة العربية والأجنبية ذكر تفاصيل هذه الحوادث التي لم تستطع السلطة السيطرة عليها، والتي لم يسبق لها مثيل في الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي، مما دعا وزير داخلية فرنسا (روني) إلى الحضور بنفسه ليطلع على ما حدث، ويهدئ من روع اليهود، ويقدم لهم التعويضات المالية.

الشيخ مبارك الميلي

استدعى وزير الداخلية الفرنسي لمقابلته بدار العمالة الأعيان والنواب والعلماء المسلمين. فحضر الإمام ابن باديس، وحضرت معه أنا والشيخ مبارك الميلي، وبعد تبادل التحية أعرب وزير الداخلية الفرنسي عن أسفه لما وقع بالمدينة من أحداث مؤلمة، ووعد بإيجاد حل لها حتى لا يتكرر مثل هذا في المستقبل، وطلب من رئيس جمعية العلماء المسلمين أن يقوم بدوره في تهدئة الحال والعودة إلى حياة الاستقرار.

فقال ابن باديس: يا جناب الوزير، إن المسلمين تحمّلوا غطرسة اليهود وطغيانهم واستيلاءهم على خيرات البلاد وتجارتها، وهم إلى جانب ذلك يتمتعون بما يتمتع به الفرنسيون من حقوق في الإدارة وحمل السلاح دون ترخيص. حتى موزعو البريد وعددهم اثنان وعشرون موزعاً من بينهم عشرون من اليهود واثنان فقط من المسلمين، كل هذا الحيف قد يصبر عليه المسلمون ولكن وبكل تأكيد لا يتحملون انتهاك حرمة دينهم أو المساس بشعائر مقدّساتهم، وهم في سبيل الدفاع عنها يفضلون الموت على الحياة.

مرني يا رسول الله أن أقتله

الشيخ حسن بن محمد مشاط

رحمه الله*

وقال فيها ابن أُبيّ منكراً .. وعاه زيدٌ موقناً وما امترَى

[شرح البيت]

(وقال فيها): أي: في الواردة، عبد الله (بن أُبيّ) رئيس المنافقين (قولاً منكراً) وهو قوله -وقد غضب من مقالة المهاجري-:

---

* الشيخ حسن بن محمد مشاط، إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ، دار المنهاج-جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ، ص٤٦٠-٤٦٧.

الشيخ حسن بن محمد بن عباس المشاط، فقيه مالكي وقاضٍ ومدرس بالمسجد الحرام، وُلد في مكة عام١٣١٧ هـ، وتُوفي بها عام ١٣٩٩هـ.

«أوَقد فعلوها؟ قد نافرونا، وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه إلّا كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك! أما والله! لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ».

📖 **ثمّ أقبل على من حضره من قومه فقال لهم:** هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم!».

إعلام زيد بن أرقم الرسول ﷺ بمقال رأس المنافقين

فعند ذلك وعاه، أي: حفظه زيد، هو ابن أرقم الخزرجي، حال كونه موقناً وما امترى، أي: وما شك، تأكيد في المعنى لما قبله، فمشى زيد بذلك المقال إلى رسول الله ﷺ بعد ما فرغ من عدوّه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطّاب، فقال: «مر به عباد بن بشر فليقتله!» فقال رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذّن بالرحيل».

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس.

حلف رأس المنافقين بالله كذباً

وحلَف الفاجر ما قال المقال •• وصدّقته للمكانة رجال

وقد مشى عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أنّ زيداً قد بلّغه ما سمع منه، فـ(حلف الفاجر) بالله العظيم (ما قال المقال)، ولا تكلّم به، (وصدّقته للمكانة) والمنزلة- فإنّه كان في قومه شريفا (رجال) من الأنصار فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل.

قال ابن إسحاق: فلمّا استقلّ رسول الله ﷺ وسار.. لقيه أسيد بن الحضير، فحياه بتحية النبوة، وسلم عليه، ثم قال: يا نبيّ الله، والله، لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها؟ فقال له رسول الله ﷺ: أوَ ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال ﷺ: عبدالله بن أبيّ. قال: وما قال؟ قال ﷺ: زعم أنّه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ». قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز». ثمّ قال: «يا رسول الله، ارفق به، فو الله، لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنّه ليرى أنّك استلبته مُلكاً.

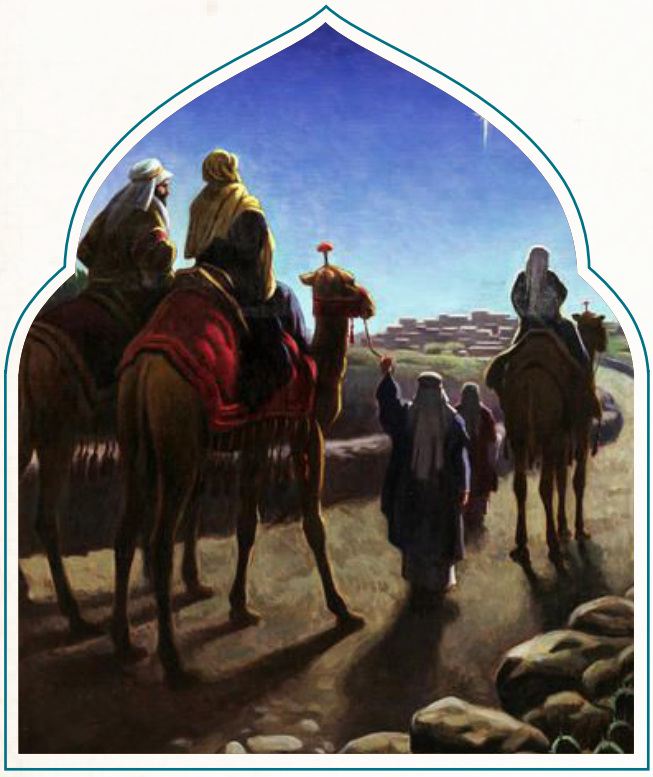

ثمّ مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثمّ نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض، فوقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ؛ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبيّ، أخزاه الله وأذلّه.

تصديق القرآن زيد بن أرقم

فأنـزل الله لئن رجعنا •• إلـى المـدينـة ليُخرجنّا

وعَـرَك النبي أُذن الواعي •• زيد بن أرقم ذي الاستماع

أنْ شهد الله على المنافقين •• بالكذب المحض وأولاه اليقين

(فأنزل الله لئن رجعنا) إلى المدينة (ليخرجنّا) بألف الإطلاق للوزن، يعني: فأنزل الله تعالى سورة المنافقين فيها تصديق لزيد بن أرقم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ثمّ قال ﷺ: «هذا الذي أوفى الله بأذنه». وأشار له الناظم بقوله: (وعَرَك النبي) ﷺ ذلك (أذن الواعي) أي: الحافظ، وأبدل منه قوله (زيد بن أرقم ذي) أي: صاحب (الاستماع) للخبر المذكور من رئيس المنافقين (أن) أي: لأجل أن (شهد الله) تعالى على (المنافقين بالكذب المحض) أي: الخالص في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

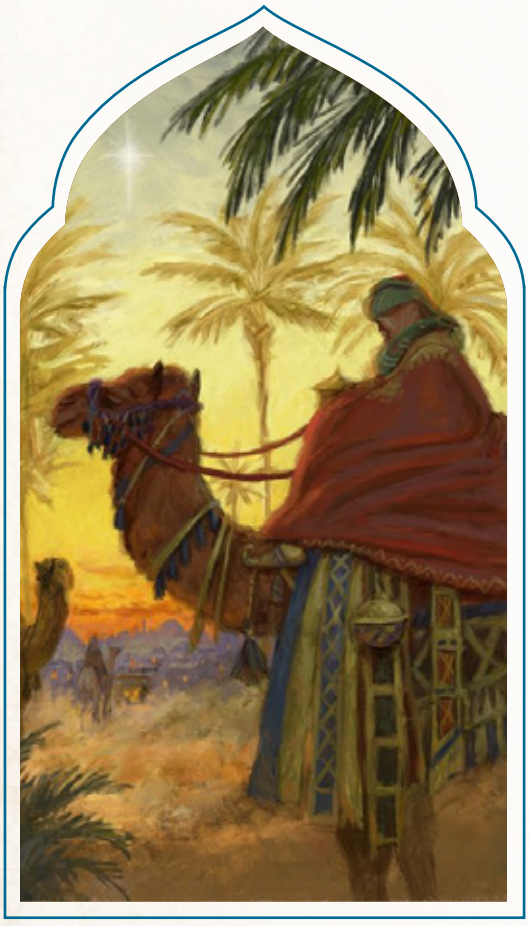

(وأولاه) أي: وأعطى الله تعالى زيد بن أرقم (اليقين) والتحقيق في نقل خبر ابن أُبيّ.

قال البرهان الحلبي في «إنسان العيون»: «عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ تأخذه البرحاء، ويعرق جبينه الشريف، وتثقل به راحلته، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ يوحَى إليه، ورجوت أن ينزل الله تصديقي، فلما سُرّي عن رسول الله ﷺ أخذ بأذني وأنا على راحلتي يرفعها إلى السماء، حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول: «وعتْ أذنك يا غلام، وصدّق الله حديثك، وكذّب المنافقين».

وفي رواية: «هذا الذي أوفى الله بأذنه ونزل: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]. فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه: ذو الأذن الواعية.

وسيدنا زيد المذكور أنصاري، خزرجي، قيل: أول مشاهِده هذه الغزوة، وشهد ما بعدها، وشهد صفيناً كسجّين مع سيدنا علي رضي الله عنه، وتُوفي بالكوفة سنة ثمان وستين.

وذكر الإمام النووي في (تهذيبه): أنّه استُصغر يوم أحد، وكان يتيماً في حجر ابن رواحة رضي الله عنه، وسار معه في غزوة مؤتة.

طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولي قتل أبيه بنفسه

ولما بلغ عبدَالله بن عبدالله بن أُبيّ الذي كان من أمر أبيه.. أتى النّبيّ ﷺ فقال: «يا رسول الله، إنّه بلغني أنّك تريد قتل عبدالله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً.. فمُرني به، فأنا أحمل إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا، فو الله، لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني، وإنّي أخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبيّ يمشي في الناس.. فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار».

فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا».

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث.. كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنّفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما والله، لو قتلتُه يوم قلتَ لي اقتله.. لأُرعدَتْ له آنُفٌ لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتْه».

قال عمر: «قد والله علمتُ، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري».

قال السهيلي: «وفي هذا العلم العظيم، والبرهان المنير من أعلام النبوة؛ فإنّ العرب كانت أشد خلق الله حميّة وتعصباً، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده؛ تقرباً إلى الله وتزلفاً إلى رسوله، مع أنّ رسول الله ﷺ أبعد الناس نسباً منهم، وما تأخّر إسلام قومه وبني عمه وسبق إلى الإيمان به الأباعد.. إلّا لحكمة عظيمة؛ إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقيل: قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له، فلمّا بادر إليه الأباعد، وقاتلوا على حبه مَن كان منهم أو مِن غيرهم.. علم أنّ ذلك عن بصيرة صادقة، ويقين قد تغلغل في قلوبهم، ورهبة من الله أزالت صفة قد كانت سَدِكت في نفوسهم من أخلاق الجاهلية، لا يستطيع إزالتها إلّا الذي فطر الفطرة الأولى، وهو القادر على ما يشاء".

وأمّا عبدالله بن عبدالله، فكان من كُتّاب النبيّ ﷺ، وكان اسمه حباب، وبه كان يُكنى أبوه، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، رضي الله عنه.

وروى الدّارقطني مسنداً: أنّ النّبيّ ﷺ مرّ على جماعة فيهم عبدالله بن أبيّ، فسلّم عليهم، ثمّ ولى، فقال عبد الله: لقد عتا ابن أبي كبشة في هذه البلاد. فسمعها ابنه عبدالله، فاستأذن النّبيّ ﷺ في أن يأتيه برأس أبيه، فقال: «لا، ولكن برّ أباك».

وسيدنا عبد الله هذا كان ممّن شهد بدراً وأُحداً والمشاهد، ذكره الحافظ في (الإصابة) وأنّه استشهد باليمامة في قتال أهل الردّة سنة اثنتي عشرة.

وفي قصته هذه ما يدل على عظيم إيمانه، وقوة محبته لرسول الله ﷺ، حتى قيل: نزل فيه وفي أمثاله من الصحابة الأجلّاء قول الله عزّ وجلّ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾ الآية [المجادلة ٢٢].

وفيها تمجيد وتعديل من الله تعالى لأولئك الصحب، وثناء من قِبله تعالى عليهم، وأن محبتهم له ولرسوله بلغت بهم ذلك المدى وتلك التضحية، وأنّه كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأنّه أثبته وأيّدهم، وقوّاهم بروح منه، هو النور، والإيمان، والهدى، ووعدهم الوعد الجميل بما لهم في الآخرة من الفضل الجزيل.

جمعنا الله بهم في مستقر رحمته بكرمه ومنّه! آمين.

بسالة الصحابة في

الدفاع عن الرسول ﷺ في غزوة أحد

العلامة محمد يوسف الكاندهلوي

رحمه الله*

أخرج أبو يَعلى، وابن أبي عاصم، والبورَقي، وسعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه قال:

«لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان يفرّ، وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا؛ فرفع نبيه، فما فيّ خير من أن أقاتل حتى أقتَل؛ فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم، فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم».

* مجموع من مواضع متفرقة من: محمد يوسف بن محمد إلياس الكاندهلوي، حياة الصحابة، ط: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠.

كذا في (كنز العمال)، قال الهيثمي: رواه أبو يَعلى، وفيه محمد بن مروان العُقَيلي، وثَّقه أبو داود، وابن حِبّان، وضعّفه أبو زُرْعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخي بني عديِّ بن النجار، قال:

«انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم -وقد ألقوا بأيديهم- فقال: فما يجلسكم؟

قالوا: «قُتل رسول الله ﷺ».

قال: «فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ».

ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل. كذا في (البداية).

ثابت ابن الدحداحة.. قتال حتى الموت

- وأخرج الواقدي عن عبد الله بن عمّار الخَطْمي، قال:

أقبل ثابت ابن الدَحْداحة رضي الله عنه يوم أُحد والمسلمون أوزاع، قد سقِط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار، إليّ إليّ، أنا ثابت بن الدحداحة، إن كان محمد ﷺ قد قُتل، فإنَّ الله حيّ لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإنَّ الله مُظهركم وناصركم.

فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خَشْناء فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، فجعلوا يناشدونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه، فوقع فيها، وقُتل مَن كان معه من الأنصار. فيقال: إن هؤلاء آخر مَن قُتل من المسلمين. **كذا في (الاستيعاب)**.

قصة رجل من الأنصار مع رجل من المهاجرين ووصيته له

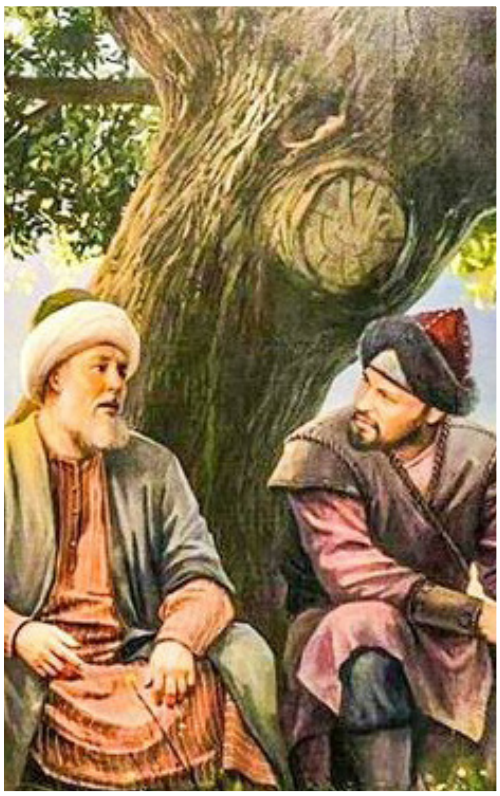

وأخرج البيهقي في (دلائل النبوة) من طريق ابن أبي نَجيح، عن أبيه رضي الله عنه قال: مرّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه، فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمداً ﷺ قد قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد قُتل فقد بلَّغ الرسالة، فقاتلوا عن دينكم.. فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ... ﴾ [آل عمران: ١٤٤] **كذا في (البداية)**.

قصة سعد بن الربيع

وأخرج الحاكم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه، وقال لي: «إن رأيته فأقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟».

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة.. ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم.. فقلت له: يا سعد، إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك؟».

قال: «على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخْلَصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر يطرِف».

قال: وفاضت نفسه رحمه الله.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، لم يخرِّجاه.

وقال الذهبي. صحيح.

ثم أخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق، أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة حدَّثه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟».

فذكر الحديث بنحو منه. وقال:

فقال سعد: أخبر رسول الله ﷺ أني في الأموات، وأقرأه السلام، وقل له: يقول سعد: جزاك الله عنا وعن جميع الأمة خيراً.

قال الذهبي: مرسل. وقد ذكر في (البداية) رواية ابن إسحاق بتمامها. وذكره مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد بمعناه مختصراً. وهكذا أخرجه ابن سعد عن معن عن مالك عن يحيى مختصراً.

قصة سبعة من الأنصار قُتلوا يوم أُحد

أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عنه أن المشركين لمّا رَهِقوا النبي ﷺ يوم أُحد -وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش- قال:

«مَنْ يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟».

فجاء رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل. فلما رهقوه أيضاً قال:

«من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟» حتى قُتل السبعة. فقال رسول الله ﷺ: «ما أنصفْنا أصحابَنا». ورواه مسلم أيضاً.

وعند البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون. فقال: «ألا أحد لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: «كما أنت يا طلحة». فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله ﷺ فقاتل عنه، وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قتل الأنصاري، فلحقوه. فقال: «ألا رجل لهؤلاء؟» فقال طلحة مثل قوله. فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل، وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة أنا يا رسول الله، فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فيقاتل مثل ما كان قبله، حتى لم يبق معه إلا

طلحة، فغشُوهما. فقال رسول الله ﷺ «من لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنمله، فقال حَسِّ. فقال: «لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جوّ السماء». ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجمعون. كذا في (البداية).

وأخرج الحاكم عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد رُفع اليمان بن جابر أبو حذيفة، وثابت بن وَقْش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله، ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمْءُ حمار، إنا نحن هامَة اليوم ألا نأخذ أسيافنا؟ ثم نلحق برسول الله ﷺ، فدخلا في المسلمين ولا يعلمون بهما. فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون. وأما أبو حذيفة فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. فقال حذيفة: أبي أبي فقالوا: والله ما عرفناه وصَدَقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه، فتصدَّق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم عن محمود نحوه كما في (المنتخب)، وزاد

ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلّ الله أن يرزقنا الشهادة مع رسول الله ﷺ، فأخذا أسيافهما حتى دخلا في الناس، ولا يُعلم بهما.

وفي آخره: فزاده عند رسول الله ﷺ خيراً.

ما ظهر من أبي طلحة في يوم أحد من محبته ﷺ

حديث عائشة رضي الله عنها عند (الطيالسي) قالت:

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد قال: «ذاك يوم كله لطلحة». ثم أنشأ يحدّث - فذكر الحديث، وفيه: فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رباعيته، وشُجّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حَلقتان من حِلق المِغفر. قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما». يريد طلحة رضي الله عنه وقد نزف، فذكر الحديث وفيه: ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه.

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أُحد والنبي ﷺ خلفه يتترَّس به -وكان رامياً- وكان إذا رمي رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره، ويقول: «هكذا -بأبي أنت وأمي- يا رسول الله، لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك».

وكان أبو طلحة يشور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: «إني جَلْد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك ومُرْني بما شئت». كذا في (البداية). وأخرجه ابن سعد عن أنس نحوه.

أخرج ابن عساكر عن طلحة رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أُحد ارتجزت بهذا الشعر:

نحن حماة غالب ومالكِ .. نذبّ عن رسولنا المبارَك

نضرب عنه القوم في المعارك .. ضرب صفاح الكُوم في المبارِك

وما انصرف رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى قال لحسان رضي الله عنه: «قل في طلحة».

فقال حسان:

وطلحة يوم الشِّعب آسى محمداً .. على ساعة ضاقت عليه وشقَّتِ

يقيه بكفَّيه الرماح وأسلمت .. أشاجِعُه تحت السيوف فشُلَّتِ

وكان إمامَ الناس إلا محمداً .. أقام رحى الإسلام حتى استقلَّتِ

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

حمى نبيَّ الهدى والخيلُ تتبعه .. حتى إذا ما لقوا حامَى عن الدين

صبراً على الطعن إذ ولَّت حماتُهم .. والناس من بين مهزوم ومفتون

يا طلحةُ بن عُبيد الله قد وجبت .. لك الجنان وزُوِّجتَ المها العِينِ

وقال عمر رضي الله عنه:

حمى نبيَّ الهدى بالسيف منصلتاً .. لمَّا تولّى جميع الناس وانكشتفوا

قال: فقال النبي ﷺ: «صدقت يا عمر».

قال في (منتخب الكنز): وفيه سليمان بن أيوب الطَّلْحي. ا.هـ. قال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابع عليها، وذكره ابن حِبَّان في الثقات كما في (اللسان).

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى

١٩٠ غطرسة القوة والشر
د. سلمان العودة

١٩٥ هل الهيمنة علينا حرب على الإسلام؟
م. أحمد سمير

٢٠٧ أجمل الكلام في سيرة النبي عليه السلام
الشيخ بدر المشاري

٢١٤ حلب.. صفحة من موسوعة العداوة للمسلمين
د. عمر عبد الله المقبل

٢٢٢ المراحل الأربعة في نصرة النبي ﷺ
د. عبد المحسن الأحمد

غطرسة القوة والشر

د. سلمان العودة

فك الله أسره*

إن الغرب يعيش مشكلة ملحة في داخله هو عاجز عن قراءتها، وهنا من الأفضل أن يصرف جهوده المزعومة لمعالجة مشكلة العالم الإسلامي إلى قراءة مشكلته الخاصة، التي لم يكن العالم الإسلامي يوماً طرفاً فيها بإقرار الغرب نفسه.

---

* د. سلمان العودة، مقال: غطرسة القوة والشر، ١٤٢٦هـ، موقع إلكتروني: موسوعة د. سلمان العودة (salmanalodah.com).

إن الغرب عاجز عن استيعاب ذاته، كما هو عاجز عن استيعاب الآخرين، حينما يفترض الغرب أن شرط صلاحياتك للبقاء ألا تكره الغرب ومفاهيمه الخاصة التي تتجه لسحق الآخرين، في حين أنه يمارس صناعة الأزمة المصعدة لمفهوم العداء ليس عند المسلمين فقط، بل هذه ظاهرة مشاهدة في القوى العالمية القائمة، فهو يطرح معادلة من الصعب على كل قوانين العلم والعقل أن تستوعبها أو تحترمها، إن كراهية الغرب ليست أزمة صنعها المسلمون، بل ثمة مؤثرات متعددة في هذا الواقع.

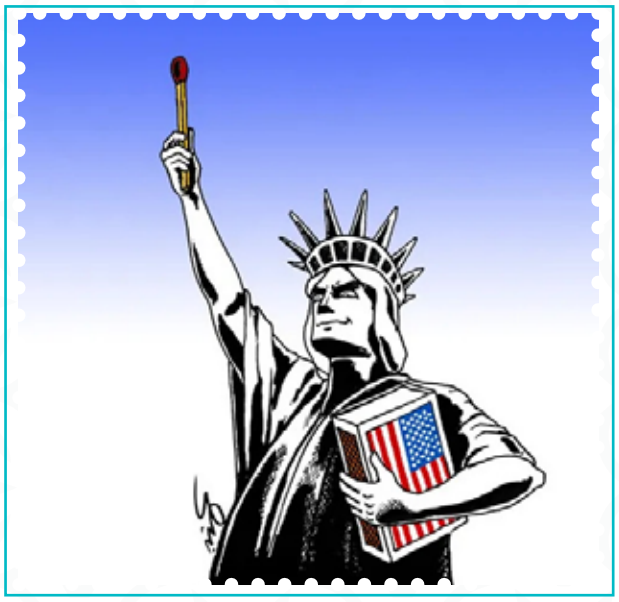

وكثير من المجتمعات والشعوب في العالم كله تكره الغرب، وحتى تلك الدول التي قد تتأثر ببعض الأنماط السلوكية الغربية تبقى على تقاطع مع الغرب في مفاصل أكثر أهمية، ومن المهم أن يدرك المفكرون هناك أن شيئاً من مظاهر الإعجاب بالغرب لا تعني الإيمان به بكل تأكيد، وأن وجود مطاعم (ماكدونالد) التي لفتت نظر فوكوياما في المغرب لا تعني الكثير!

العالم بشتى دياناته يعيش ظاهرة عامة من الكراهية للغرب، وحتى التجمعات اللادينية تراهن على هذا الخيار، ومن المفضل أن نحافظ على تذكر تجربة الغرب مع الاتحاد السوفيتي الذي لم يكن يشكل مفهوماً دينياً، والغرب يرى لنفسه حق كراهية الآخرين، ووصفهم بالشر، وصناعة مشاريع للصراع معهم، لكنه يختار أن تبادل الشعور بينه وبينهم يعد جريمة من الضروري أن يصدق عليها كل العالم، تحت قانون: إن لم تكن معي فأنت ضدي، وهذا القانون يفترض أن يؤمن

به الغرب نفسه حين يقدمه له العالم الإسلامي أو غيره من القوى الحضارية، التي تفضل حتى الآن أن تتمتع بوجودها وسيادتها فقط، لكن الغرب في صراعه يتحرك تحت مفهوم تعطيل حركة الوجود لهذه القوى، أياً كانت آلية الوصول إلى هذا الهدف ودرجتها الأخلاقية.

ربما من المشكل في العقلية الغربية أنها عقلية ذاتية مطالبة، من الصعب أن تستوعب خيارات الآخرين ومطالبهم، وليس سراً أن الغرب يكره القوى الحضارية المنافسة له، وفي مقدمتها العالم الإسلامي الذي قد تكون خطواته أكثر سرعة في ممارسة تعويق الاستبداد الغربي.

إننا لم نطالب الغرب يوماً ما ألا يكرهنا إذا كان يفضل ذلك، ونفضل أن نتركه يمارس خياراته، لكننا نطالب أن يكون هناك قدر من الأدب الأخلاقي.

و الإسلام يستوعب التعامل مع الغرب، لكن المشكل أن مفهوم الحرية في الغرب لا يستطيع أن يستوعب التعامل مع الإسلام؛ لأن العلمانية تمارس سلطة يرسمها الأقوياء فقط في الغرب، ويصعدون لها ويحاولون إقناع العقلية الفردية في الغرب بها، تحت مواعدة قادمة في تصفية قوى الشر والإرهاب، كما يردد

الساسة وكثير من رجال الثقافة والفكر والإعلام هناك، لكن من المهم أن نؤكد للغرب في شتى طبقاته ومستوياته أننا قد نبدو بسطاء، لكن من الجيد أن يفهم الغرب أننا لسنا كذلك، وأننا نتمتع بدرجة كافية من الذكاء، إن الغرب قد يصنع للعالم الإسلامي من حيث لا يريد ما عجز عن الوصول إليه.

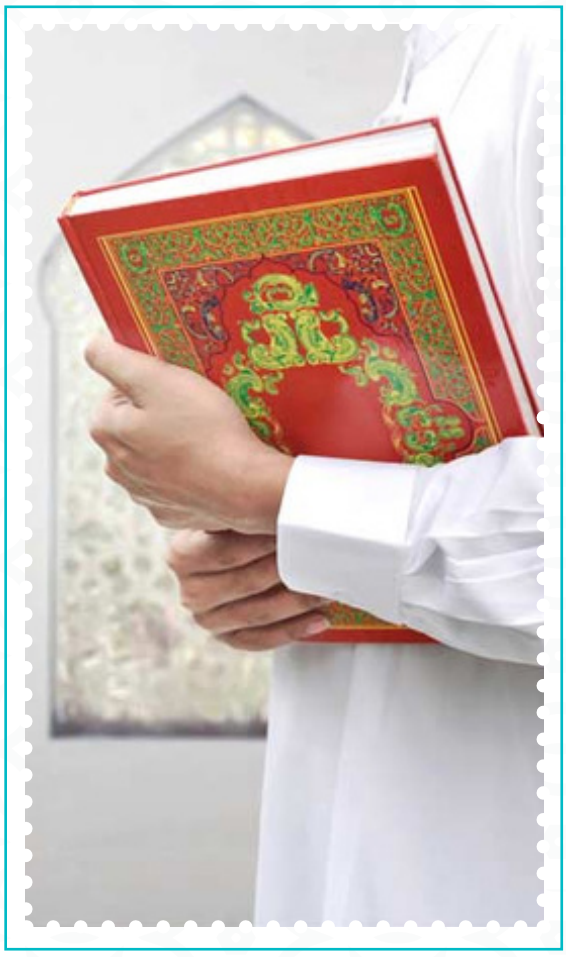

وإذا كان الغرب يعتقد أنه خرج من عصر الظلمات من قرون قريبة، فإننا تجاوزنا عصر الظلمات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وإننا في الوقت نفسه نفضل خيار التعامل بالعدل، والاتجاه للإصلاح البشري، ومعالجة الفساد والشر، بشرط أن يكون لدى الغرب استعداد للاستماع إلى الحل الإسلامي المعتدل الذي هو رسالة الخير التي نحبها لكل الناس في العالم، ونبي الإسلام أرسل رحمة للعالمين، ويقول كما في الرواية الواردة عنه في كتب السنة الصحيحة: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة». فأي ضمان يمكن أن تقدمه رسالة للآخرين أرقى من هذا المفهوم؟!

ومن الأفضل هنا أن يراجع الغرب موقفه في أخلاقيات التعامل مع القضايا الإسلامية، من وجهة نظرنا هذا هو الحل، ويبدو أنه حل يتسم بالاعتدال والعقلانية، ومن الأفضل أن نحترمه جميعاً، وأن نتجاوز المزايدة على الإسلام والمجتمعات الإسلامية لصناعة الصراع؛ لأن الغرب هنا بكل تأكيد يتصرف بغباء.

إن قراء الفلسفة الغربية يدركون أن ثمة مشكلة كامنة في العقلية الغربية، وهي سيطرة عقلية الصراع، وفرضها على الفرد الغربي للمشاركة والتفاعل معها، لكن من المهم أن يدرك الغرب أن الصراع يقود إلى النهاية والحتمية، وهذا بكل تأكيد لا يستطيع الغرب التعامل معه واستيعابه.

إن من أهم أسس الحضارة السماح للفرد فضلاً عن المجتمع بممارسة الخيارات الثقافية والاجتماعية، لكن الدوائر المتسلطة في الغرب غير مستعدة أن تمنح المسلمين هذا الحق حتى في تفسير الإسلام، فهي تريد أن تملي صياغة خاصة في مفهوم الإسلام، من أهم أسسه المحافظة على سيادة الغرب، وتسخير العالم الإسلامي حتى على مستوى العواطف والولاء له.

هذه سطحية في قراءة الغرب لمشكلته وأزمته ونمط علاجها، ومن المهم أن يدرك أنه يفكر ويتصرف بغباء، ويتحرك إلى مصير مجهول.

إننا نتطلع من وحي رسالة الإسلام أن نساعد الغرب في قراءة مشكلته، والبحث معه عن الحل الذي يتسم بالعدل والعقلانية، لكن نبدو غير متشائمين حين يختار الغرب الخيار الثاني الذي لن يكون المسلمون مؤهلين لصناعته، لكنهم مؤهلون للتعامل معه.

هل الهيمنة علينا
حرب على الإسلام؟

م. أحمد سمير

فك الله أسره*

كثيراً ما يسأل البعض: هل الهيمنة علينا حرب على الإسلام أم حرب مصالح؟

أو بصيغة أخرى: هل العدو يحاربنا حرباً دينية أم يحاربنا لأطماعه الشخصية؟

وفي الحقيقة هذا السؤال في حد ذاته خطأ، لأنه يفترض وجود تعارض بين أمرين ليسا متعارضين، ودعونا نشرح ذلك من جهتين، من جهتنا، ومن جهة عدونا.

* أحمد سمير، معركة الأحرار، كتاب إلكتروني، ص٢٩ وما بعدها.

فأما من جهتنا كمسلمين:

فكل حروبنا دينية، مهما كانت أسبابها، حتى ولو قاتل المسلم لأجل ماله وعِرضه، فالدين هو الذي أمره بذلك، فهو يقاتل طاعة لربه وإقامة لدينه، وكذلك نحن لم نتحرك في هذه المعركة إلا طاعة لربنا وإقامة لديننا، إننا نخوض المعركة عبادةً لله ونعلم أن الله سيسألنا يوم القيامة عما قدمناه فيها، سيسألنا عما بذلناه في تلك الظروف المزرية التي تسلط فيها العدو علينا في كل جوانب الحياة، تسلط علينا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وفكرياً.

فالنظام العالمي اليوم هو عدو صائل معتدٍ لا يجوز لمن في قلبه ذرة إيمان أن يتجاهل اعتداءه علينا ويعطي ظهره للمعركة، وهنا أستحضر ما قاله ابن تيمية بكلمات حاسمة حين قال:

«العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه».

نعم .. لا شيء اليوم أوجب بعد الإيمان بالله من التصدي لهذا النظام العالمي في كل الميادين التي تسلط علينا فيها بما فيها الفكرية والأخلاقية، وهو لا شك عدو يفسد الدين والدنيا، ودفعه ومواجهته عبادة كالصلاة والصيام سيسألنا الله عنها.

وأما من جهة العدو:

فلا تعارض أيضاً بين كونهم يحاربوننا لأجل المصالح وبين وصفنا للحرب بأنها حرب على الإسلام، فإنك إذا نظرت لأصحاب المصالح -غير المتدينين- في النظام العالمي (وفي رأيي هم الأغلبية) ستجد أنهم قد اعتبروا الإسلام مهدداً لمصالحهم، وأعلنوا ذلك جهاراً نهاراً، مراراً وتكراراً، هذا موجود ومسطر في تقاريرهم السياسية وكتبهم، وبسبب هذا التهديد على مصالحهم ظل (الإسلام) وقيمه الرئيسية محل عدائهم، فهم يريدون شعوباً هادئة مستكينة لا تحمل أي دافع للمواجهة ولا أي نية للجهـاد ضدهم ولا أي حافز لرفض الأوضاع الراهنة، وهذا طبعاً ما يرفضه الإسلام ولا يقبله !

وقد بينا كيف يهتم عدونا بالهيمنة الفكرية، والإسلام هو أكثر شيء يتم استهدافه في تلك الحرب الفكرية علينا، بل لا يكادون يستهدفون غيره، هم بالفعل ينظرون إلى قيم الإسلام باعتبارها بيئة خصبة لنمو المقاومة ضدهم، ورفض هيمنتهم وسيطرتهم، ولا نلوم عليهم في الوصول إلى هذه الحقيقة لأنها فعلاً حقيقة!

ودعك من كونهم يحاولون إظهار احترامهم للإسلام، وأنهم فقط يحاربون ويواجهون الإرهاب فهذا جزء من الحرب الفكرية و«الدبلوماسية الشعبية» التي شرحناها، بينما هم في الحقيقة لا يفرقون بين الإسلام والإرهاب، وهم في تناولهم لهذه المسألة داخل تقاريرهم يتحدثون عن نصوص الإسلام نفسها وما تنتجه

هذه النصوص من أفكار داخل عقول المسلمين، فالحديث إذن عن نصوص وأفكار أصلية لا عن مجرد ممارسات على الأرض كما يدعون!

بل حتى قادة الحرب الذين يخضونها لمصالح دنيوية ستجدهم يستخدمون الدين وقت الحاجة له كي يشحنوا الرأي العام الغربي، ويخدعوا المتعصبين لدينهم من تلك الشعوب، ولذلك من حين لآخر تجدهم يستحضرون النفَس الصليبي في التصريحات، كما أعلنها بوش إبان غزو العراق عام ٢٠٠٣ بأنها حرب صليبية!

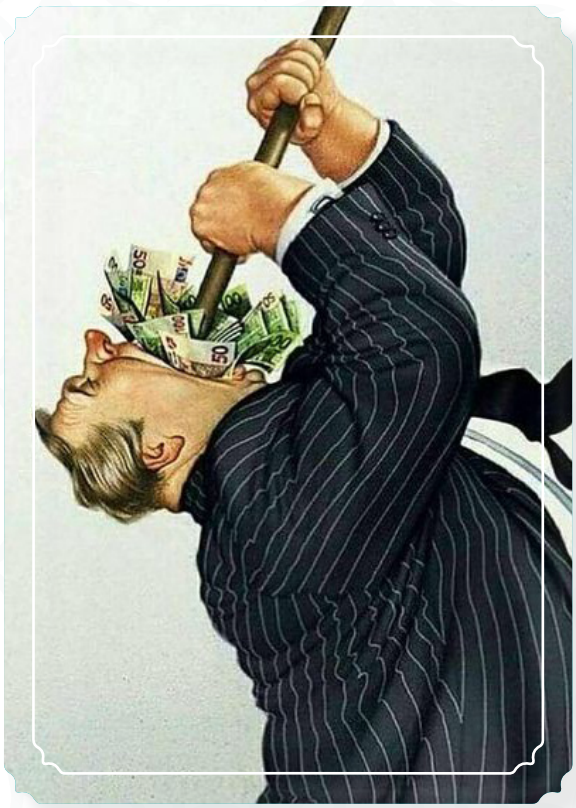

وعلى صعيد آخر الذين يحاربوننا اليوم عن دين محض، كبعض اليهود ومن يدور في فلكهم، فهم في الحقيقة أيضاً طلاب دنيا وأصحاب مصالح، فقد ذكر الله في كتابه أن سبب كفر الكفار هو حبهم للدنيا، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧].

فالأصل في أعدائنا عموماً أنهم أحقر من أن يتحركوا لغير الدنيا، بل هم في معظمهم عبّاد مصالح وعاشقو شهوات بما فيهم المتدينون.

ولقد رأيت البعض يرفض تماماً القول بأن العدو يحاربنا اليوم لأجل مصالحه ظنا منه أن هذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وفي الحقيقة لا تعارض، فهم يريدون لنا أن نحيد عن الحق ونتبع ملتهم حتى تتحقق مصالحهم الدنيوية بذلك، يريدون لنا أن نرتد عن ديننا لأن الإسلام غصة في حلوق مطامعهم الغاشمة، والردة في الحقيقة ليست منحصرة في أن تعلن تغيير دينك، بل قد يظلون يسلبون منك الدين شيئاً فشيئاً ويحرفون معانيه بداخلك حتى تجد نفسك في النهاية جزءاً من منظومتهم الفكرية والسياسية، وترساً داخل ماكينة مصالحهم، والاسم فقط: مسلم!

وتصوري أن العدو اليوم ثلاثة أصناف، ستجد فيها جميعاً عدم تعارض بين كونها حرباً على الإسلام أو كونها حرباً للمصالح:

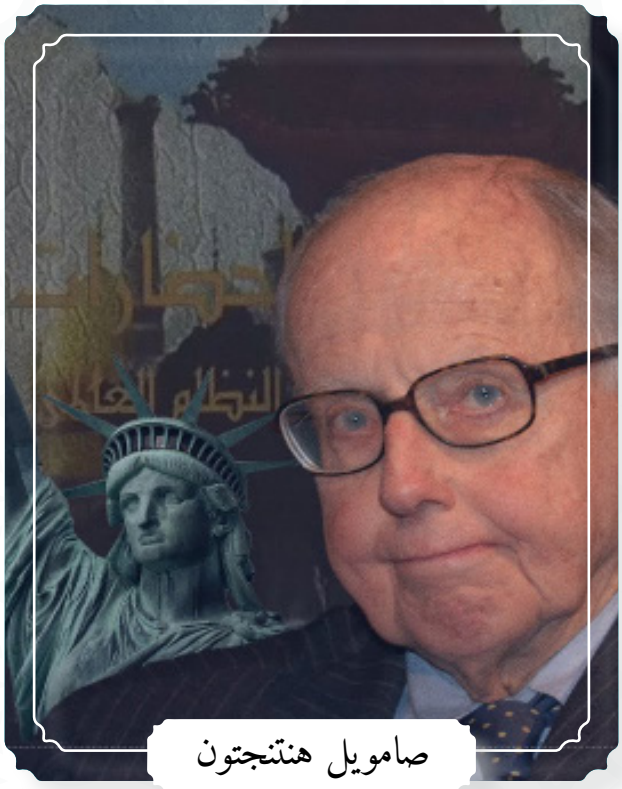
صامويل هنتنجتون

١ قسم تحركه دوافع دينية، ويلحق بهذا القسم أصحاب الدوافع الحضارية والثقافية، كالذين ينظرون إلى الإسلام باعتباره خصماً حضارياً وليس خصماً دينياً فقط، ويقارنون دوماً بين حضارة الإسلام والغرب ويعتبرون أنهما في صراع أبدي، كصامويل هنتنجتون صاحب أطروحة (صراع الحضارات).

٢ قسم تحركه دوافع دنيوية محضة، وقِبْلَته ودينه المصالح، وهو يعتبر الإسلام عدواً ليس من منطلق ديني، بل من منطلق أنه عائق أمام مصالحه كما كانوا ينظرون للشيوعية من قبل ولكن بصورة أشد ومختلفة طبعاً، وقد يستخدم هؤلاء الدين أحياناً للمتاجرة به بين شعوبهم.

٣ قسم يجمع بين الدوافع الدينية والدوافع الدنيوية، فهو يجمع بين طلب المصالح وبين معاداة الإسلام والمسلمين.

وهكذا تختلط المصالح عند عدونا بالدين، والدين بالمصالح، بصورة يصعب فصلهما، لنجد أننا أمام حقيقة حتمية وهي أن الإسلام في قلب الحرب اليوم، ولو أنكر هذه الحقيقة المنكرون، ودعونا نشرح هذه الحقيقة بعمق في الفصل القادم لنرى كيف يتلاعبون بأفكار المسلمين الدينية والمسلمون لا يشعرون؟ وكيف يتحكمون فيما يُقدّم لنا على أنه الإسلام؟ وسنذكر بدقة ما الذي يخيفهم من الإسلام الحق، وما هي الأفكار التي يريدون تفريغ عقول المسلمين منها؟ سنحدد كيف يجب أن يحركنا الإسلام في هذه المعركة الشرسة وإلى أين؟ كل هذا سنبينه ببساطة وسلاسة في السطور القادمة إن شاء الله، وما نفعله في سطور هذا الكتاب ما هو إلا مواجهة منا لتلك الحرب الأمريكية المستعرة على أفكار الشعوب!

لماذا يخافون من الإسلام؟

في الفترات الأخيرة خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لوحظ كثرة التقارير الأمريكية التي تتحدث عن «الإسلام» وحقيقته، طرحت بعضُ هذه التقارير مواصفات «الإسلام» الذي يمكن اعتباره معتدلاً مسموحاً بوجوده عالمياً، سموا هذا الإسلام أحياناً الإسلام المعتدل أو الوسطي وأحياناً الإسلام المدني وتارة الإسلام الديمقراطي، بينما نحن نسميه (الإسلام الأمريكي)!

وضعوا عدة أسس ومعايير تحدد ما هو الإسلام المعتدل وما هو الإسلام المتطرف، وإذا تأملت هذه الأسس والمعايير ستجد أن المصالح الأمريكية هي الفيصل، فالمتطرف هو من يهدد مصالح أمريكا، والمعتدل هو من يتوافق مع مصالحها، فهو تأكيد منهم بعد خبرات طويلة في مواجهتنا أن القوة العسكرية لن تحسم الحرب وحدها، وأن الحرب يجب أن تصل إلى الفكر، وأيقنوا أن الإسلام هو أكبر عقبة فكرية أمام مصالحهم اليوم!

ولقد تأملت فيما كتبوه فوجدت أن خوفهم من الإسلام يدور حول ثلاثة عناصر يحاولون إفراغ الإسلام المقدَّم للشعوب منها:

- العنصر الأول: الاكتمال أو الاكتفاء الذاتي القيمي والتشريعي

الإسلام دين مكتمل مكتفٍ بذاته، لا يحتاج إلى استيراد أي قيم أو تشريعات من خارجه، فهو يمتلك تشريعات وتوجيهات تبدأ من الأمور الشخصية البسيطة وتصل إلى الشؤون السياسية العامة، إنك تعجب عندما تجد أن الإسلام قد تناول آداب الطعام والشراب والنوم ودخول الخلاء، وتناول كذلك تشريعات تتعلق «بالأحوال الشخصية» من زواج وطلاق وميراث، ثم تناول تشريعات أخرى في السياسة والاقتصاد والحروب وسائر المجالات العامة، تناول كل هذا بتفاصيل كاملة مكتملة تصل إلى أدق الأمور!

هذا الاكتمال العجيب يُعطي المسلم استقلالية ويكسبه صلابة فكرية يصعب معها اختراقه بأفكار مشبوهة، لأنه بالفعل لا يحتاج إلى شيء من خارج الإسلام فكل شيء، بمعنى كل شيء، موجود في الإسلام على أكمل وأتم وجه، وهذا الذي جعل المسلمين يمتلكون بالفعل على مر التاريخ مناعة أمام هجمات المحرفين وصولات المبطلين.

هذا الاكتمال بالطبع لا يروق لأعدائنا في النظام الدولي لأنه يجعل من الإسلام بديلاً حضارياً محتملاً لحضارتهم القائمة اليوم، فهو يطرح بدائل جاهزة لكل ما هو موجود الآن، بل هو كان «الأصل» في وقت من الأوقات، إنه ليس دين عبادات فقط داخل المساجد، ولو كان كذلك لما خافوا منه!

ولذلك فقد حركوا طابورهم الخامس وأتباعهم في بلادنا ليشككوا الشعوب في هذا الاكتمال ويشوهوه في أذهانهم، وهو ما يمكن تسميته اختصاراً: (الحرب على الشريعة).

وغرضهم من هذا التشويه والتشكيك هو إيجاد فراغات في عقول المسلمين، يتسللون من خلالها بأفكارهم وتشريعاتهم التي تحقق مصالحهم، وقد ساعدهم في ذلك أيضاً أفعال من رفعوا شعار هذه الشريعة بفهم مغلوط وخطاب منفر وعرض مشوّه لا يتفق بتاتاً مع هذه الشريعة المكتملة ولا مقاصدها!

وقد حوّل أعداؤنا وأذنابهم هذا الاكتمال إلى مادة للاستهزاء والسخرية كنوع من تشكيك الشعوب في شريعتهم، كالسخرية من التشريعات الدقيقة مثل (النهي عن الأكل باليسار). وهم لا يدرون أن هذه التشريعات التفصيلية البسيطة دلالة على اكتمال الإسلام وأنه لم يترك شيئاً لم يوجّه فيه المسلمين وهذا مما نفتخر به، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد لاحظ غيرُ المسلمين هذا الاكتمال منذ القدم حتى قال يهودي لسلمان الفارسي القول المشهور: «قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة»! فأكد سلمان قوله وقال: «أجل! لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع، أو بعظم».

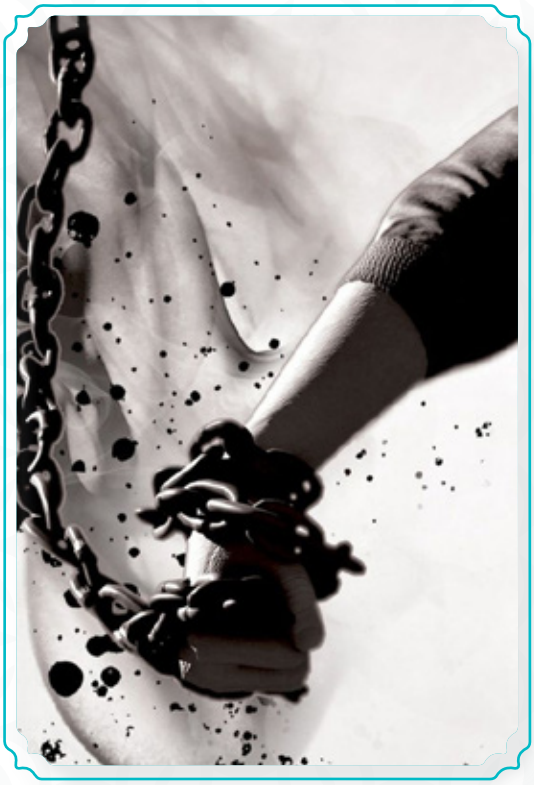

العنصر الثاني: المخالب

أي أنه دين له مخالب يوقظ روح العزة فيمن يحمله ويضع بذور المقاومة والإباء ضد كل معتدٍ عليه أو على حامليه، إنه دين يجعل بداية الحياة الحقيقية يوم يموت المرء في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

دين يصوغ منظومة القيم في قلوب أبنائه ليصبح الموت أهون من ضياع الدين والعرض.

ولذلك شنوا ما يمكن تسميته بـ«الحرب على الجهاد»، أو ما سموه هم: «الحرب على الإرهاب»، وبدؤوا في نشرِ تُهمٍ ومصطلحات تخلق حاجز صد بين الجماهير وبين هذا العنصر مثل: الإرهاب - تكريس الكراهية - الدعوة للعنف إلخ .... في وقتٍ استخدموا هم فيه كل وسائل الإرهاب والعنف والتكريس للكراهية في حربهم مع الشعوب تحقيقاً لأغراضهم ومصالحهم!

إنك حين ترجع لما يكتبونه ستجد أن جملة (الحرب على الإرهاب) ليست مختصة فقط بالمواجهة العسكرية مع جماعات مسلحة بعينها، فكثير من استراتيجيات الحرب على الإرهاب هي في الأساس فكرية وليست عسكرية، كما أنها لا تستهدف فقط مواجهة (الراديكاليين أو المتشددين) كما يسمونهم، بل تستهدف بصورة أساسية التوجيه الفكري لعموم الشعوب.

و تعريف أعدائنا للإرهاب تجاوز التعريف التقليدي حتى صار وصفاً على كل مسلم يقف أمام مصالحهم الاستعمارية وأفكارهم المشوهة، فمواجهتك لمصالحهم ولو فكرياً تجعلك في زمرة من سموهم «الإرهابيين أعداء الحداثة والحرية»!

العنصر الثالث: الانتشار

أي ما يتصف به الإسلام من سرعة انتشار وتمدد، وذلك يرجع للسببين:

السبب الأول: أن الإسلام نفسه كدين يحمل عوامل انتشاره وتمدده، فهو دين الفطرة كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

السبب الثاني: هو أن المسلم يحمل عقلية الانتشار والتوسع، فإن الإسلام يزرع في أبنائه هذه العقلية، ويحثهم على إبلاغ الدعوة بالقول والفعل، وقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ليس مجرد خبر بل فيه معنى تكليفي، فكل حامل لهذا الدين عليه واجب الدعوة بما يستطيع حتى تصل دعوة هذا الدين للعالمين، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه فقال: «بلغوا عني ولو آية». وإن من حِكم جهاد الطلب أو «الفتوحات» هو مواجهة أولئك الذين يقفون حاجز صد أمام بلوغ هذه الدعوة للشعوب والأمم.

ولذلك واجهوا هذا العنصر بما يمكن تسميته «مقاومة انتشار الإسلام»، وقد صدرت عدة دراسات وأبحاث وتقارير استخباراتية وإعلامية ترصد ظاهرة انتشار الإسلام وتحذر من عواقبها وتضع التوصيات

لمواجهتها، بعض هذه الدراسات ذكرت أن الإسلام صار أسرع الأديان انتشاراً في العالم كله، وكان المفزع لهم هو أن هذا الانتشار يقع بالأساس في الغرب!

كما كان من أساليبهم لمواجهة هذه الظاهرة هو ابتداع فكرة مؤتمرات حوار الأديان التي أرادوا من خلالها التأسيس لمبدأ البحث عن «المشتركات» بدلاً عن «المتناقضات»، وإعلاء الحوار القائم على المجاملات المتبادلة بدلاً عن مقارعة الحجة بالحجة والبحث عن الحقيقة، وبذلك تُضرب فكرة الدعوة للإسلام ويصبح في مقابلها فكرة أخرى براقة سموها «التعايش المشترك» مع إقصاء الدين تماماً، وهم لم يفعلوا ذلك إلا تجريداً للإسلام من أحد عوامل قوته الكبرى وهروباً من مواجهته في ساحة هم موقنون بالهزيمة فيها أمامه.. ساحة (الدعوة).

ومن حربهم كذلك وسعيهم للحد من فاعلية انتشار الإسلام أنهم يدعمون في الغرب توجهات فكرية محددة داخل الإطار الإسلامي العام، بحيث يضمنون أن انتشار الإسلام في الغرب يتم توجيهه في اتجاه فكري محدد سهل الاحتواء كالصوفية أو «سلفية ولي الأمر»، ولذلك تجد انتشار هذين التيارين كبيراً جداً بين المسلمين الجدد في أوروبا وأمريكا.

العنصر الرابع: أخوّة الإسلام

إن الأُخُوّة التي قررها الإسلام بين المسلمين وقدمها على أي رابط آخر هي مما ميز الإسلام كدين وميز المسلمين، هذه الأخوّة هي بالنسبة لأعدائنا كارثة حقيقية، والشعوب كلها تحفظ قاعدة الاحتلال الشهيرة: (فرّق تسُد).

فبالإضافة لما في الإسلام من قوة فإنه كذلك يمثّل وحدة الشعوب في أخطر وأهم منطقة في العالم وهذا يزيد من خوفهم من الإسلام، وإذا رجعت إلى فقرة (الحدود تراب) في الفصل الأول ستدرك أن تقسيم الشعوب المسلمة خاصة في منطقة ما يسمى الشرق الأوسط هو هدف استعماري قديم، فاجتماع شعوب هذه المنطقة وامتلاكها للزمام فيها يعني وجود قوة في العالم منقطعة النظير لما للمنطقة من مميزات ذكرناها، والتاريخ يشهد على خطورة توحد هذه المنطقة، فقد كان العالم كله يُحكَم منها، وإذا سألت نفسك ما هو الشيء المشترك بين شعوب هذه المنطقة الذي يمكن أن تتحد من خلاله ستجده (الإسلام)! هذا الدين الذي أرسى قاعدة خالدة مفادها أن المؤمنين إخوة، وأن رابط الدين يعلو كل الروابط الأخرى، وأن تفضيل وتقديم أي رابط على رابط الدين هو وقوع صريح في فعل من أفعال الجاهلية!

كما أن أي رابط غير الدين يعني أن شعوب هذه المنطقة ستظل في شتات وتفرق إلى يوم القيامة! ولذلك كان السعي الدائم من أعدائنا لاختلاق روابط أخرى تعلو فرق رابط الدين عند الشعوب كرابط الوطنية المبني على الحدود التي رسمها المستعمر، فهي روابط تفرق الأمة الواحدة، وهذا ما نراه اليوم للأسف فقد صارت الشعوب في تناحر وعداوة وسباب متبادل ناسين أن الإسلام يجمعهم جميعاً وأن الاحتلال هو الذي رسم تلك الحدود التي يعادي بعضهم بعضاً بسببها!

إنك إذا تأملت عناصر القوة الأربعة التي ذكرناها ستجد أنها أهم عناصر قيام الإمبراطوريات، وهذه هي نظرتهم السياسية للإسلام، فأي إمبراطورية قامت احتاجت إلى ثقافة مكتملة ورابط راسخ بين شعبها وقوة ومخالب وسعي للانتشار والتوسع، غير أن الإمبراطوريات توظف ذلك في تحقيق مطامعها، وأما الإسلام فمع امتلاك مقومات قيام الإمبراطوريات إلا أنه دين يحمل رسالة عنوانها تحرير الخلق لا استعبادهم، وإرساء العدالة والإصلاح لا الظلم والإفساد.

أجمل الكلام

في سيرة النبي عليه السلام

الشيخ بدر المشاري

فك الله أسره*

علاقتنا بالنبي ﷺ في الدنيا نعرفها، لكن ما هي علاقتنا بالرسول ﷺ يوم القيامة؟

كل ما على الأرض فانٍ، فمن أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة؟

إنه الرسول ﷺ، فقد قال: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر».

لماذا ينشق القبر أولاً عن النبي ﷺ؟

* أصل المقال: محاضرة صوتية للشيخ بدر المشاري، بعنوان: أجمل كلام عن سيرة النبي ﷺ، منشورة بموقع الشبكة الإسلامية، تحرير: فريق مجلة أنصار النبي.

إذا خرجنا يوم القيامة من قبورنا يكون الرسول أمامنا، كأن الرسول ﷺ يقول: اطمأنوا ستجدونني أمامكم، حتى إذا بُعثر ما في القبور، وخرج الناس، فإذا رأوا الرسول اطمأنوا وظنوا أن الحمد لله الأمان موجود، فإذا رأى الناس رسول الله ذهبوا إليه.

كم يقف الناس يوم القيامة؟ خمسين ألف سنة، واليوم الواحد كألف سنة مما تعدون، الناس يصيبهم عرق وتعب وعطش، فيذهبون إلى النبي ﷺ، يذهبون أولاً إلى آدم فيقولون يا آدم اشفع لنا عند ربك، والحديث معروف، ماذا يقول آدم؟ يقول: نفسي نفسي، فيذهبون إلى نوح فيقول: نفسي نفسي، جميع الرسل والأنبياء يقولون نفسي نفسي، حتى يأتوا إلى عيسى فيقول: اذهبوا إلى محمد فإن له دعوة لا تُرد، ما من نبي إلا له دعوة لا تُرد، جميع الأنبياء عجّل دعوته في الدنيا إلا النبي ﷺ ادخر دعوته لأمته.

والله إن الرسول يحبنا، يا حبيبي يا رسول الله! كم دعا لفاطمة ودعا لأهل بيته؟ لكنه ادخر الدعوة لأمته، لأنه يحبنا ﷺ، يحب أمته، فإذا جاء يوم القيامة ووقف الناس، هذا اليوم وهذا المشهد هو المشهد الوحيد على الكرة الأرضية منذ أن خُلق آدم تجتمع فيه كل الأمم على رجُل واحد هو النبي ﷺ.

فالذين يأتون النبيَّ ﷺ ليس أمته فقط، بل أمة آدم، وأمة نوح، وأمة موسى، وأمة عيسى، جميع الأنبياء: يا محمد اشفع لنا عند ربك، فقد أهلكنا العطش والجوع، وقد أحرقتنا الشمس، وازداد العرق. فيقول النبي: أنا لها أنا لها.

اسمعوا إلى الرسول كيف يصف المشهد فيقول ﷺ: «فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وَسَلْ تُعطَ، واشفعْ تُشفّع».

ويقول ﷺ في حديث آخر: «ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب».

اللهم صلّ على النبي، وارزقنا حسن اتباعه!

فيستبشر النبي ﷺ، لكن الناس واقفون ولم يتم الحساب بعد، وهم عطشى، فيسقي النبي أتباعه من حوض الكوثر، فانظروا إلى حب النبي ﷺ لأمته، يقول وقد صعد المنبر ﷺ: «إني بين أيديكم فرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا...».

الحوض يراه الناس مد البصر، لونه أبيض من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، الأكواب التي يشرب بها الناس كعدد نجوم السماء.. ترى الحوض عليه منبراً، هذا المنبر صعد عليه النبي ﷺ عندما ذهب ليزور شهداء أحد فوقع بسبب المرض عند بقيع الغرقد.

وكانت هذه ليلة السيدة ميمونة، فدخل عند ميمونة، وكان مثقلاً، أي: متعباً ﷺ، فقال لميمونة أن تجمع صويحباتها -أي زوجاته- واجتمعن زوجات النبي كلهن عند ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة، وأذِنّ له. قالت عائشة رضي الله عنها: «فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس ويدٌ له على رجل آخر، وهو يخط برجليه في الأرض».

هذا العدل الحقيقي! لأن مَن تزوج بامرأتين ومال لإحداهن جاء يوم القيامة وشقه مائل، حمل العباس وعلي بن أبي طالب رسول الله ﷺ من حجرة ميمونة إلى حجرة عائشة، فرآه الناس محمولاً، وانتشر في المدينة أن رسول الله مريض. أغلى الناس عندنا -لا قدر الله -لو أصابه شيء أو مرض ربما لا تنام الليل، فكيف بالنبي ﷺ؟

فاجتمع الناس عند بيت النبي ﷺ عند حجرة عائشة، فسمع النبي الصوت فقال: ما هذا الصوت يا عائشة؟ قالت هؤلاء أصحابك علموا بمرضك فاجتمعوا خافوا عليك، قال احملوني إليهم، انظروا إلى القلب والله إنه رحيم ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

جلس ﷺ على المنبر فقال: «عبد خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكى أبو بكر وبكى، فقال: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا». قال أبو سعيد الخدري: «فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به». وقال رسول الله ﷺ: «إن أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوّة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر».

يتكلم ﷺ وكأنه يودع الأمة، والصحابة في هدوء وصمت، الوحيد الذي تكلم هو أبو بكر رضي الله عنه، وهذا مشهد غريب.. فمن يقاطع النبي؟ قال أبو بكر: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله».

نعم.. فداك الولد، فداك الزوجة، فداك المال، فدتك النفوس! هذا الصدّيق له مكانة عظيمة!

إذَن.. يقف الرسول ﷺ يوم القيامة على هذا الحوض، تخيل أن الرسول ﷺ يقول لك تعالَ اشرب يا إبراهيم وأنت يا عبدالرحمن وأنت يا سعد، وأنت يا زيد! أسألكم بالله أن تستشعروا هذا اللحظة العظيمة! كيف يكون موقفك والرسول ﷺ يناديك في عطش يوم القيامة؟ ثم إذا جئتَه تريد أن تأخذ كأساً لتشرب يأخذه منك ويقول لا بل أسقيك بكفي شربة لا تظمأ بعدها أبداً!

اللهم ارزقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً وكل من حضر معنا من إخواننا ومَن يشاهدنا ومَن يسمعنا شربة لا تظمأ بعدها أبداً.

فيسقي الناس، والحساب ما تم، يا رسول الله استشفع لنا عند الله، فيشفع ثم يبدأ الحساب.

المرحلة الثالثة

ثم تكون المرحلة الثالثة: الأولى الشفاعة، الثانية السقاء، الثالثة بدء الحساب.

وكل الناس يمرون على الصراط: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، الرسول يقف على طرف الصراط، ما تركنا وقال الحساب بدأ وأنا أتوقف وكل شخص يأخذ جزاءه، بل يقول الرسول ﷺ: «فيُضرب الصراط بين ظَهرانَي جهنم، فأكون أول من يَجُوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم».

اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم، اللهم أمتي، اللهم أمتي، وعندما يمر الناس يراهم النبي، اللهم سلم، اللهم سلم، فإذا اطمأن أن الناس قد مشوا على الصراط ذهب إلى الطرف الآخر، الطرف الذي عند باب الجنة، يا جماعة: والله العظيم إن الرسول يستحق منا الحب، والصلاة عليه ﷺ، اذكر لي إنساناً في الدنيا له فضل عليك مثل النبي ﷺ!

يجتمع الناس ويقول النبي: إن الجنة لها ثمانية أبواب، وما بين مصراعيها كما بين السماء والأرض، وإنه والله ليأتي عليه يوم وعليه زحام من كثرة الناس على باب الجنة، والناس واقفون عند باب الجنة لم يفتح الباب، والأنبياء واقفون: آدم ونوح وموسى وعيسى وزكريا ويحيى، فإذا أقبل النبي وهم يستشفعون: آدم أنت ما شفعت لنا في الحساب: اشفع لنا يفتح لنا باب الجنة، قال اذهبوا إلى نوح فقال يا نوح نريد دخول الجنة، ننتظر الجنة هذه طيلة أعمارنا، وفي القبور مئات وآلاف السنين، اذهبوا إلى فلان، ثم يأتون إلى النبي ﷺ، فيقولون: اشفع لنا، فيقول النبي:

«إن الله قد أذن لي أن أطرق باب الجنة، فيطرق باب الجنة». فإذا بخازن الجنة يقول: من؟ قال: «محمد». فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك.

تستشعرون صوت الباب؟

فتُفتح أبواب الجنة، ويبدأ الرسول يدخلنا واحداً واحداً، يأخذك يا إبراهيم ويا فهد، ويا خالد ويا مغيرة، ويمسك بك حتى يرشدك ويوصلك إلى قصرك، اللهم لا تحرمنا من هذا الموقف يا رب العالمين! هذا مشهد عظيم.. لكن هل انتهى الأمر عند ذلك؟ لا، بل يشفع النبي ﷺ في مَن دخل النار، يقول النبي ﷺ:

«فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة - أو خردلة - من إيمان فأخرجه، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل».

هذه رحمة الرسول ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، تدرون الشفاعة يوم القيامة من يستحقها؟

قال أبو هريرة كما في البخاري: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قبل نفسه».

فقولوا لا إله إلا الله أهنئكم بشفاعته، يقول النبي ﷺ:

«ما من أحد يُسلّم عليّ، إلا ردّ الله إليّ روحي حتى أرد عليه السلام».

فصلوا على النبي ﷺ يرد النبي الآن عليك السلام!

هذا شرف عظيم، أن تصلي على النبي وأنت في المدينة، في الرياض، في مكة، في أمريكا، في أقصى الدنيا، فيصلي عليك! صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

حلب.. صفحة من موسوعة العداوة للمسلمين

د. عمر عبد الله المقبل

فك الله أسره[1]

الحمد لله الذي قهر بقوته القياصرة، وكسر بعظمته جبروت الأكاسرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقصم من يشاء من الظالمين في الدنيا، ويؤخّر من شاء إلى الآخرة، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الذي صارت أمّته -لما تمسكت بدينها- لما سواها من الأمم قاهرة، وبدينها على سائر الأديان ظاهرة، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، فأورثهم عز الدنيا والآخرة، أما بعد:

---

١ خطبة ألقاها د. عمر المقبل في ١٤٣٨/٣/١٧هـ، وكان قد مرّ على حلب أسبوع عصيب حيث حوصر أكثر من ١٠٠.٠٠٠نسمة، مع قصفهم من كل جانب في ظل شح الدواء والغذاء والطقس البارد. [المصدر: موقع عمر المقبل almuqbil.com]

فليس ثمة حدثٌ يَفرض نفسَه اليوم كالحديث عن جرحنا في حلب! ولن تكون فصاحة الخطباء -مهما بلغت- بأبلغ من صور النازحين والهاربين على وجوههم.. الفارين بدينهم، الخائفين على أعراضهم، المشفقين على أطفالهم وشيوخهم!

أوّاهُ ياحلبَ الأمجادِ يا لُغةً ●● من الشموخ طوى إبداعَها الصّخبُ

حربٌ تُشَنّ بلا وعيٍ ولا خُلُقٍ ●● فالطفلُ يُقتَلُ والأعراضُ تُغتَصَبُ[٢]

إن الحدث جَلل.. وهو يملي كلاماً كثيراً ينبغي أن يُقال، ولو باختصار؛ تذكيراً وترشيداً للتعامل الأمثل مع مثل هذه الأحداث، التعامل الذي يبقى أثرُه، ويمتد نفعُه بإذن الله، والذي يمكن تلخيصُه في الوقفات التالية:

- **الوقفة الأولى:** إلى الذين ما زالوا مغترين بمنظمات حقوق الإنسان، ألم ينكسر هذا الصنمُ من قلوبكم؟! ألم تتيقنوا بعدُ أن هذا القانون إنما صُمِّم لدماء معيّنة، وبلدان معينة؟!

- **الوقفة الثانية:** أن هذه الأحداث أثبتت أنه مهما تغير الأشخاص،

---

٢ البيتان للشاعر د. عبدالرحمن العشماوي.

وتغيرت الأزمان، وتبدلت المصالح؛ فإن الحقائق القرآنية التي نزلت على قلب نبينا ﷺ لا تزال ثابتةً تتجدد، وهذه الحقائق منها ما يخص الكافرين والظالمين، ومنها ما يخص المؤمنين:

تأمل مثلاً هذه الحقيقة: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ومنها: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

فهاتان الحقيقتان تختصران لك كل محاور الاجتماعات واللقاءات التي تتم بينهم، وتُبين لك سراً من أسرار هذا التواطؤ العالمي، والصمت العجيب عن هذه المجازر التي لو وقعت أمثالها على كلابٍ لانتفضوا مستنكرين! أما حين يكون القتلى والمشردون مسلمين؛ فيكفي أن يعلن الأمين العام للأمم المتحدة عن قلقه تجاه ما يحدث!

ومن تلك الحقائق القرآنية التي يراها المؤمن ماثلةً للعيان:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

ومنها: ظهور سنة المدافعة بين الحق والباطل لمنع فساد الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ومنها: معرفة حقيقة أعداء الإسلام ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ومنها: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومنها: أن يدرك القائمون على شأن الجهاد هناك ضرورة جمع الكلمة، وإلا حقّت سنة الله عليهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] وهذا ما يشاهَد الآن، فهل من وقفة صادقة عاجلة من قادة الجهاد هناك؟!

ومنها: وهي من الحقائق البالغة البليغة، وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقد جاءت تعقيباً على غزوة أُحد وما وقع فيها من هزيمة وبلاء.. يقرؤها المؤمنُ لتلفت نظره إلى زاوية أخرى في أمثال هذه المصائب العظام، وهي أن لله تعالى في تقدير هذه المحن حِكَماً عظيمة، منها: ما أشار إليه ابن القيم بقوله:

«فلولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلةُ الصبر والعفو والحلم وكظم الغيظ، ولا حلاوة النصر والظفر والقهر، فإن الأشياء يظهرُ حسنُها بأضدادها، ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الأعداء المحقَ والإهانةَ والكبتَ، فاستخرج بذلك التسليط ما عند أوليائه، فاستحقوا كرامتَهم عليه، وما عند أعدائه، فاستحقوا عقوبتَهم عليه، فكان هذا التسليط مما أظهر حكمتَه وعزتَه ورحمتَه ونعمتَه في الفريقين، وهو العزيز الحكيم»[٣].

---

٣ شفاء العليل، ص٢٦٦.

وغيرها من الحقائق القرآنية، التي لا يزداد المؤمنُ بتلاوتها وتدبّرها إلا يقيناً بأن هذا القرآن من عند الله، وأن النجاة من هذا الخزي والذل والعار لن يكون إلا بالرجوع إليه جملةً وتفصيلاً. وأن هذا الهوان الذي لبسته أمةُ الإسلام لن يخلعه عنها ولن يزيله إلا عودةٌ صادقة شاملة للعمل بالقرآن والسنة.

الوقفة الثالثة: لقد أثبت الحدَث أن في الأمة خيراً كثيراً، وأن رابطة الدين هي الرابطة الأعلى والأقوى! ومن يتابع مواقع التواصل الاجتماعي سيدرك ذلك بلا عناء، وسيرى حقيقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ظاهرةً للعيان، فما الذي رسم تلك الصور العظيمة من الحزن والغضب التي عبّرت عنها الملايين؟ ولكأن القتلى آباؤهم أو أمهاتهم أو أولادهم! وهل هذا إلا معنى من معاني الجسد الواحد؟! إنه الرابط الديني!

وإن المواطنين ليأملون أن يوجّه وليّ الأمر -وفقه الله- بإطلاق حملةِ تبرعات شعبية عاجلة نضمّد بها بعض الجراح التي كست تلك الأجساد التي أنهكها البلاء، وشتتها الأعداء! كما فعل بعضُ إخواننا في الخليج، فلعلها تكون سبباً في دفع البلاء عنّا، وتعجيل النصر على عدونا في الجنوب، فبلادنا بلادٌ طالما نالَ خيرَها بلدانٌ لا تداني مآسيها مأساة أهلنا في حلب، وأهلُ هذا البلاد فيهم خيرٌ كثير، والأموالُ ستتدفق بعشرات ومئات الملايين فور البدء بهذه الحملة.

الوقفة الرابعة: ينبغي علينا جميعاً -ونحن نشاهد ما نشاهد من أذى وقرْح- أن نكون متفائلين تفاؤلاً إيجابيًا، وأعني بالتفاؤل الإيجابي هو: اليقين التام بأن دين الله منصور، وأن نصره متحقِّق بنا أو بغيرنا، وأن يدفعنا هذا الفأل إلى العمل الجاد المثمر، والتوبة من الذنوب على مستوى الأمة والأفراد.

لقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الثقة بموعود الله، وعلى التفاؤل وعدم اليأس في أحلك الظروف، فعندما اعترضت للصحابة صخرةٌ -في حَفْرِ الخندق- جاء النبي ﷺ وأخذ المِعول فضربها ثلاث ضربات، في الضربة الأولى يبشّر بفتح بلاد الروم، وفي الثانية بفتح فارس، وفي الثالثة بفتح اليمن[٤]، ثم يأتيه الخبر بنقض بني قريظة للعهد، فهل خار أو تحطم؟! لا، بل زاد تفاؤله، فقال: «الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين»[٥].

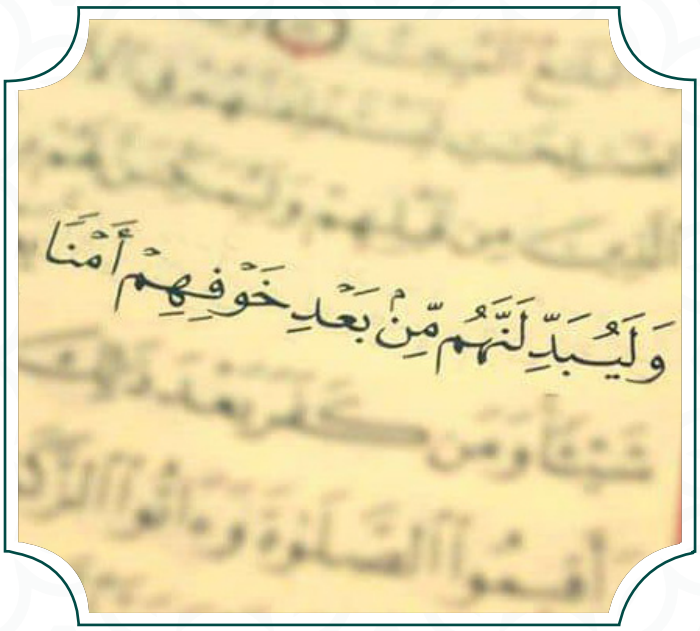

وما أحوجنا إلى هذا الدرس في هذه الأحداث العصيبة، فمهما كان واقع الأمة مؤلماً، يفرض على كثير من المسلمين أقسى الظنون؛ إلا أنها في طريق التغيير الإيجابي تسير، وهي الآن أفضل بكثير من سنوات مضت، فلا ينبغي استبطاء النصر، واستعجال الظفر.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة..

---

٤ مسند أحمد ح(١٨٦٩٤)، وأصله في البخاري ح(٤١٠١).

٥ سيرة ابن هشام، ت: السقا (٢/ ٢٢٢)، السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ٢٠٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله، أما بعد: فإن من أهم ما ننصر به إخواننا في هذه المحنة العظيمة:

١ التذكير بقضيتهم في مجالسنا، وبمختلف الوسائل الإعلامية، وهي اليوم بأيدي الناس أكثر من أي وقت مضى.. هذا يغرد، وهذا يذكّر بالدعاء، وهذا يحثّ على التوبة، وهكذا.

٢ الحذر من نقل الأخبار غير الموثوقة، ونشر الشائعات؛ فإنها تفُتُّ في العضد، وتوهن الهمّة، وتقتل العزيمة! والعدوّ ليس بغافل عن أثر هذه الإشاعات وأثرها السلبي، ألسنا نذكر كيف أشاع الشيطان يوم أُحد خبر قتل النبي ﷺ، وكيف أوهن هذا في صفوف بعض المسلمين؟!

٣ ومنها: التواصي بالدعاء المقترن بالتضرع، الدعاء الذي يجعلك تستجمع مشاعرك وأحاسيسك.. الدعاء الذي يجعلك تدعو وكأن أهلك أو بعض أهلك هناك يعانون الحصار، وتخشى عليهم القتل أو هتك العرض!

لقد وصف الله دعاء المؤمنين في بدر فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

ولقد كان ﷺ كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله، وخصوصًا في مغازيه، وعندما اشتد الكرب على المسلمين في أُحد مغازيه قال: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب؛ اهزمهم، وانصرنا عليهم»[٦]، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه ﷺ.. فلله درُّ رجال ونساء استيقظوا وأيقظوا أولادَهم آخر الليل -حيث يتنزل الربُّ جل جلاله، وحيث تشتد الرغبة للنوم- فقاموا.. لا لشيء، إلا ليرسلوا سهام الليل بالدعاء لإخوانهم هناك في (حَلب)، وفي (الحدّ الجنوبي) وفي (الموصل) وفي (اليمن)..

---

٦ متفق عليه: البخاري ح(٢٨١٨)، ومسلم ح(١٧٤٢).

هكذا فلتكن المشاعر، وهكذا فلتكن الترجمة العملية للعيش مع الأحداث، بدلاً من النواح والبكاء السلبي.

فأروا الله من أنفسكم خيراً أيها الناس، وخصوصاً في يوم الجمعة الذي فيه ساعة لا يوافقها عبد قائم يصلي -أي ينتظر الصلاة ويتحراها[٧]- إلا استجيب له.

وختاماً ... لقد حدّثنا التاريخ أن (حلب) تعرّضت منذ منتصف القرن الرابع الهجري لحوادث عدوان فظيعة، استبيحت فيها الدماء والأموال، وانتهكت فيها الأعراض؛ بسبب بغي النصارى والباطنية ومِن بعدهم التتار، ثم عادت (حلب) إلى حاضنتها السنية، وأرضها الإسلامية، بعد أن كانت سلباً لأعداء الدين.. وإننا لنتظر القصاص الإلهي العادل من المجرمين والمتواطئين على هذا الظلم العظيم الذي يقع على أهلنا في (حلب) و(الموصل)، فإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إلهي.. إلهي..

مثلَما أبدلْتَنا يا ربِّ .. بعدَ الليلِ... صُبْحا
أبدلِ اللهُمَّ حالَ الشامِ .. بعد الضيقِ... فَتْحا[٨]
يارَبّ وحدَك أنتَ المستعانُ فما .. نرجو سواكَ إذا ما اشتدّت الكُرَبُ
إيمانُنا بك يطوي كلَّ ما نشروا .. من المآسي، ويُنهي كلّ ما جلَبوا[٩]

---

٧ ذكره ابن عبدالبر في الاستذكار (٢/ ٣٧).
٨ البيتان للشاعر عيسى جرابا.
٩ البيتان للشاعر العشماوي.

المراحل الأربعة في نصرة النبي ﷺ

د. عبد المحسن الأحمد

فك الله أسره*

الكل يعرف أن محمداً ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب، الكل يعرف أنه رسول الله ﷺ، لكن لا تكفي معرفته باسمه ومولده ونسبه، ليست هذه المعرفة وحدها كفيلة بأن تدخلك الجنة، لكن هل عرفت حقه عليك؟ هل نصرنا النبي ﷺ كما ينبغي علينا؟

---

* المقال مقتبس من محاضرة: هل عرفتم رسول الله؟ للدكتور عبد المحسن الأحمد، موقع abdelmohsen.com منشورة عام ٢٠٠٩م. باختصار.

والله هناك كفار يعرفون النبي ﷺ أكثر منّا! ومتبحرون في هذا وكتبوا في هذا.. لكن لم ينفعه أنه يعرف النبي ﷺ! ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

متى تبدأ نصرة النبي ﷺ؟

هنا سؤال يُطرح حتى يكون مدخلاً لنا بإذن الله عز وجل، على الارتقاء بأنفسنا لنصرة النبي ﷺ: متى تبدأ نصرة النبي ﷺ؟

لو توزع هذا السؤال على أكثر الناس سيجيبك: عندما استهزأت الدنمارك. لأننا بدأنا عندما استهزؤوا، لكن بداية نصرة النبي ﷺ من المفترض من أول يوم شهدتَ فيه أنه رسول الله ﷺ.. من أول يوم قلتَ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.. أنت أخذت العهد على نفسك من حيث لا تشعر، أن هذا الرسول هو رسولك الذي تتبعه، وهو قدوتك.

تُفاجأ أن أكثر الناس منا تفنن في مخالفة هدي النبي ﷺ من حيث نشعر أو لا نشعر.. يقول النبي ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

الكيّس من دان نفسه: تجدنا دائمًا نلوم فلاناً وفلاناً عن أخطاء الأمة وعن هزيمة الأمة، وآخر شخص نلومه هو أنفسنا! «وعمِل لما بعد الموت»: تجد كل اهتمامنا بما قبل الموت وندعو ربنا: يا ربِ وظيفة! ودعاؤنا

للوظيفة ليس كدعائنا بالجنة! حركتُنا للأسهم ليست كحركتنا لأسهم الصلاة وسننها! حتى دفاعنا عن أنفسنا وعن ممتلكاتنا أقوى من دفاعنا عن ديننا!

تجد الواحد يجلس في مجلس يتكلمون عن الدين ويسبون، ولا يتحرك له ساكن؛ لكن لو داسوا له على طرف جن جنونه وقام وتكلم وخرج غاضباً! «ولا تقعد بعد الذكرى» ليست في قاموسه.

«والعاجز من أتبع نفسه هواها»: تجدنا نحرص على كل ما نريد ونشتهي. وتمنى على الله الأماني، ونقول: الله غفور رحيم!

يقول النبي ﷺ في أحاديثه العظام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبَى». قالوا: ومَن يأبَى يا رسول الله؟ قال: «مَن أطاعني». لم يقل مَن أحبني وقال فقط إني أحب النبي بالكلام؛ بل قال: «مَن أطاعني»، تمثّل بسنتي، «مَن أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

أن أقول: والله إني أحب رسول الله ﷺ، أو أعلّق بسيارتي: «إلا رسول الله».. هذا لا يكفي! سيارتك لن تذهب معك في قبرك، لكن نصرتك الحقيقية.. امتثالك ظاهراً وباطناً لنصرة النبي ﷺ.. هو الذي سيدخل معك قبرك، والحب وحده لن يكفينا!

يقول الله عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ = ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، ولم يقل: ومَن يحب الله والرسول، بل قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، المسألة تتمحور حول الطاعة.. فيها أعمال أكثر من أقوال! آخُذ بيدك وتأخذ بيدي، ونفتح المصحف وننظر كيف تكون نصرة النبي ﷺ وكيف نصرة دين الله سبحانه وتعالى.

بعض الناس يظن أن الدعوة انتهت، لا لم تنتهِ، الحمد لله أننا استيقظنا قليلاً، ونصرة النبي ﷺ من المفترض أن تكون قد بدأت منذ زمن، لكن بدأنا متأخرين ولابد ألا ننهيها مبكرين، فنصرة النبي ﷺ لن تنتهي حتى يقف قلبك وأنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

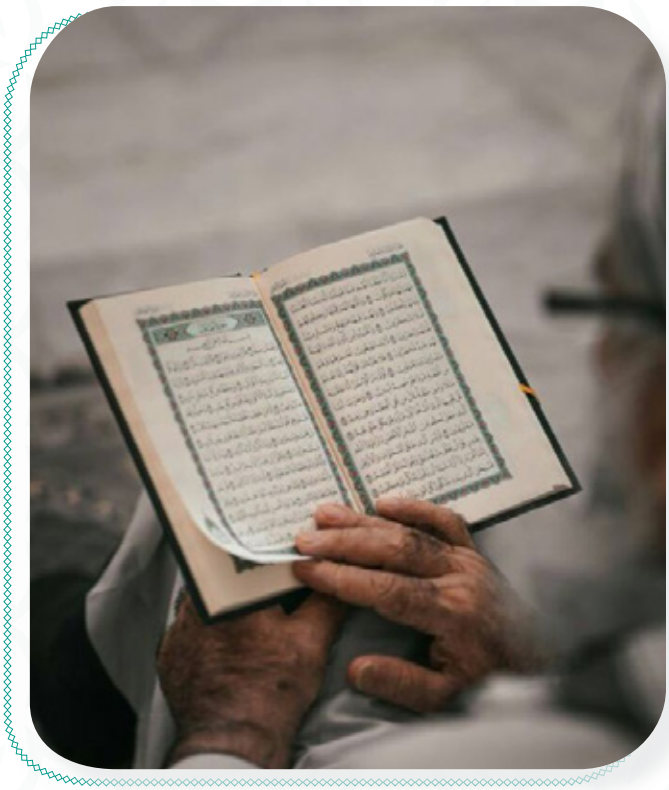

تعال ننظر في هذا القرآن العظيم الذي قال عنه النبي ﷺ: «إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين». والله جل جلاله يقول: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ...﴾، هناك: قرآن، وهناك: أنتم، الذين هم نحن! والخلل لا يأتي على القرآن لأنه كلام الله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾، بل الخلل في: أنتم، أنا وأنتم إلا من رحم الله عز وجل، ممن لم ينصر أبداً.

المراحل الأربعة

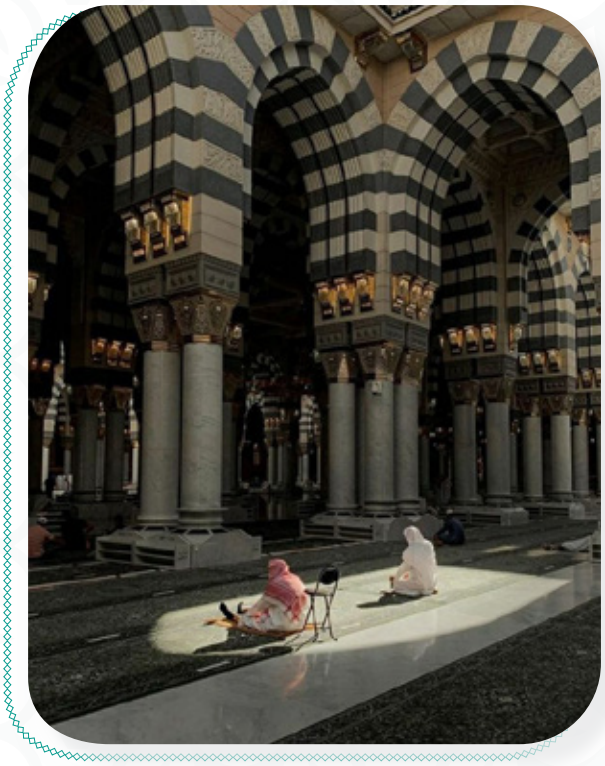

يقول الله عز وجل:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥١].

هذه مراحل أربعة سيذكرها لك القرآن، تعلمك أين أنت من نصرة الدين، نصرة الله عز وجل، نصرة النبي ﷺ، نصرة كتابه، وأنا أقول لك المراحل والآيات انظر وقل في نفسك: أين وقفت؟ هناك من يقول: أنا وقفت عند المرحلة الأولى وأريد أن أكون صريحاً مع نفسي، الثاني يقول: والله أنا وقفت عند المرحلة الثانية، والثالث يقول: لا والله تعديت الثانية والأولى وأنا في الثالثة.. أقول لك: هنيئاً لك باقٍ لك مرحلة واحدة فاجتهد، والآخر يقول: أنا وصلت الرابعة، فأقول: هنيئاً لك.

وقبل أن أبدأ سأطلب من الجميع أن يعمل بعقله في هذه الثواني.. لو أُعطيتَ ورقة الآن وقيل لك: اكتب الأشياء التي تتمناها قبل أن تخرج من الدنيا. واحد سيكتب: المال، والثاني يقول: أنا عندي مال لكن أريد منصباً ومكانة رفيعة، نقول له: اكتب مكانة رفيعة، ويأتي من يقول: عندي مال وعندي مكانة أنا أريد ذرية، الآخر يقول: أنا أريد احترام الناس. وأي أمر عندك اكتبه وأقول لك من الآن قبل أن نبدأ الآيات، أقسم بالله إن قلت في نهاية المحاضرة: نعم أنا هنا في المرحلة الرابعة.. أقول لك ستحصل على هذه كلها.

المراحل الأربعة هي:

- المرحلة الأولى: ثوران العواطف.
- المرحلة الثانية: حظوظ النفس.
- المرحلة الثالثة: صراع الشهوات.
- المرحلة الرابعة: اختبار اليقين.

وأي أمر يحصل عندنا في الدنيا في القرآن له مثل، وقاعدة تقيس نفسك عليها.. يقول الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. أبداً، أي مثال يحصل، نصرة النبي ﷺ، نصرة الدين، نصرة الكتاب، الوقائع التي تحصل، السياسة، التجارة، وكل شيء في القرآن: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

المرحلة الأولى

نبدأ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، هنا لا تفكر أن القضية فقط لبني اسرائيل؛ فبني إسرائيل ماتوا.. القضية الآن لنا، تأمل: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقولون والله لننصر هذا الدين وليس عندنا أغلى من أرواحنا وسوف نقدمها في سبيل الله! نكمل؟ ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾.. نخاف أن نقول لكم: هيا لنصرة النبي ﷺ! ثم مرة.. واثنتان.. وثلاثة.. وأربعة.. ثم خمسة، ثم لا تفعل شيئاً!

هم ماذا قالوا؟ نفس كلامنا.. ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.. أعطوا مبرراتنا كيف لا ننصر النبي ﷺ وهم قد سبُوه على الملأ وعلى أعين الناس.. لا والله سننصره!

ويوم بدأ الاختبار في المرحلة الأولى ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾، يوم أن جاء الجد.. لنرى التضحيات.. هيا! غيّر في شكلك.. في كلامك.. الأمور التي عندك في السيارة ما ترضي النبي ﷺ تخلص منها، والأمور التي في البيت.. (الدِش) الذي يصب عليكم من المنكرات تخلّص منه.. يوم بدأ القضية فيها هيا للتضحية ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾.. راحوا.. كان كلاماً فقط: نحب النبي ﷺ ونفعل كل شيء لأجله! لكن تلك أقوال بلا أفعال! ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾، وكم بقي؟ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.. يقول: ذهب الذين

يتكلمون في أشغالهم وفي أنفسهم ونسوا نصرة النبي ﷺ ونسوا نصرة الدين، كانوا فقط يقولون كلاماً، لم يبقَ إلا قليل سينتقلون للمرحلة الثانية، لكن قبل أن ينتقلوا يعلمك الله عز وجل أن في المرحلة الأولى رغم أنهم قد ثارت عواطفهم ماذا سماهم، وفي كل مرحلة يعلمك اسم هؤلاء وتصنيفهم عند الله سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، لاحظ: مع العلم أن عواطفهم ثارت للدين إلا أنه سماهم «ظالمين»، تجده ينتقل بين القنوات الفضائية ثم تأتي مرحلة سب النبي ﷺ والصور المسيئة ثم يقول: الله يلعن اليهود والنصارى، ويلعن الذين تكلموا ويلعن الذين سبوا في الدنمارك.. فجأة يقلب القناة فتخرج له (ستار أكاديمي) وينسى القضية! إنها مجرد عواطف قد ثارت قليلاً، ثم نسي قول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

تعال وانتقل معي وأرجو الله ألا يقف منا أحد في هذه المرحلة ونكون ارتقينا للمرحلة الثانية.. كم بقي الآن؟ بقي قليل منهم وثلاث مراحل.

المرحلة الثانية

قال عز وجل: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.. يعني لنا.. نتذكر فيه، نتدبر آياته، وفي المرحلة الثانية نشأ هؤلاء القليل، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾، هنا الله سبحانه وتعالى يريد أن

يختبرهم ويكلم معهم، ليرى صدقهم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، أنتم قلتم: ليس لدينا أي مانع في تطبيق ما وعدنا به الله سبحانه وتعالى ووعدنا به هذا الدين.

﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾؟ بدأت حظوظ النفس تأتي وبدأ النقاش: والله لا نستطيع أن نفعل! ﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ﴾، هذه مصيبة الدنيا «ونحن» تعبر عن حظوظ النفس، ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾، وكنتم تقولون: سوف ننصر الدين؟ كيف بدأت حظوظ أنفسكم تتدخل؟ لماذا أنتم أحق بالملك منه؟ ولم لا يصلح؟ قالوا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾، سبحان الله لأنه ليس لديه مال لا يصلح! ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، لكن الله الذي اختاره، الذي ستنصرون دينه هو الذي اختاره، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فوالله كان ينوي أن ينصر الدين، لكن حين دخل الأسهم! والله كان قد خطط أن يوزع أشرطة.

عن النبي ﷺ، وكان عنده خطة أن يجمع أولاده ويقرؤون كل يوم عن النبي ﷺ، كان عنده أفكار.. لكن دخلت الدنيا ونسي الموضوع.

المرحلة الثالثة

ولا يدخل المرحلة الثالثة إلا مَن وصفه الله عز وجل بأنه مؤمن، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ

آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أتت الملائكة معها التابوت لأجل أن تثبت لهم أن هذا هو الذي اختاره عز وجل، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾، متى؟ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فالذي يتجاوز إلى المرحلة الثالثة سماه الله عز وجل «مؤمن»، هل تحس أن هموم الدنيا ومشاغل الدنيا وحظوظك أنستك نصرة النبي ﷺ؟ مع أنها أسهل مما تتصور، هناك أناس قالوا: لا والله نحن انتقلنا وإنا من المؤمنين بإذن الله ونحن من أهل المرحلة الثالثة.

والثالثة هي مربط الفرس.. ما هي؟ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. ما علاقة نهر جارٍ وأن من يشرب منه لا يصلح أن ينصر النبي ﷺ أو الدين أو رب العالمين؟ هل فكرت فيها يوماً من الأيام؟ في علاقة نهر جارٍ بقدرتي على أن أدافع عن الدين أو لا؟ شربة من النهر هي التي ستؤثر بي؟ لماذا هذا الاختبار؟

لأن الله عز وجل يريد أن يبين لكل من يقرأ القرآن أنه: إذا لم يكن عندك استعداد أن تضحي بشهوة من شهواتك لأجل الدين فأنت لا تصلح لنصرة الدين! فكيف لو قالوا: لا يوجد ماء؟ البعض ربما يكفر .. وعندما تقول لها القضية يا أختي بأنك وصلتِ للمرحلة الثانية وبقي لك مرحلتان لتفوزي مع الله، هذه

العباءة التي تفتن كل من مررتِ به وتظهر تقاسيم جسدك وتحملين أوزارهم؛ فلا تخذلي دين رب العالمين.. انصريه، هذا اللسان الذي يفرّط دائما أرجعه لمراقبة الله.. انصر الرسول ﷺ ودينه بتطبيق هذا الكلام.

رأيت أحداً يتكلم على الناس؟ قل: يا أخي لا يجوز والله سبحانه لا يقبل هذا، وتكون قد نصرت النبي الذي خذله أكثر الناس حتى استهان في أوامره إلى أن استهانوا بشخصه ﷺ.

فعندما تصبح أشياء تافهة وبسيطة لتغييرها تجده يتوقف عندها ولا يصل للمرحلة الثالثة، فماذا حدث؟ ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾.. ليس هناك تضحية للدين ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾، كم بقي منهم؟ بقى قليل.

والذي وصل لهذه المرحلة أقول له هنيئاً لك أنت من القليل الذين اجتازوا، وكلما تتقدم المرحلة تصبح المزايا أكثر، حتى نقترب من المرحلة الرابعة، فهذه هي المرحلة الثالثة.. مرحلة التضحية.

المرحلة الرابعة

هناك أناس تخطوا للمرحلة الرابعة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ -اللهم اجعلنا وإياكم منهم- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾، لما رأوا أنه لم يبقَ إلا قليل، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

عندما حان الجد ورأوا الناس تتزحزح وتتراجع قالوا: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ولنتأمل.. طلبوا ثلاث طلبات، وأي أحد يصل المرحلة الرابعة بنجاح فليسأل الله ما يريد، والله سوف يستجيب، فقالوا:

أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا

وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا

وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

ثم تأمل كيف استجاب الله عز وجل، أول حرف هو (ف)، تلك فاء الفورية:

﴿فَهَزَمُوهُم﴾، لأن هناك تضحية، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

لابد أن نراجع أنفسنا، وننظر أين وصلنا في نصرة النبي ﷺ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي